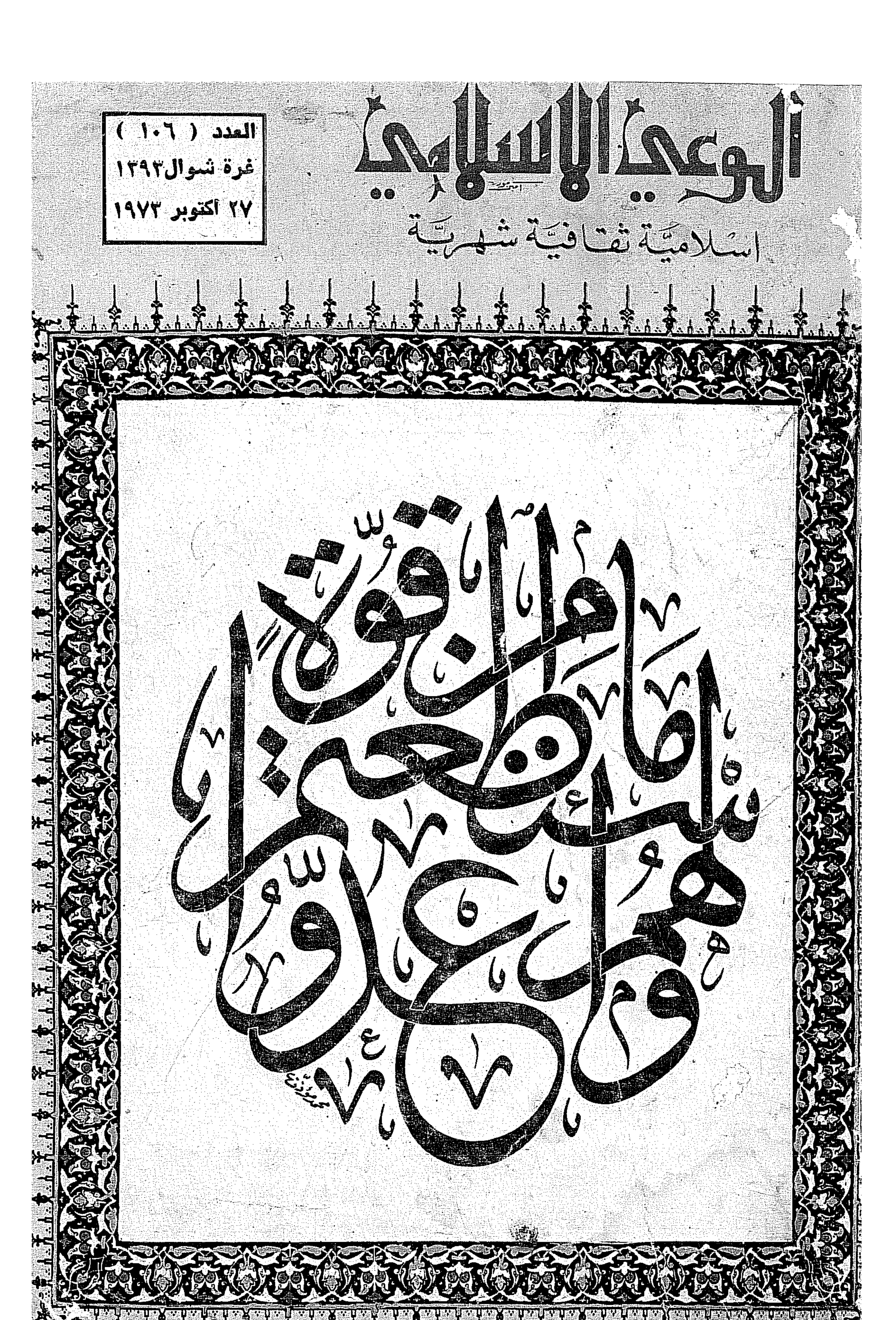
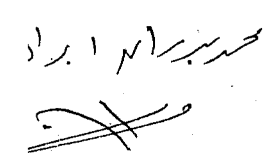

الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية
العدد (١٠٦)
غرة شوال ١٣٩٣
٢٧ أكتوبر ١٩٧٣
وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة


وَقَٰتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
الَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ





قال تعالى :
((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة))
(صدق الله العظيم)

الوعي الاسلامي
اسلامية ثقافية شهرية
AL WAIE AL ISLAMI
Kuwait P.O.B. 13
العــــدد (١٠٦)
غرة شوال ١٣٩٣ هـ
٢٧ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسـياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالـكويت في غـرة كل شـهر عـربي
الاشتراك السنوى للهيآت فقط
أما الأفراد فيشـتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

الثمــن :

الـكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـال
العـراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـزائر	دينار وربع
المغـرب	درهم وربع
الخليج العربي	٧٥ فلسا
اليمن وعـدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنـوان المراسـلات :

مجـلة الوعي الاسلامي ــ وزارة الأوقاف والشـئون الاسـلامية
صـندوق بريد : ١٣ ــ كـويت ــ هـاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

هل للمسلمين دين بلا دولة

* ظهر اتجاه العلمانية فى المجتمعات الاسلامية بعد الحرب العالمية الأولى. وتبلور واضحا فيها بعد الحرب العالمية الثانية ، وبعد أن انتصرت فيها القوتان العالميتان : القوة الشيوعية البلشفية ، والأخرى الرأسمالية الصليبية ، ودخلتا مجال المنافسة الاقتصادية فى كسب ثروات المسلمين ، وهى عديدة .

وقد وجدت هاتان القوتان الأرض فى البلاد الاسلامية مهيأة للحصول على هذه الثروات ، بفضل ما أحدثته العلمانية من تخلخل فى نفوس المعدين للقيادة فى المجتمعات الاسلامية ، فى صلتهم بالاسلام . اذ قد باشر الاستعمار الغربى لهذه المجتمعات من قبل اسلوب العلمانية : فى القضاء .. والتعليم .. والسياسة .. وشؤون الادارة ، طيلة مدة حكمه لها ، فى افريقيا وآسيا .

والعلمانية قد يظنها البعض : أنها الاتجاه العلمى . وليس هذا معناها . وانما هى الاتجاه الدنيوى أو المادى فى مقابل الاتجاه الروحى الذى هو للسلطة الدينية . أى هو الاتجاه الذى تباشره الدولة فى شؤون الحكم ، والسياسة ، والاقتصاد ، والادارة والدفاع والأمن فى المجتمع .. الخ ، غير مقيدة بنظـــرة أخرى لسلطة ثانية فى توجيهها ومباشرتها ، أى غير ناظرة فى التوجيه والمباشرة الى ما تراه السلطة الدينية فيما يخصها . على أن يترك للسلطة الدينيـــة أمر الأسرة : فى ايمان أفرادها .. وفى العلاقات الزوجية بينها .. وفى انجـــاب الأطفال من هذه العلاقات وتعميدها .. وفى رسوم دفن الموتى .. الى غير ذلك مما يعرف للكنيسة .

العلمانية تقسيم الانسان فى المجتمع بين سلطتين : احداهما زمنية وهى الدولة .. وأخرى إلهية وهى البابوية . فالدولة لها الزام على الانســـان من جانب ، والكنيسة لها الزام أيضا عليه من جانب آخر ، وهذا التقسيم جاء نتيجـــة للنظرة التى يتبناها الاكليروس المسيحى الى الدنيا والمتـــع المادية فيها . وهى النظرة التى تفرق فى القيمة والاعتبار بين المادة والروح : فبينما المادة دنسة اذا بالروح طاهرة . وعن هذه التفرقة كانت الرهبنة هدفا فى نظام هذا الاكليروس.. وكان الزواج أبديا ، لأنه رباط بين روحين ، قبل أن يكون رباطا بين جسدين .

والمجتمع الاسلامى قد تم تكوينه فى ثلاثة وعشرين عاما . ولم تعرف فيه سلطة دينية بجانب سلطة زمنية أو دنيوية ، كما لم يعرف فيه تخصيص مجال للدين ، وآخر للدولة . وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام إمام المسلمين فى الصلاة ، وقائدهم فى الحرب ، وقاضيهم فى الخصومات التى تنشأ بينهم ، وحاكمهم يطلب منهم التنفيـــذ فيما يأمر به أو ينهى عنه . كانت هناك سلطة بشرية تصيب وتخطىء ، وليست سلطة دينية معصومة عن الخطأ . كانت هناك سلطة تتبادل المشورة والرأى ممن لهم شورى ورأى فى الأمة الإسلامية .



للدكتور محمد البهى

وكل ما تتميز به السلطة الاسلامية عن اية سلطة بشرية اخرى : انها تحكم بما انزل الله فى كتاب الاسلام ، وهو القرآن الذى جاء به خاتم المرسلين محمد بن عبد الله ، عليه الصلاة والسلام . وان أصاب القائمون بأمرها فى الحكم بمـــا انزل الله كان لهم أجران عند الله : أجر الاجتهاد ، وأجر الصواب . وان أخطأوا كان لهم أجر الاجتهاد وحـــده . والحاكم المسلم مجتهد ، وليس معصوما عـــن الخطأ . والقرآن يسجل آيات عديدة توضح عتاب الله لرسوله على رأى كان له فى الحرب ، أو فى سياسة الدعوة ، مما يدل على أن الرسول عليه الصلاة والسلام كحاكم أو كقائد — وليس كمبلغ للوحى — مجتهد فى حكمه وفى رأيه .

ويخطىء بعض الكتاب من المسلمين اذ يثيرون فى وجه تطبيق الاسلام فى تطبيق الاسلام يلزم وجود حكومة إلهيــة على نمط الحكومة البابويــة ، لا تخطىء المجتمعات الاسلامية المعاصرة : قضية « الحكومة الإلهية » . علـــى معنى أن اطلاقا ، ويجب الايمان بعصمتها . لأنهم مع الأسف يقيسون الوضع فى الاسلام على وضع الدولة الكنسية فى روما ، دون أن يرجعوا الى الاسلام فى كتاب الله ، وعلى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام .

ولم تعرف الأمة الاسلامية فى تاريخها : الفصل فى الرياسة العامة بين سلطة زمنية وأخرى دينية ، أو « خليفة » و « سلطان » أو بين من هو رمز فقط للترابط الاسلامى فى الأمة كلها ولا سلطة له ، وصاحب السلطة الحقيقية فى مكان ما فيها الا عندما سيطرت « العنصرية » و « الشعوبية » فى توجيه المسلمين وقيادتهم ، والا عندما شعر حكــام الولايات بضعف الحكم المركزى فى بغداد . فآثروا عندئذ : الاستقلال فى السلطة تحت راية الخلافة الاسلامية ، وهى علم اكثر منها مدلول . وعندئذ ابتدأ التفكك فى الأمة الاسلامية يأخذ طريقه .

وتفكك أية أمة بعد تجمعها وتكتلها من شعوب عديدة ، ومن أصحاب لغات مختلفة : ظاهرة اجتماعية تطرأ يوما ما ، وتسود الأمة كذلك الى أن يأخذ التفكك مداه . ولكن لا يمنع ذلـك من أن يعود شأن الأمة من جديد الــى الوحــدة ، والتماسك ، والتكتل ، عندما تقوى الدعوة اليها وتنحى بالتدريج عوامل الفرقة . ونشأة الوحدة من الفرقة ، كنشأة القوة من الضعف ، والأخوة من العداوة : من الظواهر الانسانية التى تدل على التغير فى المجتمع أو بين الأفراد .

وأوربا التى كانت مفرقة الى أوربا اللاتينية ، والأنجلوسكسونية ، والى مجموعات ذات لغات عديدة : تعود اليوم الى التجمع والتكتل من جديد ، بعد شيوع اتجاه القومية والعنصرية فيها ، وبعد أن مزقت الحروب المحلية والعالمية فى القرنين التاسع عشر والعشرين العلاقات بينها شر ممزق . وواقع الأمر أن المسيحى الكاثوليكى المشترك هو الذى قاد « ايديناور » زعيم الحزب الديمقراطى

المسيحى بألمانيا الغربية المسيحية .. وديجول زعيم الكتلة الديجولية المسيحية فى فرنسا الكاثوليكية ، الى الاجتماع واللقاء بينهما فى مواجهة القوتين الكبيرتين اللتين اسفرت عنهما الحرب العالمية الثانية . وهما الكتلة الالحادية الشيوعية فى روسيا وشرق أوربا ، والكتلة الرأسمالية اليهودية فى الولايات المتحدة الأمريكية .

وظاهرة التفكك فى الأمة الاسلامية ، منذ أن بدأ فيها التفكك تعتبر تمهيدا لظاهرة أخرى تحل محلها وعلى النقيض منها . وليست ظاهرة منعزلة فى تاريخ الأمة لا ترتبط بها بعض الظواهر الأخرى . والظاهرة المرتقبة هى ظاهرة التجمع والعودة الى التماسك من جديد ، وعلى أساس الاسلام وحده ، مهما طال الزمن بين اختفاء الأولى وظهور الثانية . وليس هذا ارهاصا أو تخمينا . انما هو قانون الحياة الانسانية القائم على مبدأ النقيض . وهو ذلك المبدأ الذى يعتبر أساس التغيير والانتقال من الشىء الى نقيضه ، ولو بعد حين .

فحياة الانسان اذ تنتهى بالموت .. يكون الموت نفسه بدءا للحياة من جديد . والمجتمع اذ تنتهى صلاحيته للبقاء ، بسبب التفكك ، فالخصومة ، فالعداء بين مجموعاته وأفراده .. يكون ذلك كله من جديد مصدرا لمجتمع موحد يقوم على أنقاضه . كشأن تعاقب الليل والنهار : « **تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل ، وتخرج الحى من الميت ، وتخرج الميت من الحى** » (آل عمران ٢٧) .

ومجتمع شبه الجزيرة العربية قبل رسالة الاسلام لخاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليه كان مجتمعا مفرقا يعادى بعضه بعضا ، بسبب تمكن روح القبلية ، وعرف بأنه مجتمع حروب وقتال . ثم كانت الخصومة بين بعضه بعضا عامل تجميع ، ونشأ عنها مجتمع جديد متماسك ومترابط . ويشير الى ذلك قوله تعالى : « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا** » (آل عمران ١٠٣) .. فالآية تذكر أن مجتمع المؤمنين برسالة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهو مجتمع متحد متماسك : نشأ من مجتمع الوثنيين السابقين ، وهو المجتمع القبلى المفرق المتقاتل .

وقد جاء فى سورة محمد ما يمكن أن يكون تعبيرا عن هذا القانون للحياة الاجتماعية الانسانية ، القائم على مبدأ النقيض ، فى قوله تعالى « **ها أنتم أولاء** (أيها المؤمنون فى المجتمع الجديد) **تدعون لتنفقوا فى سبيل الله ، فمنكم من يبخل** (أى منكم من بقى على شحه — والشح ظاهرة خاصة بالمجتمع الوثنى المادى — فيمسك عن العطاء لصاحب الحاجة أو فى سبيل الله ، وبذلك لم يغيره اعلانه الايمان بالله وبالمجتمع الجديد) **ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الغنى وأنتم الفقراء** (ولكن نتيجة بخل الشحيح ستلحق به وحده . لأنه عندئذ قد تحكمت فيه الأنانية ومن تتحكم الأنانية فى تصرفاته لا يستطيع أن يعيش مع غيره . وعندئذ يتعرض للملق وكراهة الآخرين ، ولا تصيب هذه النتيجة أحدا سواه . فالله هو الغنى عما عداه ، وما عداه صاحب حاجة اليه . واذن عندما يدعو الله المؤمنين الى الانفاق فى سبيل الله لا يدعوهم الى سد حاجة اليه) ، **وان تتولوا** (أى وان تعرضوا عن الايمان ببقائكم على الشح والامساك كما كنتم على عهد وثنيتكم) **يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** (أى فى اعلان الايمان مع الركون الى الكفر . ولكن يكون ايمانهم عامل تحويل ونقل لهم من المجتمع الجاهلى المشترك الى المجتمع الانسانى صاحب القيم الرفيعة) (محمد ٣٨) . **إذ قيام**

المجتمع الانسانى المتماسك على أساس الايمان بالله والمنفق فى سبيل الله : من أنقاض المجتمع السابق العابث الممزق ، والشحيح الممسك . هو أمارة على أن النقيض ينشأ من نقيضه ، وأن مبدأ النقيض هو مبدأ الوجود والحياة .

* وأنما السلطة الدينيــة وجدت ــ ولم تزل ــ للكنيسة الرومانيــة . وسلطتها فى الشئون الروحية تقابل سلطة الدولة فى الشئون الدينية فــى المجتمع الكاثوليكى .

وواقع العلمانية اذن هو المجتمع الأوربى بصفة عامة ، وليس المجتمــع الاسلامى . والمجتمع الأوربى صاحب سلطة مزدوجة ، بينما المجتمع الاسلامى ليست له الا سلطة واحدة ، وهى سلطة الحاكم المسلم الذى يعمل بالاسلام .

وجوانب الحياة للانسان هى جوانب متساوية فى نظر الاسلام ، من حيث القيمة والاعتبار . أى ليست فيها مدنس ، وصاحب قدسية ، والروحية فــى الاسلام ليست الا المستوى الفاضل فى الانسانية . وقد جاء تحديد هذا المستوى فى هداية الله فى كتابه .

* وظهور اتجاه العلمانية فى المجتمعات الاسلامية ، ثـم تمكنه منهـا وبالأخص بعد الحرب العالمية الثانية ــ أدى الى أن يترك شئون المســلمين مــع الاسلام كدين وايمان : بدون قيادة وتوجيه فى المجتمع . لأن الحــاكم المسلم العلمانى يهمه فى الدرجة الأولى أن يحتفظ بسلطة الحكم . واحتفاظه بسلطة الحكم مرهون على الأقل باغفــال الوضع الاسلامى فى المجتمع الذى يحكم فيه . أى باغفال مساءلته عن الحكم أمام الاسلام ، وما يوجبه من صلاحيــة الحاكم والشورى المتبادلة فى الحكم .

وفى الوقت الذى تهمل فيه شئون المســلمين فى صــلتهم بالاســلام ، ويضعف بينهم الترابط على أساس منه : يقوى فيه شأن الأقليات الدينية غير الاسلامية ، ويزداد التماسك بينها على أساس من معتقداتهم . وكلما أهمل شأن الاسلام بين المسلمين من السلطة العلمانية الحاكمة ، كلما قويت فــى المجتمعات الاسلامية شوكة الأقليات الدينيــة ، وكلما تطلعت الــى التربص بالمسلمين لزيادة ضعفهم وتفككهم ، عندما تحين فرصة التدخل بينهم بصورة أو بأخرى ، لأن فى زيادة تفكك المسلمين وهم الأكثرية : قوة اضافيــة ــ بجانب تحصيل العلم ، وادخال المال ــ للأقليات الطائفية بينهم .

وهذه الظاهرة العكسية بين ضعف المسلمين ككثرة فى المجتمع ، وقوة غيرهم كأقلية فيه : تحمل الحاكم العلمانى المسلم على أن يخشى نفوذ الأقلية فى مجتمعه ، فى الوقت الذى يستخف فيه بجانب المسلمين ــ بل ويسخر منهــم أحيانا ــ وهم الكثرة فيه . وخشيته من الأقلية من جانب ، واستخفافه بالكثرة المسلمة من جانب آخر : ينصبان فقط على الناحية الدينية لكل من المجموعتين ، الأكثرية والأقلية . وهذه الظاهرة فى جانب الحاكم المسلم العلمانى تبــدو فى تصرفاته ومواقفه ازاء الطرفين :

فهو لا يتدخل فى الشئون الدينية والتنظيمية للأقلية :
ولا يتدخل فى تغيير رجال الدين بين أية أقلية دينية ،
ولا يتدخل فى أوقافها الخيرية ،
ولا يتدخل فى مدارسها الطائفية : لا بالالغاء ، ولا بالضم ،
ولا يتدخل فى معاهدها الخاصة بدراسة اللاهوت ،
ولا يتدخل فى تكوين سلطتها الدينية ، وشئون الرياسة فيها ،
ولا يتدخل فى تعديل قوانين الأحوال الشخصية للأسرة فيها .

* بينما يتدخل — وقد يكون فى عنف وفى حقد احيانا — فى كل ما للمسلمين مما يتصل بايمانهم بالاسلام :

فهو يتدخل فى أوقاف المسلمين بالتغيير ، وبنقل الملكيـة ، والغـائها ،

ويتدخل فى مدارس الجمعيات الخيرية فيجردها عن ميزتها وهى تحفيظ التلاميذ فيها بعض أجزاء من القرآن الكريم ، والعناية بتاريخ الاسلام وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين ، ويحولها الى مدارس علمانية حكومية .

ويتدخل فى امامة المسلمين بالتغيير ، وفى المعاهد الاسلامية بما يقربها الى النمط الرسمى العلمانى ،

ويتدخل فى الكليات الجامعية الاسلامية فيلحقها بالجامعات العلمانية ، ويصبح الاسلام فيها مادة تدرس وليس إيمانا يطبق ،

ويتدخل في تعديل قوانين الأحوال الشخصية للأسرة المسلمة . وقد يكون التعديل مساوقة لتشريع أجنبي بعيد عن روح الاسلام ،

ويتدخل فى تعديل انصبة النساء فى الميراث بما يجعلها مساوية لانصبة الذكور فيه ،

ويتدخل فى تعديل فروض الاسلام فى العبادة ، فينكر الصوم مثلا كعبادة يتقرب بها المسلم الى الله ،

وهكذا : الحكم الوطنى فى المجتمعات الاسلامية بعد استقـلالها السياسى يتم ما بداه الحكم الاستعمارى فى شأن القضاء على الاسلام ابان حكمه المباشر .

وكثير من المسلمين يتصورون حتى الآن أن الاستعمار للمجتمعات الاسلامية كان فى الدرجة الأولى : استعمارا سياسيا ، واقتصاديا وعسكريا . وهـذا التصور بعيد عن الواقع . لأن الاستعمار كان استعمارا فكريا ، وعقائديا ، قبل أن يكون سياسيا ، واقتصاديا ، وعسكريا . ولو أن المستعمرين كان مجيئهم الى البلاد الاسلامية ليستغلوا مباشرة : مصادر الثروة فيها طوال مدة وجودهم الاستعمارى ، وليوجهوا سياسة هذه البلاد للتمكن فقط من الاستغلال الاقتصادى فى هذه الفترة وحدها ، وليضمنوا بالوجود العسكرى لهم فيها ترحيل الغنائـم الاقتصادية الى بلادهم .. لم يكونوا قد أدوا رسالتهم التى تسلموها من الكنيسة الرومانية باسم الصليب فى سنة ١٠٩٦ ، واستمروا يدافعون عنها فى سبـع حملات وجهت من الأوربيين الصليبيين ضد المسلمين فى القرون الثلاثة : الحادى عشر ، والثانى عشر ، والثالث عشر .. أى استمر الأوربيون فى حملاتهم من أجلها من سنة ١٠٩٦ الى سنة ١٢٧٠ م ، واشترك فيها قيصر بروسيا الألمانية فريدريك الثانى ، ولويس التاسع في فرنسا (١) . وكانت رسالة الكنيسة فـى ظاهرها : استيلاء المسيحية الغربية على فلسطين واتخاذ بيت المقدس عاصمة لملكتها . ولكن فى واقعها كانت هذه الرسالة تنبىء عن اقتحام العالم الاسلامى والتمكن من مركزه الذى يلتقى بالقارات الثلاث : أفريقيا ، وآسيا ، وأوربا .. وبالتالى تنبىء عن الرغبة فى السيطرة على « الملاحدة » وهم المسلمون — كما تصفهم كنيسة روما — وتحويلهم عن الاسلام الذى يدعو : الى وحدة الألوهيـة فى مواجهة التثليث فى دعوة الكنيسة ،

والذى يجعل عصمة الانسان — وهو الرسول لا غيره — فى دائرة تبليغ الوحى الالهى وحده ، دون ما عدا الوحي فانه يجوز عليه فيه الخطأ والصواب، فى مقابل ما تدعو اليه الكنيسة من عصمة الانسان فـور أن ينتخـب على عرش المملكة الكنيسية ويصبح بابا ، فى كل ما يبديه من قول أو شرح يتعلق بالمسيحية،

والذى يدعو الى المساواة أمام الله فى المسئولية ، ورفع الوساطة بين الانسان والله فى مواجهة : « الاعتراف » و « صكوك الغفران » اللذين يتميز بهما رجال الكنيسة عن اتباعها الآخرين ،

والذى يبيح الطلاق بين الزوجين ، وينظر الى عقد الزوجية على أنه عقد انسانى يجوز عليه ما يجوز على أى عقد آخر فى المعاملات الانسانية من حل ، وفسخ ، ان أدى استمراره الى ضرر أو انكشف أمره عن خدعة ، وليس عقدا إلهيا لا يقبل التغيير بحال ، مهما كانت له من أضرار ، كما تنظر اليه الكنيسة ... الخ .

وعندما وقعت الهدنة فى الحرب العالمية الأولى ودخلت الجيوش البريطانية فلسطين أعلن قائدها وقتئذ : « ان الحرب الصليبية قد انتهت الآن » .. كما أعلن قائد القوات الفرنسية عندما دخلت دمشق ، وهو واقف على قبر صلاح الدين الأيوبى : نحن قد جئنا الى هنا ياصلاح !! .

ولم يكن ما أعلنه القائدان الأوربيان مزاحا ، وانما كان تنفيسا عن حقد دفين ، وتعبيرا عن الهدف الحقيقى للحروب الصليبية . وهو التمكن من الاسلام، بابعاد المسلمين عنه . وبذلك يتفرق المسلمون ويصبحون أتباعا لاتجاهات أجنبية عنهم ، كما ينزوى الاسلام فى ركن الاهمال ، ثم النسيان .

واذا كانت الحملات الصليبية فى القرون الثلاثة ، من الحادى عشر الى الثالث عشر الميلادى ، كانت تحمل نوايا العدوان على الاسلام : فان الاستعمار الغربى — الذى يعد استمرارا لها فى القرنين : التاسع عشر والعشرين — يعتبر الوسيلة العملية لتنفيذ هذا العدوان .

والعلمانية التى اشتق منها كانت المعول الذى — بعد أن باشره — تركه الحكام الوطنيين بعده ، عندما يتولون الحكم فى مجتمعاتهم .

❊ وربما يكون الحكم الوطنى فى بعض المجتمعات الاسلامية — بعد استقلالها السياسى — أكثر ضراوة وقسوة فى تمكين العلمانية من المستعمرين أنفسهم . لأن الحاكم الوطنى المسلم العلمانى يرى فى ضعف الاسلام والوعى به : السبيل الوحيدة لضمان بقائه فى الحكم ، بجانب بنائه قوة مسلحة تسهم فى المحافظة عليه . اذ كلما ضعف الاسلام وضعف الترابط فى المجتمع على أساس منه ، كلما لا يعود الناس بحكم الحاكم الى الكتاب والسنة ، وكلما لا يسألونه تطبيق ما فيها من مبادىء . وعندئذ لا تتعرض صلاحية الحاكم فى حكمه للمناقشة ، وان كان مندفعا فى السياسة ، وطائشا فى التصرف ، وطاغيا بالسلطة ، طالما هو قابض على زمام الأمر بالقوة .

وعلى العكس مما لو قوى الوعى بالاسلام فى المجتمع ، وتجلت للناس ما فيه من حقوق وواجبات ، عند الدعوة اليها . فانه لا يبقى آنئذ حاكم مسلم فى الحكم ، الا من هو وفى لايمانه ، وتقى فى سلوكه ، ورحيم بامته ، وخير فى اتجاهه . وقلما يكون هذا النوع من الحكام الذين يجعلون هواهم مقياس العدل، ومصدر التشريع ، والسلطة فى المجتمع .

❊ كذلك من شأن مباشرة الحكم العلمانى أن يسد الطريق على الاسلام الذى يعطى المشورة فى الحكم ، ويقدم الحل لمشاكل المجتمع والحياة الانسانية، بينما يفتح الأبواب لأمور هامشية كأحياء بعض كتب التراث التى قلما تفك رموزها الا عن سبيل المتخصصين فى تخريجها .. ولأمور أخرى سلبية كالدعوة الى ما يشبه الخرافة فى كرامات الموتى ، والدعوة الى العزلة والاستسلام فى

الحياة للقدر ، دون اتخاذ موقف ايجابى ازاء الأحداث يستند الى التوكل على الله جلت قدرته .

والحكم العلمانى عندما يشجع فى المجتمعات الاسلامية ترديد هذه الأمور الهامشية والسلبية مما ينقل من بعض كتب المسلمين فيما مضى ، فانه يصنع ذلك رغبة فى صرف المسلمين فى المجتمع عن الاسلام فى ايجابيته . وقد كان الاستعمار الفرنسى فى شمال افريقيا يدفع ابان حكمه الى العناية بمثل هذه السلبيات فيما يتصل بالاسلام ، فى الوقت الذى يكبت فيه دعوة القرآن الى مقاومة الحاكم الظالم والأجنبى عن الاسلام ، ومساءلة المسلم الذى يواليه ويعاونه . وراجت — من أجل ذلك — فى عهد الفرنسيين : « الطرقية » وكثرت فرقها ، واشتد أمر القائمين عليها .

وربما يكون هناك هدف آخر من وراء تشجيع الحاكم المسلم العلمانى لهذا الجانب الضعيف فى كتابة المسلمين السابقين ، عن الاسلام . وهو القصد الى التمويه لمحاولة اقناع العامة فى المجتمع بأن نظام الحكم القائم يعنى بالاسلام ، اذ ينشر بعض كتب التراث ، ويحيى بعض قصص الأولياء والكرامات !! .

* وعن هذا الطريق — وهو طريق تشجيع الأمور الهامشية والسلبية فى كتابة المسلمين السابقين — ينشأ جيل ، أو عدة أجيال لا تعرف من الاسلام إلا سلبيات المسلمين فى فهم دينهم وفيما كتبوه أيام ضعفهم أو محنهم . وبذلك لا يستطيع أن يرشد علماء هذه الأجيال حكام المسلمين ، فضلا أن يستطيعوا أن يقدموا لهم الصورة الايجابية للايمان بالاسلام . وهذا يعنى : أن يزداد ضعف الترابط بين المسلمين على أساس من اسلامهم .. وبالتالى أن يزداد الميل الى اتباع الحاكم العلمانى ، والأخذ بمنهج العلمانية فى شئون المجتمع ، كأمر لا يناقش .

وعلماء المسلمين آنئذ قد يستمرئون وضع الاسلام فى خدمة العلمانية ، كما قد يبررون للحاكم المسلم العلمانى : دعوته واتجاهه فى الحكم . ولا غضاضة عليهم يومئذ إن يبذلوا جهدهم الفكرى فى الملائمة بين الاسلام فى مبادئه ودعوته وأحداث المسلمين الأوائل فى نصرهم وهزيمتهم .. واتجاه الحاكم فى خطته وما يعرض له من حوادث ويعترضه من صعاب .

وقربتهم التى يتقربون بها الى هذا الحاكم العلمانى : أنهم يضفون وقار الايمان بالاسلام على كل تصرف له ، وعلى كل كلمة يكتبها أو ينطق بها .

* والأقليات الدينية فى المجتمعات الاسلامية اذا كانت أساسا ، تنشد كظاهرة نفسية من ظواهرها : العلم وتحصيله من جانب .. والمال وادخاره من جانب آخر ، كعنصرين يكونان قوة تستند اليها فى مواجهة الأكثرية فى المجتمع .. فانها عندما ترى تسلط الحاكم المسلم العلمانى على المسلمين : تسعى لأن تشاركه فى صرف المسلمين عن دينهم ، ولكن بطريق ملتو وغير مباشر . ومشاركة هذه الأقليات للحاكم وقتئذ فى ذلك لا تعبر عن الولاء منها له ، ولا تدل على رغبة منها فى استمرار حكمه . ولكن لأن فى المشاركة له عنصرا آخر من عناصر القوة لها ، يضم الى العلم والمال ، اللذين تسعى للحصول عليهما ، وهو عنصر اضعاف المسلمين .

وطريق الأقليات الدينية فى صرف المسلمين عن دينهم فى مجتمعاتهم يكون: بتبنى بعض رجال هذه الأقليات لفكر أجنبى عن الاسلام ، وهو مناوىء له . ومن شأنه أن يثير الشك والقلق فى نفوس المسلمين — وبخاصة الشباب بينهم

ثم من شأنه ايضا أن يؤلف من المسلمين أنفسهم مناصرين له . وقد يحوله هؤلاء المناصرون الى فلسفة حكم ، ثم الى نظام للحكم نفسه ، يوجه ضد الاسلام ذاته ، وربما يكون من غير قصد لهؤلاء المناصرين . فقد يتصدى نفر من الأقليات لفكر إلحادى فى أمة مسلمة كالأمة العربية .. وقد يتعرض بعض آخر منها لقومية أفرغت من مضمونها وهو الاسلام وتاريخه . وهذا النفر وذاك يصبح فى مركز الزعامة والقيادة الفكرية للمسلمين ، ويلقى استجابة من هنا ، وهناك .

وقد يكون يحمل هؤلاء الذين ينتمون الى الأقليات الدينية : ذلك الفكر الالحادى ، أو القومية الخاوية الى التلاميذ والشبان المسلمين فى صفوف مدارسهم ، أو فى كليات جامعاتهم ،

وقد يكون بعرض هذا وذاك فى وسائل الاعلام المختلفة .. وفى كتابة التمثيليات ، والمسرحيات ، والقصص السينمائية .

وهذا البعض من الأقليات الذى يضع ذلك يلقى الدعم من هيئات خارجية عن المجتمعات الاسلامية ، وتوفر له الحماية الكافية . وهى هيئات قد يبدو أن صلة بعضها ببعض صلة واهية ، ولكن هى على اتفاق تام فيما بينها : على اضعاف الاسلام ، ثم نزعه واستئصاله من أرض المسلمين . وأحداث يونيه عام ١٩٦٧ فى مصر .. وديسمبر سنة ١٩٧١ فى باكستان ، وما يتوقع لها من تفتيت آخر .. ويولية ١٩٧٣ فى أفغانستان : تشير الى الاتفاق بين هذه الهيئات الدولية على تحويل المسلمين الى اتباع فى اية بقعة يعيشون فيها .

* وهكذا : الاتجاه العلمانى — فيما يبدو — يسعى الى تحويل المسلمين الى كثرة « كغثاء السيل » لا حول لها ولا قوة ، الى هز الأرض تحت أقدامهم .

وهكذا : أصبح وضع الكثرة المسلمة فى المجتمعات الاسلامية العلمانية يشبه وضع الأقليات الدينية ، ولكن مع فارق واحد . وهو أن الأقلية الدينية فى المجتمعات الاسلامية أقلية هادفة : تسعى الى المحافظة على بقائها . بينما الأكثرية المسلمة . التى تحول شأنها فى مجتمعاتها الى وضع الأقلية — هى اقلية حائرة : ليس لها إمام ولا رائد .. وليس لها سند ولا قوة .. وبينها وبين كتاب الله حجاب .

---

(١) وتواريخ هذه الحملات كالآتى :

الحملة الأولى : من سنة ١٠٩٦ — ١٠٩٩ ، والحملة الثانية : من سنة ١١٤٧ — ١١٤٩ ، والحملة الثالثة : من سنة ١١٨٩ — ١١٩٢ ، والحملة الرابعة : من سنة ١٢٠٢ — ١٢٠٤ ، والحملة الخامسة : من سنة ١٢٢٨ — ١٢٢٩ ، والحملة السادسة والسابعة من سنة ١٢٤٨ — ١٢٧٠م .



للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

طلب الى أن أتحدث عن رمضان ، وما اظن الا أن وقت الحديث عنه قد فات ، وما اظن الا انني إن كتبت عنه . قرأه الناس فى أعقابه .

ولكنى سأكتب فى بحث يتناول قدرا مشتركا يتعلق بكل من رمضان والعيد وكثير من المواسم الاسلامية الأخرى . إنه البحث فى مشكلة تحول القيم ! ..

وإنها لمن أخطر المشاكل التى تحيق بحياتنا الاسلامية والاجتماعية دون أن نشعر ، ولعل أهم أسباب خطورتها يكمن فى صعوبة التنبه اليها والشعور بها ! ..

نحن نحتفل برمضان على كل المستويات وفى سائر المرافق المختلفة، ما فى ذلك شك . نحتفل به فى أسواقنا وحوانيتنا ، ونحتفل بـــه في مساجدنا ، ونحتفل به فى اذاعاتنا المتنوعة ، ونحتفل به فى جرائدنا ومجلاتنا المختلفة، ثم إنا نحتفل به متفرقين فى بيوتنا ومع أهلينا وأقاربنا ولكنا من خلال ذلك لا نكاد نقدم لهذا الشهر أى عمل يرضى الاله الذى جعله أفضل شهور السنة على الاطلاق ! .. بل إنا لا نكاد نشعر بهذا التقصير أيضا ، لأن فى احتفالاتنا ومباهجنا الصاخبة الأخرى ما يحول بيننا وبين هذا الشعور . أى أن فى ذلك نوعا من التعويض أو الالهاء الذى ينسى الانسان حقيقة هذا الشهر ، والمهمة الحقيقية التى يجب على الانسان أن يؤديها عند قدومه .

فنحن نحتفل برمضان فى أسواقنا ، حتى لا يكاد يمر من السوق إنسان قد نسى التاريخ الا ويذكره السوق من نسيان ، وينبهه الى أنه يعيش فى أيام رمضان . ولكنه لا يرى من علائمه إلا المأكولات الموسمية



التى عرف بها وشعارات اللهو التى اقيمت فرحا بقدومه وقياما بحقه ! .

ونحن نحتفل به فى مساجدنا ، ولكنه احتفال لايبدو فى أكثر من قناديلها المضيئة ، فان ارتفع الأمر على ذلك تجلى فى أصوات القارئين وهى تترنم فى ترديد آى القرآن وترجيعه ، ومن حولهم عامة الناس ، وهم ما بين مفتون بجمال الصوت تهزه النغمة ويسكره اللحن ، ومستريح الى أنس المكان وزحمة الوافدين ، فهو يأوى اليه طلبا لراحة جسم أو هدوء بال .

ونحن نحتفل به فى اذاعاتنا المسموعة والمرئية . ولكنه احتفال على طريقتها ، خاضع لوظيفتها ، تابع لرسالتها . فهو يبدو فى أغانيها الجديدة ، وحفلاتها الساهرة الكثيرة، وملهياتها التى تفوق العد والحصر فان زاد الأمر على ذلك ، تجلى فى أحاديث دينية معينة تذاع للتشكيل والتلوين ، ليس فيها ما ينهض بالسامع الى اى اصلاح لفساد ولا إلى اى تقويم لاعوجاج . وإنما هى جزء متمم لصورة فنية فى لوحة يمكن أن يعبر بها أى فنان حديث عن شهر رمضان ! . .

وجرائدنا ومجلاتنا هى الأخرى تحتفل برمضان . ولكنه احتفال على طريقتها ، نابع من وحى رسالتها ، سائر وراء أمانيها وأهدافها . إنه احتفال يتجلى فى الرسوم وبراعتها الفنية ، ثم يتجلى فى الاستطلاعات والتحقيقات التى تكشف عن لون من الوان الحياة — أيا كانت — فى رمضان . فان زاد الأمر على ذلك تجلى فى كلمات أو مقالات تتحدث عن رمضان من بعد ، حديث متخوف يحذر من أن يدنو إليه فيتأثر به أو يقع تحت سلطان جاذبيته ! . . قد يكون الحديث متناولا لأحداث

تاريخية من تلك التى تتعلق برمضان، وقد يكون متعلقا بشيء من مباحث علوم القرآن ، وقد يكون حديثا تصويريا عن ذكريات جميلة لشهر رمضان ولكنه على كل حال ما ينبغي أن يكون حديثا جادا يهدف الى إصلاح أى فساد أو تقويم أى اعوجاج أو النظر فى أى داء من هذه الأدواء الخطيرة التى تقود حياة المسلمين إلى الدمار ! ..

ثم إنا نحتفل برمضان فى بيوتنا أيضا ، فتتداعى الأسر والأقارب والأهلون فى ليالى هذا الشهر لقتل الوقت واشاعة اللهو وفتح باب المجون ، ويمضي الليل كله سهرا فى طريق الشيطان ، حتى اذا أقبل السحر ومن ورائه الفجر والشروق — وهو أفضل ساعات العمر المتكررة فى كل يوم وليلة — جاء وقت الرقاد الثقيل بعد طعام ثقيل وبعد لهو أشد وأثقل ! .. وتتكرر احتفلات البيوت بشهر رمضان على هذا النحو ثلاثين مرة . وينسلخ رمضان وهو يشيع بهذا اللون من التقدير والتقويم ! ..

ينسلخ الشهر المبارك العظيم ، وقد أيقن الجميع أنهم أدوا رسالة الشهر — أى رسالتهم فيه — على خير ما يرام ! .. والشهر المبارك لم يفضله خالقه على سائر أشهر السنة من أجل شيء من هذا كله ، وإنما جعله الله تعالى نافذة رجوع إليه ، يراها أمامه من أغلق السبيل على نفسه بكثرة المعاصى والآثام ! .. وجعله الله تعالى مثابة اصطلاح مع الله تعالى وعهد جديد على السير فى طريقه والتمسك بمنهجه وشرعته فى الحياة . وجعله الله تعالى بارقة من الدهر ، تتكرر مرة كل عام ، تتفتح فيها آذان السماء ويصطبغ الكون كله فيها برحمة الله ، فى استقبال من جاء هاربا من ذنبه ، ساعيا وراء رحمة ربه ، يناجيه بقلب صادق الخشية والخضوع أن يغفر له أيامه الخوالى ، ويهيىء له سبيل استقامة فى بقية أيامه من الحياة .

وإنما يكون الاحتفال بشهر هذا شأنه ، بمزيد من العبودية يتجلبب بها الانسان ، وبمزيد من الوقت يوفره لأداء حق الله ، وبمزيد من الجهد يبذله للتنزه مما قد علق به من السيئات والآثام .

وما أشبه الذى يملأ أيام هذا الشهر بأفانين جديدة من لهوه ومجونه ومعاصيه ، بمن يسخر من الفضيلة التى بثها الله تعالى فيه والمزية التى اختصه بها دون سائر الاشهر والأيام . وما أقرب من استقبل مواسم الله تعالى بعكس ما قد هيأها الله له ، إلى غضب الهى يحيق به ثم لا ينفك عنه حتى يجد نفسه مثقلا بشقائه وأغلاله يوم القيامة .

☆ ☆ ☆

فاذا قضى شهر الصوم وجاء فى أعقابه العيد ، استقبله الناس — إلا من رحم الله — بنفس المقاييس المقلوبة ! ..

جعل الله العيد ، إذ يأتى على إثر الخروج من شهر الصوم ، مثابة شكر لله تعالى على أن وفق المسلم لصوم رمضان كما أمر الله وشغل أيامه ولياليه بصالح الأعمال ، فاستحق بذلك أن يكون من المغفورين والعتقاء . ثم ان الله تعالى جعل هذا اليوم (بعد ثلاثين يوما من الامساك عن الطعام ابتغاء مرضاة الله عز وجل) موعد ضيافة منه سبحانه وتعالى لعباده ، يلتقى فيه المؤمنون على مائدة الرحمن جل جلاله . فهو لذلك يوم أكل وشرب وتمتع بالطيبات التى أحلها الله تعالى يحظر فيه الصوم لأنه إعراض عن ضيافة الرحمن جل جلاله . ويندب فيه إظهار النعمة والتمتع برخائها مع الاستغراق فى شكر الله تعالى عليها ، لأنها الشعيرة المتفقة مع طبيعة ذلك اليوم . ويندب فيه ندبا عظيما تحسس أحوال المسلمين حتى إذا سمع بأسرة معوزة أو برجل فقير ، أو بذى بلاء قد نزل به ، أو رأى أطفالا لم تدخل فرحة العيد الى قلوبهم لسوء أو ضر قد نزل بهم — أسرع فواسى الأسرة المعوزة واكرم الرجل الفقير ، واعان المبتلى على بلائه ، وأدخل الفرحة إلى قلوب الأطفال المحزونين ، وذلك تخلقا بأخلاق الله عز وجل واستدرارا للمزيد من رحمته عز وجل بعباده ، فإن رحمة الله تعالى أقرب ما تكون الى العبد عندما يرى العبد أرحم ما يكون لإخوانه الذين من حوله .

فاذا رأى العبد نفسه موفقا لذلك كله ، استغرق فى شكر الله عز وجل ، وتضاءل ذليلا تحت ظلال رحمته والأمل العظيم فى عفوه . وإنما يكون ذلك بالتزام حدوده ، والسير فى منهاجه وصراطه ، والمعاهدة على تسخير عمره فى سبيل مرضاة الله عز وجل والدفاع عن دينه والدعوة إلى سبيله .

فذلك هو معنى العيد كما قد شرعه الله عز وجل . سواء جاء من وراء شهر الصوم ، أو جاء فى قمة موسم الحج الى بيته العتيق .

ولكنا نحتفل بالعيد على طريقة أخرى ! ..

نظهر النعمة لنبطر بها ، ونتقلب فى الطيبات المختلفة لنحارب الله بها ، ونعمد إلى الوقت المبارك الثمين فنقتله لهوا ومجونا وبحثا عن الوان المحرمات كلها . فما من كبيرة من الكبائر إلا وترتكب فى هذا اليوم احتفالا بقدومه واكراما لجليل قدره ! ..

فاعجب ليوم كان ظليلا برحمة الله وعظيم إنعامه ، أن ينقلب فيصبح ملونا بظلل من غضب الله وسوء عقابه .. !

واعجب لناس يؤمنون — فيما يزعمون بالله — ثم يبدلون نعمة الله كفرا ، ويعمدون إلى مواسم الخير فى أيام الله تعالى فيزرعونها معاصى وطغيانا وشرا ! ..

واعجب لناس ، يرون بأعينهم أسباب الغضب الالهى الذى حل ببنى اسرائيل بعد أن كانوا من خيرة الناس ، وبعد أن غمرهم الله بفضله ، ثم يتلمسون بتصرفاتهم ووقع أقدامهم تلك الأسباب ذاتها لا ينحرفون عنها يمنة ولا يسرة . رغم أن إنذار الله تعالى لأولئك المغضوبين لا يزال يصك أسماعهم قائلا :

((.. كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى)) .

بل اعجب لناس أفاض الله تعالى النعمة على حياتهم ، وجمع سمع الناس على أقوالهم ، أو علق أفئدتهم وأبصارهم بما قد تنفثه أقلامهم — فراحوا يسخرون نعمة الله لحرب شريعته ويستعملون السنتهم وأقلامهم لإبعاد الناس عن صراطه . حتى جعلوا لأنفسهم من السنتهم وأقلامهم العجيبة (صدقة جارية) تمدهم الى ما بعد موتهم بآثام المخدوعين بكلامهم والمأخوذين بأضاليلهم ! ..

★ ★ ★

مشكلة تحول القيم ! ..

أجل إنها مشكلة المشاكل فى حياتنا ، وليس الحديث عنها حديث العيد أو رمضان . ولكنه حديث كل مظهر أو قيمة اسلامية فى حياتنا ، لقد نجح التخطيط الماكر الخبيث فى أن يبقى عليها حتى لا تثار عواطف الاسلام فى صدور المسلمين ، على أن تفرغ من مضامينها وآثارها الحقيقية ، ثم تحشى بمضامين وآثار أخرى لا شأن لها بالاسلام ولا تحقق شيئا من مرضاة الله عز وجل .

المساجد ! .. لقد كانت المساجد فى حياة المسلمين عنوان عبوديتهم لله تعالى ، ومغتسلا طاهرا يغسل أفئدتهم وعقولهم من وساوس الدنيا وشهواتها .

وكان اذا دخلها المسلم رآها تعج بدروس العلم كله من توحيد وفقه وسيرة وتفسير ومنطق وعربية وغيرها . فمهما أصابه خارج المسجد من رشاش الشبه ووساوس الالحاد والفسوق ودخائل الريبة، وجد فى داخله ما يطرد من قلبه كل شبهة ووسواس وينبه عقله الى الحق الالهى مؤسسا على أتم قواعد العلم وأصدقها .

أما المساجد اليوم ، فهى على كثرتها واتساعها وضخامة بنيانها لا تمت بصلة ما الى تلك الرسالة التى أقيمت من أجلها مساجد الاسلام فى الأمس ! .. اللهم الا أداء الصلوات الخمس فى اليوم والليلة .

فهى ليست عنوان عبودية لله ، لأن فى فخامة فرشها وأعاجيب زخرفها وروعة أضوائها وقناديلها ما يغمر الداخل اليها فى حالة من الذهول والنسيان والبعد عن هويته الحقيقية فى هذه الحياة .

وليت شعرى الى أى مفر يتجه الفقير الذى كان يفر بالأمس من زخرف الدنيا ووساوس أصحابها وملاحقة مفاتنها الى مساجد الله تعالى ، حيث يرى فيها أمن قلبه ، وطمأنينة باله ، وتنقله رحابها الإلهية الى تصور يوم القيامة وما وراء قنطرة هذه الدنيا من أحداث الحياة الآخرة .. ؟ الى أى مفر يتجه هذا الفقير اذا اقبل الى المساجد فزاغ بصره ما بين تحف السجاد النادرة وروعة القناديل العظيمة ، ومظاهر الزخرف العجيب ورأى نفسه مشغولة فى شر مما قد أراد أن يفر منه .. ؟!

وهى ليست مغتسلا باردا يطهر قلب المؤمن من لغو الدنيا ووساوسها ومغرياتها ، لأن جميع ما حوله مغريات ومنسيات .. !

ولقد دخلت ذات يوم الى مسجد من هذه المساجد العجيبة ، فما كبرت تكبيرة الاحرام حتى انخطف بصرى الى لون السجاد الذى تحت قدمى وزخرفه الرائع العجيب ، وشرد فكرى وراء نوع هذا السجاد وقيمته ، وما صحوت الى صلاتى وقراءتى إلا وأنا أتساءل فى نفسى عن الذى تبرع به والقيمة المالية التى تستحقه ! ..

ربما كان فى المصلين من هم أقدر على حضور القلب وخشية النفس منى . ولكن المساجد ما اقامها الله تعالى إلا لاصلاح قلوب الغافلين من أمثالى واعانتهم فى طريق الصحو إلى مناجاة الله . فكيف تصلح قلوب الغافلين فى مساجد من هذا النوع ؟ ..

وهذا كله ليس نقدا على ما ينبغى أن يتصف به المسجد من متانة فى البناء ونظافة فى المظهر وجدة فى المفرش . فما ينبغى أن يلتبس على القارىء هذا بذاك .

ومساجد اليوم ليست أيضاً – إلا قليلا – مثابة لعلم ولا مرجعا لفهم ولا معتصما من زيغ . وإنما هى لأداء فروض خمسة لا مزيد عليها الا أن يتحلق طائفة من الناس على وعظ لا يغنى عن السامعين شيئا ولا يكاد يصلح لهم حالا أو يقوم اعوجاجا .

ولما أصبح الاسلام فى كثير من مساجد هذا العصر منتهيا الى الحالة التى وصفناها تيسر لكثير من الناس أن يكتبوا أو يتحدثوا عن الاسلام من هذا الجانب ، يوهم أحدهم أنه يتحدث الى الناس حديثا اسلاميا مفيدا ، وهو انما يتحدث عن فن البناء والعمران ، ويفيض فى الحديث عن مساجد عظيمة البنيان والفرش والاتساع ، وعن أبدع ما انتهى اليه الفن العربى من الزخرفة والنقوش .

★ ★ ★

وخدمة القرآن ! .. انها من أخطر القيم الاسلامية التى من شأنها أن توجه حياة المسلمين الى صراط الله تعالى وتضبطها بهديه وحكمه .

وإنما هى – فيما نعلمه من هدى الاسلام – أن يتقنه المسلمون

تلاوة ، ويعكفوا عليه فهما وتدبرا وحفظا ، وتخضع له اليابهــم وتخبت له نفوسهم ، ثم أن يقودهم ذلك كله الى الخضوع لسلطانه والدخول تحت حكمه ومنهاجه .

ولكن القرآن اليوم يخدم بطريقة اخرى ! ..

انه اليوم أهم وسيلة من وسائل التطريب (على أنا لا نمنع أن يجمل القارىء كتاب الله بصوته) ، يقرؤه التالى ليطرب الناس ، ويقبل اليه المستمعون لتهتز بأنغامه رءوسهم ! .. وهو اليوم أهم مادة لتجميل فصول الكلام ، وتدبيج الخطب والمحاضرات ، ولاتخاذه ديباجة لمختلف المجامع والحفلات .

حتى اذا نودى بضرورة تطبيق احكامه والسير في ظلال سلطانه ، اختنق النداء فى حلق المنادين ومات قبل أن يبلغ آذان السامعين ! ..

نهز الراس طربا لصوت القــارىء وهو يردد قول الله تعــالى :

« يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين .. » .

حتى اذا قام منا من يذكر المسلمين بأمر الله المطوى فى هذا الكلام ويندبهم الى تطبيقــه والأخذ به ، لوينا الرءوس إعراضــا ، وأطلقنا الألسنة نقدا واعتراضا .

★ ★ ★

إنها مشكلة كثير بل اكثر القيم الاسلامية فى حياتنا اليوم ! ..

نحتفل بها ، ونضعها من حياتنا الاجتماعية موضع التقدير والتبجيل ولكن على أن يكون التقدير والتبجيل وسيلة لابعاد هذه القيم عن حياتنا العملية ، ولحجزها عن أن تتسلل بالتأثير الى افئدتنا ونفوسنا .

نقدرها ونجلها طالما هي حبيسة عن السعى الى التاثير على حياتنا فاذا تحركت الى ذلك حركة ما تحول التقــدير كله الى حرب وصــد وإعراض ! ..

شهر رمضان .. وأيام العيد .. وموسم الحج .. المساجــد وعمرانها .. القرآن وخدمته .. كل ذلك يلبس اليوم لباسا ظاهره التقدير والتبجيل ، وباطنه الحرب والتضليل .. !

ولسنا نعنى بذلك التهوين من أمر من يخدم شيئا من هذه القيم على وجهها الصحيح ، وان لم يتمكن من إعطائها كامل حقها ، فهو مثاب ومشكور إن شاء الله ، ولكنا نعنى بما نقول التحذير ممن يتجمل بالاسلام فى التحلى بشىء من شعائره ، ضمن حدود الحلية التى وصفناها ، ثم يتبرأ من تطبيق هذه الشعائر مبادىء وأحكاما ضمن الحدود التى أمر الله بها .



للدكتور محمد سلام مدكور

عماد التشريع الاسلامي وغيره من الشرائع السماوية السابقة عليه التوجيه الى الخير بالنصح والارشاد واستصلاح العباد ، ولا يختلف الشأن فى ذلك بين ان يكون التوجيه إلزاما وتكليفا او ندبا أو مجرد إرشاد . غاية ما فى الموضوع ان الالزام بالشيء يكون على قدر ما فيه من مصلحة راجحة يترتب على تركها فساد يوقع فى عنت أو مضارة . فإذا ما ورد تحذير على لسان الشارع فإن ذلك من شأنه أن يكون فرعا على التوجيه الى الخير والدعوة اليه ، على أن نهى الشارع كثيرا ما جاء بصيغة الأمر التى تدل فى الأصل على مطلق الطلب .

والأمر فى نصوص التشريع الاسلامى من صميم مباحث علم الأصول ، لأنه قسم من كل من الدليلين الرئيسيين (الكتاب والسنة) بل هو فى الحقيقة راس مباحث علم الأصول ، لأنه هو الذى يعتمد عليه فى الانتفاع باستخراج الأحكام الشرعية التى هى عمدة دراسة الفقهاء ، والتى جعل علم الأصول اساسا

للسير فى استخراجها على مقتضاه ، ومن الواضح أن الأحكام التكليفية الخمسة (الواجب والمندوب والحرام والمكروه والمباح) كلها تدور فى الأعم الأغلب حول الأمر والنهى وصيغ كل منها ، لأن الأحكام التكليفية يعبر عنها بكل منهما .

غير أن الأمر أكثر دورانا من النهى فى نصوص التشريع الاسلامى لكثرة متعلقاته ، ولأن مسائل الاسلام وما بنى عليه من شأنها أن تستفاد بالأوامر لانها مطلوبة على سبيل الجزم وتلك هى ما بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت » . ويضاف اليها فى بعض الروايات : الجهاد فى سبيل الله .

على أن التعبير بقوله عليه السلام « بنى الاسلام على خمس » أمر بفعل هذه الأشياء إذ أن صيغة الأمر لا تقتصر على كلمة افعل ، بل تشمل كل ما يفيد الإلزام صراحة أو ضمنا (١) ، حتى نفس الأخبار التى يدل السياق فيها على طلب الفعل على سبيل الجزم مثل قوله تعالى : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين .. » وقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل وقد سأله عن عمل يدخله الجنة : « تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان .. » رواه الترمذى .

لهذا وغيره يقدم الأصوليون مباحث الأمر على مباحث النهى ، ثم يحيلون كثيرا من مباحث النهى عليه . يقول منلاخسرد فى كتابه (المرقاة) : « إنهم يقدمون الأمر لأن المطلوب به أمر وجودى وبالنهى عدمى والأدلة أشرف ، ولأنه أول مرتبة ظهرت لتعلن الكلام الازلى إذ الموجودات كلها وجدت بخطاب كن فيكون ، هذا فضلا عن أنه بالأمر والنهى تتميز الأحكام ويتبين الحلال من الحرام » ونحن نضيف أن الحلال فى الجملة يستفاد من صيغة الأمر ، والحلال أوسع دائرة من الحرام لشموله كل ما عدا الحرام فيدخل فيه المكروه والمباح فضلا عن المندوب والواجب ، كما أن النهى أحيانا كثيرة يرد بصيغة الأمر مثل ذروا واجتنبوا .. وغير ذلك .

ومما يجول بالخاطر فى هذا المقام ، ان أول تكليف ورد فى شئون البشر ما قصه الله علينا فى شأن الانسان الأول منذ خلقه الله فأمر الملائكة بالسجود له ثم أمر آدم أن يسكن هو وزوجه الجنة وأن يأكلا منها رغدا مع استثناء ما علم الله فيه مضرة بهما فى صورة نهى وتحذير إذ يقول سبحانه : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ، وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » .

فأنت ترى أن كل توجيه فى هذا النظم الكريم ورد بصيغة الأمر فيما عدا قربان الشجرة الذى هو فى الحقيقة استثناء من المأمور به المصرح بتعاطيه ولكنه ورد فى صيغة النهى لفتا للذهن الى خطورته وإشفاقا عليهما من التورط فى حمأته . فلما أزلهما الشيطان عنها أمرهما أن يهبطا منها . مما يؤيد أن التعليم والتوجيه شأنه أن يكون بصيغة الأمر .

وانظر الى دعوى كل نبى الى قومه مما أجمله الله سبحانه فى قوله : « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » فهذه الكلمة الجامعة تبين أن دعوة كل رسول تعتمد على عبادة الله باتباع أوامره

واجتناب الطاغوت وقد صدر التوجيه الى ذلك بصيغة الأمر لينبهنا الى مكانة الأوامر فى التشريع والتوجيهات .

مفهوم الأمر عند الأصوليين :

وقد حدد الغزالى الأمر بأنه : القول المقتضى طاعة المأمور بفعل المأمور به (٢) . وقال البلخى وأكثر المعتزلة : إن الأمر هو قول القائل لمن دونه افعل أو ما يقوم مقامه . وعرفه بعض أهل السنة بأنه طلب الفعل على وجه يعد فاعله مطيعا . وقال الآمدى : إنه طلب الفعل على جهة الاستعلاء(٣) .

وقد تعددت مسالك الأصوليين فى مفهوم الأمر واختلفت اتجاهاتهم اختلافا واسعا . فبينما يذهب الغزالى والبيضاوى الى أن الأمر من قبيل الكلام سواء أكان هو النفسى أم اللفظى ولذا فإنهما يأخذان فى ماهية التعريف أنه القول .. بينما الآمدى عرفه بشىء غير القول فجعله عبارة عن الطلب النفسى وتابعه فى ذلك ابن الحاجب ، وقد عرضنا كل اتجاهات الأصوليين وما دار حولها من مناقشات فى كتابنا .. الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى ودلالته على الأحكام (٤) .

وانتهينا الى أن الذى ينبغى التعويل عليه فى معنى الأمر ومفهومه هو الأمر بمعنى الصيغ والعبارات الذى يعرف بأنه اللفظ الذى يدل على طلب الفعل . فهذا هو الذى يدور البحث فى الواقع حول مدلوله من اقتضائه الوجوب أو عدم اقتضائه ذلك ، ومن اقتضائه الفورية فى الاستجابة الى أداء المطلوب ، ومن ابراء الذمة والخروج من العهدة بفعل المأمور به مرة واحدة. أم لا بد فيه من التكرار وغير ذلك من البحوث المتعلقة بالأمر ودلالته على الأحكام الشرعية . على أن الأصوليين أنفسهم تنتهى بهم بحوثهم ومناقشاتهم الى أن الأوامر الشرعية التى يحكم عليها من حيث استفادة الأحكام هى الأمر بمعنى الألفاظ والصيغ(٥) .

الصيغ المستعملة فى الأمر :

المراد بصيغ الأمر الألفاظ التى تستعمل فى لغة العرب ويستفاد منها مفهوم الأمر ، وبالاستقراء يبين لنا أن الألفاظ التى تستعمل لإفادة الأمر لا تخرج عن خمسة أشياء هى :

١ ـ صيغة افعل : اى كل لفظ يشتق على غرار افعل للدلالة على طلب الحدث الذى تشتق منه الصيغة مثل اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، ومثل استقم كما أمرت . ومثل أقم الصلاة .

٢ ـ المضارع المقترن باللام : مثل قوله تعالى : « لينفق ذو سعة من سعته » فإن مدلوله طلب الانفاق وكذلك قوله تعالى : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » فإن مدلولها طلب الخشية من الله وطلب تقواه وطلب القول السديد النافع . وكذلك قوله : « فلينظر الانسان مم خلق .. » فإن مدلوله طلب النظر والتدبر .

٣ ـ **اسم فعل الأمر :** وهو كما يقول النحويون ما ناب عن الفعل ودل عليه ومن أمثلته قول الله تعالى : « عليكم انفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » وقول الرسول عليه السلام فيما رواه أحمد والنسائى : « عليك السمع والطاعة فى عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك » وما رواه أحمد والنسائى من قول النبى صلى الله عليه وسلم : « عليك بالصوم فانه لا عدل له » ، وقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخارى « مه عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا » .

٤ ـ **المصدر الدال على الطلب :** المصدر هو ما يدل على الحدث دون الزمان . ويقول النحويون : إن المصدر قد يقوم مقام فعله فيمتنع ذكر الفعل معه (٦) . ومن ذلك قول الله سبحانه : « فضرب الرقاب » يقول الالوسى : إن ضرب منصوب على المصدر لفعل محذوف والأصل اضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وأنيب منابه مضافا الى المفعول (٧) .

٥ ـ **الخبر المستعمل فى معنى الأمر** (الجملة الخبرية) : ومما جاء من ذلك فى أساليب الكتاب والسنة قول الله سبحانه : « والوالدات يرضعن أولادهن . . » فانها جملة خبرية فى صورتها ومعناها الأصلى . ولكنها مستعملة فى أمر الوالدات بارضاع أولادهن . يقول القرطبى : يرضعن . خبر معناه الأمر على الوجوب لبعض الوالدات وعلى جهة الندب لبعضهن(٨) . ومن هذا القبيل قوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم » فقوله : تؤمنون . وتجاهدون خبران بمعنى الأمر فهما بمعنى آمنوا وجاهدوا ولا معنى لبقاء الخبر على حقيقته فى هذا المقام . لأن الخبر ما يحتمل الصدق والكذب وهذا لا يتحقق فى لفظى تؤمنون وتجاهدون فى الآية فيتعين أن يكون كل منهما مستعملا فى الأمر على سبيل المجاز كما يشعر به قوله : « هل أدلكم على تجارة تنجيكم » . .

ويقول علماء البلاغة : إن الخبر اذا استعمل بمعنى الأمر فى هذه الجزئيات كان آكد من أن يستعمل فعل الأمر نفسه فيها . . وقال صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود : إن إخبار الشارع آكد من الانشاء فى مثل هذا لأنه أدل على الموجود(٩) .

ما تدل عليه صيغة الأمر :

يسلك الأصوليون فى بيان ما تدل عليه صيغة الأمر مسالك متقاربة فى الجملة ، ولا يكاد يختلف بعضهم عن بعض إلا بزيادة أو نقص ، أو إشارة الى تداخل بعض المعانى وبعض . وقد اختلفت مناهجهم فى عرضها وعدها وإنما نستخلص لك من مجموع ما قالوه أن صيغة الأمر قد تدل على الوجوب كقوله تعالى « أقم الصلاة » وعلى الندب كقوله تعالى « فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا » وعلى الارشاد كقوله تعالى « واستشهدوا شهيدين من رجالكم » وعلى الاباحة كقوله تعالى « كلوا من طيبات ما رزقناكم » وعلى التأديب كقوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس « كل مما يليك » وعلى الامتنان كقوله تعالى « كلوا مما رزقكم الله » وعلى الاكرام كقوله تعالى « ادخلوها بسلام آمنين » وعلى التهديد كقوله

تعالى « اعملوا ما شئتم » وعلى التسخير كقوله تعالى « كونوا قردة خاسئين » وعلى الاهانة كقوله تعالى « ذق إنك أنت العزيز الكريم » وعلى التسوية كقوله تعالى « فاصبروا أو لا تصبروا » وعلى الانذار كقوله تعالى « كلوا وتمتعوا » وعلى الدعاء كقول القائل : اللهم اغفر لى ، وعلى كمال القدرة كقوله تعالى « كن فيكون » ، يقول الغزالى : إن بعض هذه الأشياء كالمتداخل(١٠) ، هذا وقد ذكر بعض الأصوليين وجوها أخرى على ما بيناه فى كتابنا الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى ودلالته على الأحكام(١١) .

وهذا الموضوع كما هو ظاهر من مباحث اللغة لا الأصول ، وإن أكثر الأصوليين لم يتعرض له إلا على سبيل الاستطراد أثناء بحثهم فيما تفيده صيغة الأمر على سبيل الحقيقة . وإن كان من الأصوليين كالغزالى والآمدى والبيضاوى من أفرد لها بحثا مستقلا ، والواقع أن البحث فى معانى صيغ الأمر التى تستعمل فيها بعيد كل البعد عن بحث الأصوليين ، وهو بحث لغوى صرف يرجع الى تنوع الاسلوب العربى واتساع دائرة المجاز فيه .

ما تفيده صيغة الأمر على سبيل الحقيقة :

الأمر إذا حفت به القرائن التى تعين دلالته فإن الحكم الذى يدل عليه هو ما تعينه القرينة . علما بأن المعنى الحقيقى على مقتضى قواعد اللغة لا يحتاج الى قرينة معينة للمراد . فمن قال : إن صيغة الأمر حقيقة فى الوجوب أو الندب أو الاباحة التى يقتصر اختلاف الأصوليين عليها ، إذ يتفقون على أن دلالة صيغ الأمر على المعانى الاخرى عن طريق المجاز ـــ لا يرى أن دلالة الأمر على شيء من ذلك تحتاج الى قرينة ، وإنما يحتاج الى القرينة لصرفه عن المعنى الحقيقى الذى وضع له إذا أريد منه معنى آخر ـــ غير أن بعض الأصوليين يرى ان صيغة الأمر مشترك بين عدة معان ، ومنهم من يرى التوقف . فهؤلاء لا بد عندهم من القرينة لفهم المعنى المراد .

هذا وينبغى التنبيه الى أن وجود القرينة مع بعض الصيغ مما تختلف فيه وجهات النظر من ناحية وجود القرينة وعدمها فقد يدل الامر على الندب عند القائلين بأنه حقيقة فى الوجوب لوجود قرينة ، بينما يرى القائلون بأنه حقيقة فى الندب أن دلالته على ذلك بأصل الوضع لا بالقرينة ، ومن ذلك اختلافهم فى مفاد الأمر بالمكاتبة فى قوله تعالى « فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » . والأمر بالانكاح فى قوله تعالى : « وانكحوا الأيامى منكم .. » على ما بيناه فى موضعه(١٢) .

اما إذا انعدمت القرائن . فإن حقيقة ما تفيده صيغة الأمر موضع خلاف واسع بين الأصوليين ، ويترتب على ذلك اختلاف أوسع بينهم فى مناهجهم الاجتهادية واستنباطهم لاحكام الفروع الفقهية .

١ ـــ فالجمهور على ان صيغ الأمر تدل فى الحقيقة على الوجوب ، واختلفوا فيما بينهم هل دلالتها على الوجوب بالوضع ام بالشرع ام بالعقل واستدلوا على انها للوجوب بجملة ادلة نستخلص من جملتها الآتى :

أ) قوله تعالى لابليس : « ما منعك الا تسجد إذ أمرتك » إذ ان هذا الاستفهام فى حقيقته توبيخ وذم وغير الواجب لا ذم عليه ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم لأبى سعيد الخدرى وقد دعاه وهو يصلى فلم يجب : ما منعك ان

تجيب وقد سمعت قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم » ؟ فهو استفهام توبيخي دل على أن الأمر يفيد الوجوب .

ب) تارك الأمر مخالف وقد توعد الله مخالف أمره بالعذاب « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

جـ) وصف القرآن تارك الأمر بأنه عاص ومن ذلك قول موسى لأخيه هارون فيما يحكيه القرآن : « أفعصيت أمرى » وكل عاص آثم ، يقول الله « ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم .. » فتارك الأمر معذب ولا معنى للوجوب إلا هذا .

د) ومما يقوله البزدوى لاثبات أن الأمر يدل على الوجوب فى أصل الوضع قوله : إن الأمر موضوع للطلب وإذا ثبت هذا كان الكمال أصلا فيه . فثبت أعلاه وهو الوجوب .

٢ — وقال عامة المعتزلة ، وهو الصحيح عند الشافعية ووجه عند المالكية وقول أكثر الحنابلة وقول جمهور المحدثين إن صيغ الأمر تدل على الندب حقيقة فى أصل الوضع واستدلوا بقول الرسول عليه السلام « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم .. » فقد رد النبى الأمر الى المشيئة وذلك ينافى الوجوب ، وكذلك فإن المندوب ما فعله خير من تركه فهو داخل فى الواجب من حيث الطلب فوجب جعل الطلب حقيقة فيه لكونه المتيقن . ودعوى غير ذلك تحتاج الى قرينة .

٣ — ويرى بعض المالكية أن صيغة الأمر حقيقة فى الاباحة . لأن الصيغة لطلب الفعل وأدنى درجات الطلب الاباحة . وهو رأى غريب لم يتجه اليه أحد .

٤ — وهناك من يرى أن صيغة الأمر مشترك لفظى .. وهؤلاء ثلاث مجموعات : فمنهم من يرى أنها مشترك بين إفادة الوجوب وإفادة الندب والقرينة هى التيتعين أيهما المراد . ومنهم من يرى الاشتراك بين الوجوب والندب والاباحة ، ومنهم من قال إنها مشترك بين هذه الثلاثة والتهديد أيضا ومن هؤلاء الشيعة .

٥ — وهناك من يرى أن صيغة الأمر مشترك معنوى . أى القدر المشترك الذى هو الطلب الشامل للوجوب والندب . وهذا الرأى منسوب للماتريدى ومشايخ سمرقند .

٦ — وهناك من قال بالتوقف وهو المنسوب الى الاسفراييني والقاضى عبد الجبار فقد توقفا عن ما هو موضوع من الوجوب أو الندب وقيل إنهما توقفا عن ما هو موضوع له على سبيل الحقيقة أصلا من الوجوب أو الندب أو غيرهما .

وقد بينا هذه الآراء بأدلتها ، ومسالك الأصوليين فى عرضها فى كتابنا الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى(١٣) . وانتهينا الى أن حقيقة الأمر بأصل وضع اللغة لا تفيد إلا مجرد الطلب . فإنها أكثر ما تستعمل فى الطلب الدائر بين الوجوب والندب ولا يعنينا أن يكون ذلك الاستعمال على سبيل الاشتراك اللفظى الذى يقتضى أن تكون موضوعة لكل واحد منهما بوضع خاص . أو الاشتراك المعنوي الذى يقتضى أن تكون موضوعة للقدر المشترك ، فالقدر الذى نستطيع أن نطمئن اليه أن هذه الصيغة تارة تكون فى الوجوب وتارة تكون فى الندب وقد يكون استعمالها فى كل منهما على سبيل الحقيقة التى تقتضى فى المشترك اللفظى وجود القرينة وتقتضى فى المشترك المعنوى تبادر المعنى عند ورود الصيغة ..

ثم ننتهى من هذا كله الى انها تدور بين هذين المعنيين : الوجوب والندب ولا نجزم بالدلالة على أحدهما إلا اذا أيده دليل آخر من أدلة الشريعة .

ما يدل عليه الأمر بعد الحظر :

يرد أحيانا الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى بعد حظر سابق وذلك مثل قوله تعالى « وإذا حللتم فاصطادوا » بعد قوله « غير محلى الصيد وأنتم حرم » ومثل قوله : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض » بعد قوله « إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع » ومثل قوله تعالى فى شأن النساء : « فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله » وذلك بعد قوله : « فاعتزلوا النساء فى المحيض » ومثل ما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها .. » .

وقد اختلفت مناهج المجتهدين من الأصوليين فى مفاد الأمر بعد الحظر ، واتجهوا اتجاهات متباينة على ما بيناه تفصيلا فى موضعه(١٤) ، وإننا نعرض هنا خلاصة ما أخذناه من مسالك الأصوليين واتجاهاتهم فنقول : إن منهم من قال : ان وقوع الأمر بعد الحظر لا اثر له ويبقى على ما كان قبل الحظر . ومن هؤلاء صدر الشريعة الحنفى وبه قال ابن تيمية إن كان الأمر من نفس الحاظر . ومنهم من قال إنه يفيد الوجوب وبه قال المعتزلة والرازى والبيضاوى من الشافعية وقالوا : إن سبق الأمر بالحظر لا يغير من دلالته ولا تعتبر قرينة صارفة . وبهذا يقول ابن حزم إذا كان الطلب بلفظ الأمر خاصة ، ومنهم من قال : إنه يفيد الاباحة وهم أكثر الفقهاء والمتكلمين وابن السبكى الشافعي وهو اختيار الكمال بن الهمام الحنفى ، ومنهم من قال إنه يفيد الندب وقد نقل هذا صدر الشريعة ، ومنهم من توقف كالغزالى والآمدى وإمام الحرمين .

وقد عرضنا فى كتابنا الأمر عدة نصوص من القرآن والسنة(١٥) وبينا أثر الاختلاف فى دلالة الأمر فيها على الأحكام الفقهية ، ومن ذلك ما فهموه من قوله تعالى : « يا أيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم » الى قوله سبحانه : « وأشهدوا ذوى عدل منكم » .

فقد اختلف كل من المفسرين والفقهاء في مقتضى الصيغة وفي متعلق الاشهاد فقال الإمام الرازى الشافعي : أمروا أن يشهدوا عند الطلاق وعند الرجعة . وهذا الاشهاد مندوب اليه عند أبى حنيفة ، أما عند الشافعي فواجب في الرجعة مندوب اليه في الطلاق(١٦) . ونقل القرطبي المالكي مثل ذلك وزاد عليه أن احمد بن حنبل أوجب الاشهاد في الرجعة في احد قوليه(١٧) ، وجاء في تفسير المحيط لأبي حيان أن ظاهر قوله (وأشهدوا) وجوب الاشهاد في كل من الرجعة والطلاق(١٨) . وتنص كتب الحنفية على أنه يستحب الاشهاد على الرجعة لزيادة الاحتياط(١٩) . بينما يقول ابن رشد المالكي : تشبيه هذا الحق بسائر الحقوق يقتضي أن لا يجب الاشهاد . فكان الجمع بين القياس والآية يقتضي حمل الآية على الندب وهو مذهب مالك(٢٠) . ويقول الرملي الشافعي : المذهب الجديد للشافعي أنه لا يشترط الاشهاد على الرجعة بناء على الأصح من انها في حكم الاستدامة بل يندب ، وصرف الأمر عن الوجوب إجماعهم على عدمه في الطلاق فكذا الامساك . وفي القديم اشتراط الاشهاد(٢١) . وينقل ابن قدامة الحنبلي روايتين عن الحنابلة في الشهادة على الرجعة إحداهما تجب لأن

ظاهر الأمر الوجوب ، والثانية لا تجب مع حمل الأمر على الاستحباب (٢٢) . ويشترط ابن حزم الظاهرى لصحة الرجعة الاشهاد وإعلام المطلقة(٢٣) . بينما يرى الجعفرية أن الأمر يفيد الوجوب ، وأنه متعلق بالطلاق لأنه المقصود الأصلى فى النص (٢٤) . ويرى الزيدية أنه لا يجب الاشهاد فى الرجعة ، والأمر وإن كان للوجوب فإنه عائد الى التسريح مخافة الانكار لكنه فى الرجعة مستحب(٢٥) . وقد اتجهنا الى إفادة الأمر للندب فيهما ، وهذا لا يمنع إلزام ولى الأمر بالاشهاد على الطلاق والرجعة مسايرة لمصالح الناس ، ومع هذا فإن هناك قرائن ترجح إفادة الوجوب فيهما(٢٦) .

وبالنسبة للأمر بعد الحظر فإننا نستطيع أن نقول : إنه يعود الى ما كان يقتضيه الأمر قبل الحظر من وجوب أو ندب وإن كان يكثر فى إفادة الاباحة لكن بمعونة القرائن أيضا مما دفع الأكثريين الى القول بأنه يفيد الاباحة .

وإننا نختتم الموضوع فى مقال آخر نتكلم فيه عن الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى من ناحية إفادته طلب الفعل مرة تبرأ بها الذمة أم لا بد من التكرار ، وهل يقتضى الأمر الاستجابة على الفور أم لا يقتضى ذلك ..؟

---

(١) راجع لنا فى تفصيل ذلك كتاب « الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى ودلالته على الاحكام » مطبوع سنة ١٩٦٧ . دار النهضة العربية بالقاهرة .

(٢) المستصفى هـ ١ ص ٤١١ .

(٣) الاحكام للآمدى هـ ٢ ص ١٨٨ .

(٤) من صفحة ٣٩ — ٩٦ .

(٥) المرجع السابق من ٩٦ — ١٠٤ .

(٦) انظر التوضيح والتصريح هـ ١ ص ٢٣٠ .

(٧) روح المعانى هـ ١٦ ص ٣٩ .

(٨) الجامع لاحكام القرآن هـ ٣ ص ١٦١ .

(٩) التوضيح هـ ٢ ص ٤٤ .

(١٠) المستصفى هـ ١ ص ٤١٩ .

(١١) من صفحة ١٢١ — ١٣٣ .

(١٢) الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى ص ١٧٦ — ١٨٢ .

(١٣) من صفحة ١٣٧ — ١٧٦ .

(١٤) الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى من صفحة ١٨٣ — ١٩٦ .

(١٥) من صفحة ١٩٧ — ٢٣٦ .

(١٦) التفسير الكبير هـ ٣ ص ٣٤ .

(١٧) الجامع لاحكام القرآن هـ ١٨ ص ١٥٧ .

(١٨) هـ ٨ ص ٢٨٢ .

(١٩) الهداية والفتح هـ ٣ ص ١٦٢ .

(٢٠) بداية المجتهد هـ ٢ ص ٧٠ .

(٢١) المنهاج وشرحه هـ ٧ ص ٥٤ .

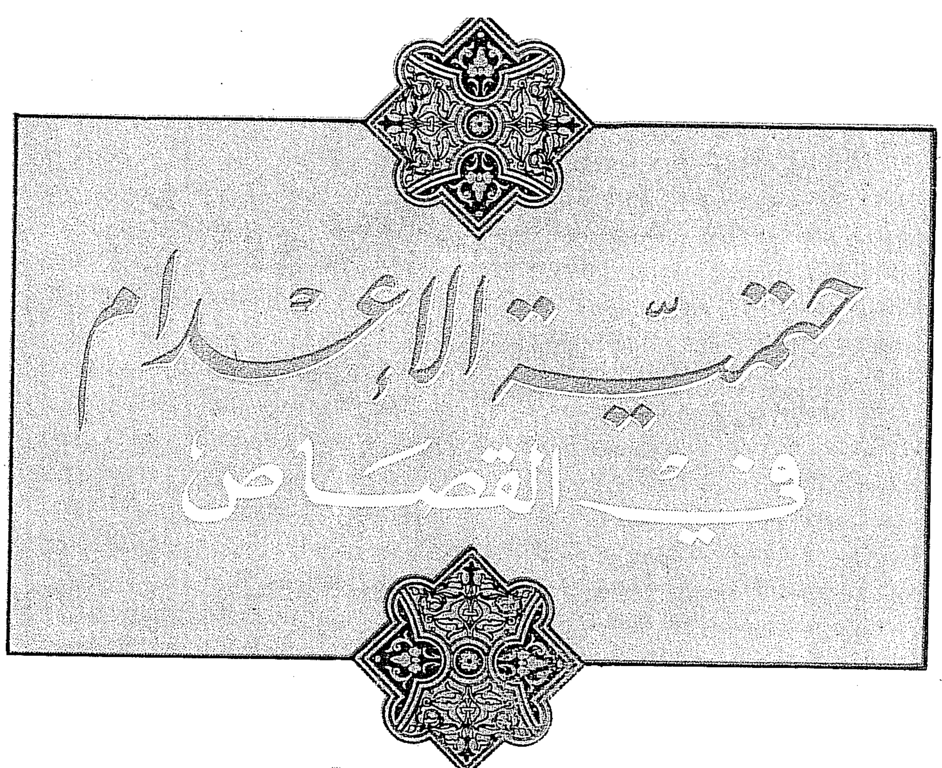
(٢٢) المغنى هـ ٧ ص ٢٨٢ .

(٢٣) المحلى هـ ١٠ ص ٢٠٥ .

(٢٤) قلائد الدرر فى بيان آيات الاحكام هـ ٣ ص ٢٢٨ .

(٢٥) البحر الزخار هـ ٣ ص ١٠٧ .

(٢٦) انظر ما قلناه فى صفحة ٢٠٤ .



للأستاذ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

تطبيق العقوبة الشرعية من لوازم الإيمان

المؤمنون بوجود الله لا بد أن يؤمنوا بصدقه ، وبمعقولية شرعه : لأن من لوازم الايمان بالله : اليقين التام بأن هذا الوجود (بما فيه) خلق الله .. وخالق الخلق اولى بتنظيم حياتهم ، لأنه أعلم بما يصلحهم (بحكم أنه خالقهم) .. وبحكم أنه موجد الحقيقة ، وأن الخلق يكتشفونها .. وموجد الحقيقة أولى بالاتباع ممن يحاول اكتشافها ..

وهو أحق — بحكم أن الكون ملك الله ، فكان أحق بتدبيره ..

أما من يؤمن بالله ولا يطبق شرعه فايمانه مزيف ، لأن عدم التطبيق عصيان ، وجحد لحقه في التدبير ، وشك في صحة ومعقولية شرعه ، وكل هذه مخرجة من الملة ..

وطريقنا الى شرع الله نصوص من الكتاب والسنة ، وهذه النصوص يدخلها النقد من ثلاثة وجوه لا رابع لها (بحكم القسمة العقلية) .

فالوجه الأول : نقد النص من ناحية ثبوته عن الشارع .

والوجه الثانى : نقد النص من ناحية صحة دلالته ..

والوجه الثالث : نقد مقتضى النص الذى صح ثبوته وصحت دلالته .

والوجهان الأولان واجبان على المجتهد لا يعذر بعدم تمحيصهما مع قدرته .. والوجه الثالث : كفر سافر ، لأن النص اذا صح ثبوتا ودلالة فلا يسع المسلم الا تطبيقه .. فان توقف فلا يخلو من أن يكون معاندا أو شاكا فى صدق ربه ، أو متهما دينه بالسهو والنقص ، مجهلا

له ، وكل واحد من هذه الامور مبيح للدم ، مخرج من الملة .

والعقوبة الشرعية من المسائل التى جاءت بنصوص صحيحة الثبوت والدلالة . اذا توقف فيها مؤمن بالله لم نزد على مجادلته بقولنا : قال الله ، وقال رسوله ، بالنص الصحيح الدلالة والثبوت .. فان كان مؤمنا حقا انصاع وانقاد لأمر ربه ، وقلبه واجف .

أما الملحدون فلا ينقادون لشرع الله ، لأنهم لا يؤمنون بالله ، والايمان بشرعه فرع عن الايمان به .

وهؤلاء يغالطون المؤمنين بحجج العقول فى تبرير(1) .. والغاء العقوبة .. ولايمانى بأن شرع الله شرع من خلق الحقيقة دلفت الى هذا النقاش العقلى لكل من ينكر العقوبة الشرعية .. وأنا على يقين بأن للمسلم من وضوح الحجة ما يختال به على كل الافكار المتعفنة وان ارتادت الجامعات الاجنبية وتباهت بالمؤهلات العالية .. !

والسر فى ذلك : أن المسلم ينصر حقا ، والحق عملاق فى كل مطرح .

ولتحرير موضوع البحث أحب لفت الانتباه الى أن العقوبة الشرعية متنوعة من حيثيات كثيرة .. وهذا المقال لا يتسع لنقاش لاهث مع كل حيثية ، فآثرت أن أذكر المنهج العقلى العام فى الشريعة لحماية المجتمع من الجريمة .. ثم أطيل النفس مع نوع واحد هو موضوع القصاص فى النفس وليلاحظ أن منهج من سيبحث معقولية العقوبة الشرعية عليه أن يلاحظ المفارقة بين أمرين :

أحدهما : نوعية العقوبة (فى كميتها وكيفيتها) .

وثانيهما : العقوبة فى ذاتها .

فأما نوع العقوبة ــ كمية وكيفية ــ فلا نبحث معقوليته بالحكمة المنبعثة ، وانما نثبتها بايراد البراهين الدالة على وجود الله وكماله ووحدانيته .. فاذا تقررت حقيقة الايمان ، فليقل المؤمن : ان الحق الواحد الكامل أمرنى بأن أجلد الزانى غير المحصن مائة جلدة .. أما كونه لم يأمرنى بتسعين أو بمائة وعشر فذلك محض ارادة الله وتعبده ايانا ، لا يحق لنا أن نقدم بين يديه .. والقاعدة أن ما لا تظهر حكمته محمول على التعبد المحض .. وبرهان التعبد هو برهان العقيدة ، فاذا ظهرت الحكمة فلا بأس من الاستئناس بها ، فربما قال المجادل : لم جعل ربنا عقوبة المحصن الرجم ولم يجعلها ضربة بالسيف .. ؟ هنا قد تلوح الحكمة فيقول المسلم : لفرض تعميم العذاب على الجسم الذى تبددت فيه شهوة الجماع الحرام .. وربما قال المجادل : لم كان هذا التبديد بالرجم ولم يكن بالوخز بالابر .. ؟

وربما قال المؤمن : ان الوخز بالابر ميتة بطيئة ، والعذاب فيها أشد فنافى مقصد الشارع . وسواء أحصلت القناعة وانقطع النزاع أم لم تحصل ولم ينقطع فلا يجوز للمؤمن أن يركن الى الحكمة المظنونة فى تحديد الكمية والكيفية وانما يمتثل باطلاق .. وليصر فى المجادلة على جانب التعبد وبرهانه الذى هو برهان العقيدة .

أما العقوبة من حيث انها عقوبة فتثبت بالنقاش العقلى المجرد ، فاذا ثبتت فى ذاتها فلن يتم تنفيذها حتى

---

(1) تبرير : بمعنى تسويغ وقد أنكرها بعض المعاصرين من علماء اللغة ، ونحن نستخدمها مقتنعين بجوازها .

يعرف تقديرها كمية وكيفية .. ومن هنا يلتفت المسلم مرة ثانية الى مسالة العقيدة يدلل على كمال الله والوهيته ليصل الى نتيجة : أن اختيار خالق الخلق أولى لنا من اختيارنا ، لأن شرع الله مبرأ من السهو والجهل والنقص .

اما البشر فهم الساهون اللاهون مهما بلغ علمهم ، فهم محكومون بزمانهم ومكانهم وشهواتهم .

وان لعقوبة الاعدام أحكاما فقهية كثيرة تتعلق بالقصد وعدمه ، وبكيفية الاستيفاء ، وبمن له حق الاستيفاء .. الى آخر تلك الاحكام فلن نمس منها الا جانب حتميةالعقوبة ووجوب تطبيقها ..

المنهج العقلى العام فى الشريعة لحماية المجتمع من الجريمة :

يلاحظ أن العقوبة مرتبة على جريمة بعينها ، ولكن الفاحص يدرك أن الجريمة فوق مستوى العقوبة ، لأن الجريمة سلسلة مخالفات شرعية فجاءت العقوبة حدا فاصلا . خذ مثال ذلك : القتل ينجم عن شهوة غضبية فى الجبلة البشرية ، وقد هذبت النصوص هذه الشهوة الغضبية بالحث على الحلم ومكارم الاخلاق والمسامحة والرحمة وتجنب هوشة الاسواق والنهى عن المازحة بالسلاح وتهديد القاتل بالخلود فى النار . والنهى عما يفقد الوعى من المخدرات ومن سورة الغضب الطائشة ، والنهى عن مسببات النزاع كالقمار وبيع الغرر .. ثم جاءت المقاصة فى القتل حدا فاصلا بعد تخطى كل هذه الحواجز .

وكل هذه الاجواء الشرعية يقتضيها العقل ولا يستحسن غيرها ، وخذ هذا الجو من تلك الاجواء الشرعية ..

قال تعالى : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ » .

وقال : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كما فى صحيح البخارى) : « لا يزال المؤمن فى فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما » .

وقال صلى الله عليه وسلم (كما فى صحيح البخارى ايضا) : « ان من ورطات الامور التى لا مخرج لمن اوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله » .

وخذ مثالا آخر لذلك المنهج العقلى العام من جريمة الزنى فانها تنجم عن شهوة بهيمية فى الجبلة البشرية ، وقد هذبت النصوص هذه الشهوة بالامر بغض البصر والسمو بالغريزة والتأكيد على من يجد الطول بأن يتزوج والعزم على المؤمنات بأن يسترن زينتهن وبالنهى عن دخول البيوت بغير اذن وبالامر بخفض الصوت .. ولم يوجب الحد الا بشروط لا تتوفر الا اذا كان السفاح علنا ، فجاء الحد حكما عازما جازما بعد تخطى كل هذه الحجز .

فالجد فى نوافل هذا الدين ترويض على عزائمه .

فصح أن العقوبة الشرعية جاءت بعد تخطى عدد من الحدود والتعليمات الشرعية ، وصح انه لولا ذلك التخطى المتتابع لما كانت هذه الجريمة .

ومن المسلم به ان المعاصى يجر بعضها بعضا ، وان الادمان على

الصـــغائر يجر الى الـــكبائر والذين يتعاظمون العقوبة العادلة (لمرض في قلوبهم) تصغر في أعينهم الجريمة التي هي جريمة بنت جريمة ، وهذا ما لاحظه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : « لا يزني الزاني حين يزني وهـــو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربهـــا وهو مؤمن » .

شبه منكري الإعدام :

تعلق نفاة المقاصة في النفس من القـــانونيين بأمور أهش من أعواد الخروع .. فقالوا : ان القتل قسوة ووحشية .. وان أمور الناس يجب أن تقوم على الرحمة والعطف .

وقالوا : ان القتل مقاصة لا تردع لأنه يموت المجـــرم ولا تمـــوت الجريمة ، ولأن الاعدام لا يخيف من لا يعرف أنه سيقتل اذا قتل .

وقالوا : ان الاعدام يفقد المجتمع نفسين .. !

وقالوا : ان المجرم غير مســـئول عن اجرامه .. وانما تقع المسئولية على البيئة التي نشأ فيها من أمور وراثية وظروف حياتية .

وندمغ هذه الفلسفة المريضـــة ونناقشها من ثلاثة وعشرين وجها هي كالتالي :

الأول : اننا لا نماري في وجوب وضرورة الرحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء ، ولـــكن الرحمة لا تفسر بتعطيل العقوبة ، وانما تفسر برحمة الجماهير والضعفاء والمساكين والآمنين المعصومة دماؤهم .. فاذا لم نردع المجرمين بالعقوبة فانما نجني على المجتمع في الاخلال بحماية أمنه ونظامه .

الثاني : ان تعطيل العقـــوبة ظلم للمجني عليه ، والرحمة أن نمسح دمعة أوليـــائه بتطبيق العقوبة على الجاني .

والأمة الصالحة هي التي لا يضيع الحق بينهـــا .. فصـــح بهذين الوجهين : ان رحمة يترتب عليها ظلم المجتـــمع وظلم المجني عليهم وتأييد الظالم على ظلمه (بحجة الرحمـــة) تعتبر نكسة فكرية .. واظلم الناس من ظلم الناس للناس .. !

والرحمة رقة عاطفيـــة فلا نمنع المسلم من رحمة جان مسلم ينفذ فيه حكم الاعدام فيستغفر له ويرجو الله أن يجعل ذلك طهرة له ويشفق على اخوانه المسلمين من تكرر هذا المنظر .. ولكن لا يجوز أن تتعـــدى هذه الرحمة الى تعطيل الحد ..

وهذا ما لفت اليه القرآن الكريم في عقوبة الزنى في قولى تعالى : « ولا تأخذكم بهمـــا رأفة في دين الله » .

الثالث : ان رحمة الجاني رحمة تحول دون معاقبته وضع للامور في غير موضعها . لأن رحمة الجاني ان كانت خيرا يعارضها مفسدة الاخلال بالأمن ومفسدة تضييع الحق ومفسدة عصيان الشرع المؤيد بنظر العقل .. ومن بدائه العقول : ان المصـــلحة تعطل اذا عارضـــتها مفسدة أرجح منها .

وقلنا : قد لا تكون رحمة الجـــاني خيرا لأنه لا يوجد أي شيء يتمحض للخير او الشر .

الرابع : انه لا يملك رحمـــة الجاني ــ رحمة تحـــول دون أخذ الحق منه ــ الا من يملك الحق وهو المجني عليه أو وليه .. ولهذا فالولي مأمور بالرحمة والصـــفح ، فهذه الرحمة ليست من حق القـــانون ، ولا من حق السلطان ، ولا من حق المجتمع .

الخامس : ان رحمة الجاني — بتعطيل العقوبة — تأييد للجناية .. فاهدار دم معصوم على يد سفاح آثم (بحكم القانون) اشتراك مباشر فى الاثم : لأن من المشاركة التأييد .

السادس : أن تعطيل العقوبة الشرعية تشجيع للجريمة بطريق غير مباشر (من وجه آخر) لأن أولياء القتيل لا يصبرون على مضض، ولأنه السبيل أمام كل مجرم (ما دام أنه يضمن حياته) .

السابع : أن تنفيذ العقوبة فى الجانى جار على قاعدة منطقية تؤمن بها كل العقول ، وهى أن الجزاء من جنس العمل فلا ظلم ولا تفريط فى مقاصة عادلة ومحاصة دقيقة .

الثامن : أن أصدق البراهين ما جرب .. والتجربة دلت على أن العقوبات ضرورة حتمية لحفظ النفس .. ويزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

ولم تقع الفوضى وتهدر الدماء وتتألب اللصوص الا فى مجتمع انفصلت فيه سلطة القانون عن واقع المجتمع .

التاسع : أنه من الافضل الا يخسر المجتمع أى نفس فى غير جهاد مقدس ، ولهذا المبدأ حرص الاسلام على عصمة الدماء ولا ريب أن استحياء الجانى هلاك لنفوس كثيرة ، وهذه من بدائه القرآن فى نصه : « ولكم فى القصاص حياة » .

العاشر : أن استحياء الجانى مبنى على الرغبة فى تكثير سواد المجتمع بالا يخسر نفسين ، ولكن الثابت عقلا أن المجتمع يخسر نفوسا كثيرة باستحياء الآثمين .. والقاتل بغير حق يجب أن يستشفى المجتمع باستئصاله ، لأنه عضو غير صالح .

الحادى عشر : أن القاتل حرم غيره الحياة فليحرم الحياة مثله ، فهذا حق لا تسقطه الرغبة فى تكثير سواد المجتمع .. ولا مجال للمعارضة بين حق واجب وأمر مستحسن .

الثاني عشر : أن تعطيل العقوبة قائم على مثالية موهومة تستبشع منظر القتل .

ونحن نقول : ان سر المعقولية فى بشاعة العقوبة .. ونقول (مرة أخرى) : ان الجريمة أبشع ، ولا بد للانسانية من سيف يحميها . ولولا بشاعة العقوبة ما ارتدعت النفوس . ولم يأمر الله بحضور طائفة من المؤمنين الا لاحياء الحدود واعلانها لترتدع النفوس التى تستبشع منظر السيف فى خبطاته .

الثالث عشر : أن الناس ليسوا فى جملتهم على مستوى المسئولية بحيث نتركهم لمثالية موهومة ، فقد اقتضت حكمة الله (كما هو معاين) أن فى المجتمع نفوسا شريرة لا يردعها خوف من الله فى يوم مؤجل ولاحياء من المجتمع ، فلا ترتدع الا بعقوبة عاجلة منظورة .. وردعها بالقتل يعنى عصمة المجتمع من شرها .

الرابع عشر : أن الجريمة ظلم والعقوبة مجازاة وردع ومقاصة ، ولا يستحسن العقل غير هذا .

الخامس عشر : أن المبدأ العادل والقانون الفكرى الصحيح الذى تجمع عليه كل العقول السليمة : أن يكون المجرم مسئولا عن اجرامه ،

وهذه المسئولية تستوجب عقوبة معينة الا انها تسقط أو تنقص أو تخف لأمر يتعلق بارتباط المجرم بجريمته ، وذلك الرباط هو « قصد الجريمة بغير حق » . ولسنا نطل على هذا الرباط من زاوية الوراثة والبيئة باجمال ، بل نطل مع الزاوية التى لها تأثير فى القصد ، فالمجنون يحجز ولا يقتل ، لأنه غير قاصد ، أو قل : لأن قصده غير معتبر .. ومن أراد أن يرمى صيدا مباحا فأصاب آدميا معصوم الدم غير قاصد قتله ، فلا يعدم ، لأنه غير متعمد الجريمة .. ومن ضرب آخر بعصا فمات لم يعدم ، لأن العصا فى العادة والعرف لا تقتل .

والتعدى بآلة لا تقتل غالبا دليل قطعى على عدم قصد الجريمة الا أن يوجد ما ينافى هذا القصد ، كأن يكرر ضربه وهو مريض ، أو يعيد الضرب فى مقتل .. الى آخر ما هنالك من جزئيات وتحفظات ومقارنات دقيقة تحفل بها كتب الفروع .

السادس عشر : أن الذين لديهم أمور وراثية كتوتر الاعصاب أو سوء التربية أو بؤس الحياة لا تغتفر جريمتهم ما دام انهم يخططون للجريمة بتنظيم قاطع على ذكائهم وتعمدهم ، وما داموا يعرفون انهم بالجريمة يحرمون أخا لهم حظه من الحياة ويتركون أولاده للبؤس والشقاء .. !

فنحن بين أمرين : هما القصد ، والحافز على القصد .. فلا نقتل الا القاصد ، ولا نغتفر من الحوافز الا ما كان حقا .. فالبائس الذى يقتل تاجرا ليأخذ ماله لا يبرر جريمته أنه بائس فى حياته ، لأن بؤسه ليس حقا متعينا على التاجر .. وانما البؤس والبحبحة قسمة من جعل هذا أصم وهذا أعرج وهذا أعمى وهذا مجنونا وهذا قوى البنية مكتمل الخلقة جميل الطلعة مبسوط الرزق مشروح الخاطر .

والحشاش الذى يقتل محادثه لأدنى مجادلة لا يغفر جريمته توتر أعصابه لأمر واحد شاهدناه وعايناه وهو أن هذا الصنف من الناس كثيرون ، ولكنهم ضبطوا أعصابهم على رغمهم لأن العدالة لا ترحم وسيوف الله مصلتة .. وما هذه القوة من جنود وسيوف وحشود الا سلطان الولى الضعيف .. أولم يقل سبحانه : « **فقد جعلنا لوليه سلطانا** » .

ولهذا لو أخذنا بما يسمونه وراثة وبيئة وسلطة وسوء تربية وحرمانا لما وجد على ظهر هذه المعمورة مجرم مدان ، ولأصبح المجرمون جميعهم بريئين .

السابع عشر : أن البائس يتعجل بؤس غيره لينعم مكانه ، فالعدل أن يعامل بنقيض قصده والعدل الا نعالج بؤسا ببؤس ولا ريب أن اسقاط حكم الاعدام هنا تبرير للجريمة .. وهذا التبرير يعنى ذلك العلاج المرفوض عقلا .

الثامن عشر : أن تعطيل حكم الاعدام بالردع اقتصار على جزئية من العلة ، فاننا نقول : الاعدام ضرورة للردع ، وعلى فرض أنه لا يردع (وذلك باطل بيقين) فلا يسقط حكمه ، لأنه حق طرف معين لا يسقط الا برضاه .. فالحق حق واجب لذاته لا لغيره .. ونقول : ان الاعدام لا يقضى على الجريمة ، لأننا آيسون من مجتمع مثالى ملائكى لا يجرم ولا يخطىء ، ولكننا نؤمن بأن المجرمين يقلون فلنطاردهم .

ولا ريب أنه بقلة المجرمين تقل الجريمة لبديهة أن لا جريمة بدون

مجرم ، ولبديهة أن ما لا يدرك كله لا يترك كله ، ولبديهة أننا نملك السبب ولا نملك ما يتسبب عنه ، الا ان هذا السبب ناجح فى الغالب ، فلا يجوز لنا (عقلا) أن نترك ما نملكه لشيء لا نملكه كما لا يجوز أن نترك امرا راجحا لأن هناك احتمالا مرجوحا ، والا كانت نكسة فكرية .

التاسع عشر : ان قولهم مطاردة المجرم لا تقضى على كل جريمة منبثق من القول بعدم جدوى الاسباب ، وهذه نكسة كما قلت ..

ومن ناحية ثانية فذلك القول كلام مجمل لأن المجتمع الذى يسود فيه نظام الاعدام بحق يقضى قضاء مبرما على الاجرام الجماعى لأتفه الحوافز .. وقلما وجد من يرتكب جريمة القتل آلا لحافز قوى جاء نتيجة لسوء تصرف المقتول .

فصح بيقين أن مطاردة المجرم تقضى على شكل مروع من اشكال الجريمة .

العشرون : أن حصول الردع بالعقوبة أمر مجرب — كما بينته آنفا — وانما غلط النافون بظنهم أن الناس كلهم لا يرتدعون بالعقوبة وغلط المثبتون بظنهم أن الناس كلهم يرتدعون بالعقوبة .

ومذهبى : أنه يحصل ردع ، والمرتدعون هم الجمهور بيد أن من كتب الله عليهم الشقاء لا يعتبرون بعقوبة غيرهم فيرتدعون .

فهذه ثلاثة أمور : ارتداع بالجملة وهذا لا يحصل ، ولو حصل لكان خيرا كثيرا . وعدم ارتداع بالجملة الا أن التجربة أثبتت ارتداع الكثيرين .

وارتداع ولكن ليس بالجملة .. لا ريب أن ارتداعا ليس بالجملة خير من عدم ارتداع بالجملة . والشاهد على هذا أن الجريمة فى المملكة العربية السعودية عام ١٣٩١ هـ .. ليست كالجريمة فى النصف الاول من القرن الرابع عشر للهجرة من ناحية كميتها وكيفيتها .

فان قالوا : هذا عامل الحضارة قلنا : كذبتم وأفكتم لأن جريمة النصف الاول من القرن الرابع عشر فى بلادنا هى الجريمة ذاتها (كما وكيفية) عام ١٣٩١ هـ فى البلاد التى هى اكثر منا انسياقا للمدنية .

الحادى والعشرون : ان الاجرام هو الاجرام ان لم ينتج عنه ارتداع سفاح آخر فان المجتمع على اقل تقدير تفادى شرا ، فتقليل السفاحين مصلحة ماثلة ان تعذر ارتداع كل السفاحين . وهذا غير احد الوجوه السابقة لأن ذلك الوجه عن تقليل المجرمين من ناحية القضاء عليهم فيستريح المجتمع من شرهم .

الثانى والعشرون : ان قول الاسكندنافيين : عملية الاعدام لن تحقق العبرة ما دام الاعدام لن يخيف من لا يعرف أنه سيقتل ، فيه مغالطتان :

اولاهما : ان الجهل بالقانون لا يبرر تعطيله ، وليست معالجة الجهل بالقانون فى تعطيله بل لا بد من اشاعته .. ولا ريب أن الانتصاف للدماء المراقة فى كل جمعة على رؤوس الاشهاد سينبه كل من لا يعرف لأن يعرف ، وليس يخفى اليوم الا ما لا يكون .

وأخراهما : أن من لا يعرف أنه سيقتل اذا قتل يعرف وبيقين أن القتل جريمة .. ويعرف بعقله (ان لم يكن ذا دين) : أن الجزاء من جنس العمل .

الثالث والعشرون : ان للاعدام مبرراً غير مجرد تحقيق العبرة ، وغير مجرد تعيين الحق ، وهو اشاعة العدل ، فلن تطيق العدالة اهدار الدماء ، ولن تطيق العقول الصحيحة جفنها على حياة سفاح تقوم على اهدار دم معصوم .

وجوب العدالة فى التطبيق :

وبعد نقض فلسفتهم الرعناء فى تعطيل العقوبة أود ملاحظة ان العدالة فى التشريع ذات شقين :

عدالة النص فى حقيقة تشريعه ، لأنه من عند الله والله لا يقول الا حقا ،ولا يشرع الا عدلا .

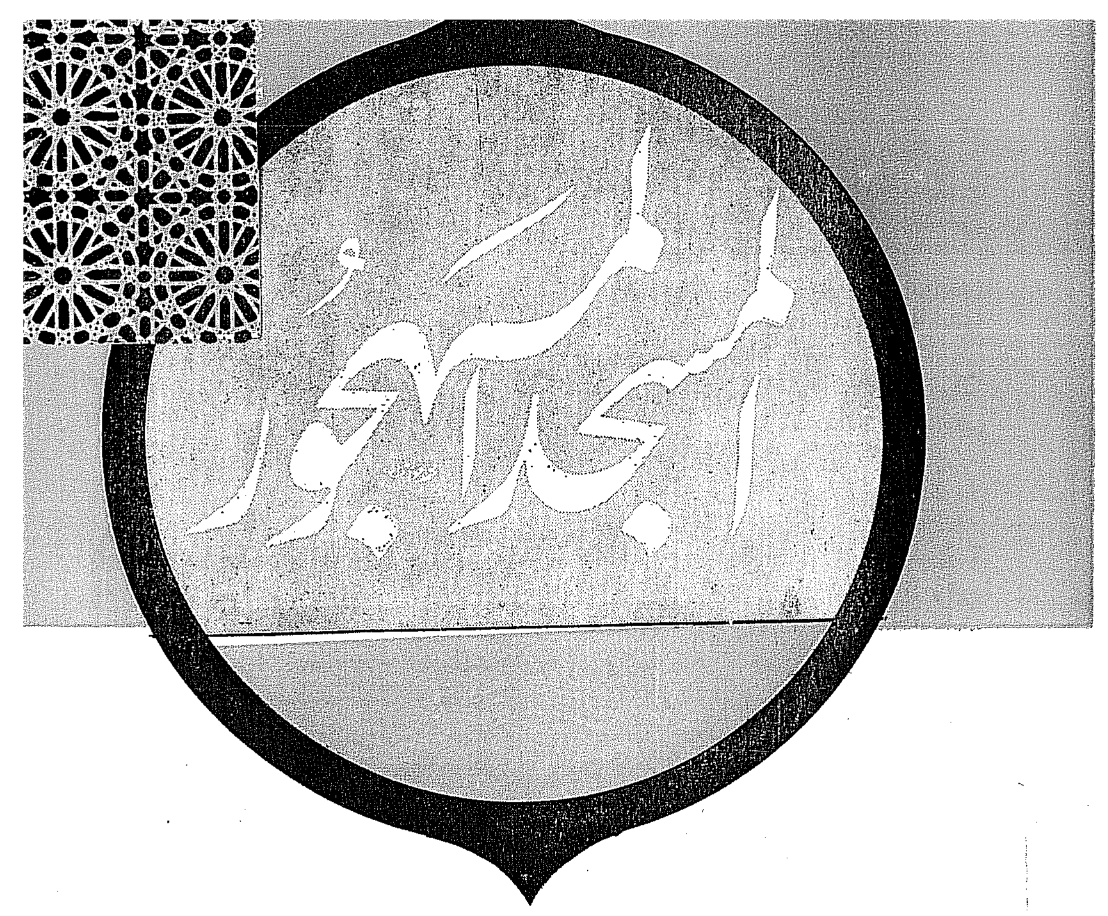
والعدالة فى تطبيقه : بأن يكون الحكم مطابقا لواقع القضية ــ بحكم اجتهاد القاضى وصلاح سريرته ــ والا ننقص من الحد ، لأن الله ارحم منا ، ولا نزيد فيه ، لأن الله أحكم الحاكمين .

ونطبقه على أنفسنا فلا نحابى بحكم الله قريبا أو عظيما .. فحذار أن تدركنا خطة بنى اسرائيل .. واقول هذا على مبدأ « يا ايها الذين آمنوا آمنوا » .

وليس الحيف فى تطبيق الحد الشرعى بأقل خطورة من تعطيله ، فالمعطل والجائر كلاهما آثم ظالم .. والعدالة قوام الملك .

وبعد فان واقعنا العربى بحاجة الى شباب يؤمن بالله ويقول عقب كل صلاة : اللهم ابرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ، ويذل فيه أهل معصيتك .. ويقول : اللهم أصلح ولاة امورنا .

وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٢﴾



للواء الركن محمود شيت خطاب

— ١ —

طوّحت بى ظروفى الصحية القاسية ، بعيدا عن بلدى ، فقصدت قرية من قرى بلد عربى شقيق ، طلبا للاستشفاء والاستجمام .

وأجبرتنى ظروفى العائلية الصعبة على سكنى فندق من فنادق تلك القرية ، خلافا لرغبتى التى لا تحب سكنى الفنادق ، وتؤثر عليها سكنى الدور .

ولعلّ مما شجعنى على اللجوء الى هذه القرية النائية ، والى هذا الفندق القريب من تلك القرية ، هو وجود مسجد فيها : أصلى فيه صلاة الجمعة ، وأصلى فيه صلاة الجماعة فى بعض الأوقات ، وأسمع صوت المؤذن يدعو للصلاة فى الأوقات الخمسة ، وحسبى أن أكون (جار المسجد) لتحل علىّ بركاته ويمدنى بالسكينة والاطمئنان .

ولكن هذا المسجد العامر بذكر الله فى العام المنصرم ، أصبح هذا العام مهجورا .

كان فى العام المنصرم تقام فيه الصلوات الخمس جماعة ، فأصبح هذا العام لا تقام فيه الصلوات .

وكان فى العام المنصرم عامرا بالمصلين ، فأصبح هذا العام مقفرا من المصلين .

وكان صوت المؤذن يلعلع كل يوم خمس مرات ، فأصبح هذا العام لا يسمع أبدا إلا فى موعد صلاة الجمعة .

وكنت أظن أن المسجد بخير كما كان فى العام المنصرم ، فوجدت المسجد ليس بخير هذا العام .

وحين لجأت الى الفندق القريب من القرية ، انتظرت أن أسمع صوت المؤذن فى اليوم الأول الذى حللت فى الفندق .

كان الظلام مخيما فى غرفتى ، وكان موعد صلاة الفجر قد حلّ ، فأرهفت السمع لأقتنص صوت المؤذن يدعو للصلاة ، فلم أسمع شيئا .

وتكرر ذلك فى يوم أو يومين ، دون جدوى !!

وقصدت المسجد لأرى أن بابه مقفل ، وكان ذلك فى موعد صلاة العصر .

وسألت أحد المارة : لماذا لا يفتح المسجد ، وقد حان وقت صلاة العصر ؟

وتنهد صاحبى ثم قال : لا تقام فيه الصلوات عدا صلاة الجمعة .

— ٢ —

وصليت الجمعة ثلاث مرات فى ثلاثة أسابيع : خطب فى الجمعة الأولى والثانية خطيب كهل ، وقد كان المصلون قليلين ، ولكن صوت الخطيب كان جهوريا يهدر وكأنه كان يخطب فى مئة ألف أو يزيدون .

وخطب فى الجمعة الثالثة شاب ، صوته أخفض من صوت سلفه ، فحمدت الله على ذلك كثيرا .

وفى الجمعة الرابعة ، رأيت ما حملنى على كتابة هذا المقال .

كنت على باب المسجد قبل ساعة وربع من موعد الصلاة ، فوجدت بابه مقفلا ، وحول القفل سلاسل من حديد .

وذهبت الى مكتب بريد القرية ، فوجدت رسالتين إلىّ تنتظران من أيام ، وقيل لى : إن موزع البريد قد استقال .

فقلت لنفسى : لا بد أن يكون أهل القرية يعلمون الغيب حتى يعرفوا أن موزع البريد قد استقال ، وأنّ عليهم أن يزوروا مكتب البريد كل يوم لاستلام رسائلهم إن وجدت !!

وعدت الى المسجد قبل ساعة من موعد الصلاة ، فوجدت بابه لا يزال مقفلا .

واستنجدت بمن توسمت فيه الخير من المارة ، لاستدعاء المسئول عن فتح الباب ، فلبى أحدهم رجائى ، ولكنه جاء بعد ربع ساعة ليقول : إن المسئول قد ذهب الى المستشفى لزيارة أحد المرضى هناك .

وكنت قد أخرجت منديلى من جيبى ، وفرشته على عتبة باب المسجد ، وجلست عليه .

ومضى علىّ نصف ساعة وأنا جالس على عتبة المسجد ، حتى قدم أحد المصلين ، وكان أول القادمين .

وقلت له : هل حال كنائس القرية كحال هذا المسجد ؟ هل تقفل هذه الكنائس وهى ثلاث فى أيام الآحاد ؟

وسألنى القادم الجديد : وأين المسئول ؟

وقلت له : هو فى المستشفى زائرا ، ولا أدرى متى يحضر ، وربما سيصل شيخ المسجد قريبا ، فلا بد من فتح الباب .

واقترحت عليه أن يأتى بالمطرقة من نجار قريب ، ويكسر القفل ويفتح الباب .

وفتحنا الباب بعد كسر القفل ، ودخلنا المسجد دخول الفاتحين ، ولكن أعصابى كانت متوترة جدا ألما على حال المسلمين .

وحضر شيخ المسجد قبل صلاة الجمعة بعشر دقائق ، وهو يأتى كل جمعة من بلد آخر ، فيلقى خطبة الجمعة ، ثم ينصرف الى أهله ، ويترك المسجد مهجورا .

— ٣ —

كنت أمنى النفس فى طريقى الى المسجد ، بساعة أقضيها فيه قبل الصلاة ، فتشع روح المسجد قبسا من النور لأقتبس منها نورا ، وتسبغ روح المسجد على روحى شيئا من السكينة والاطمئنان .

وكنت أحب أن أذكر الله ، وبذكر الله تطمئن القلوب — خاصة فى بيوت الله .

وكان معنى حديث رسول الله

صلى الله عليه وسلم يدور فى خلدى وانا فى طريقى الى المسجد ، وهذا الحديث عن فضل السابقين الى المساجد فى يوم الجمعة وأجرهم عند الله .

ولكن المسجد المهجور ، ومعنى هذا الهجران ، وحال المسلمين الذى ادى إليه ، حرمنى من نور المسجد ، ومن روح المسجد ، ومن ذكر الله فى المسجد .

وذكرت الذى عمر هذا المسجد ، واوقف عليه الأوقاف ، وترحمت عليه ، وقلت لنفسى : هل كان يعرف مصير مسجده الوحيد فى القرية المهجور من المصلين ، وفى القرية هذه ثلاث كنائس عامرة بالمصلين ؟!

وسقطت من عينى دمعتان فى المسجد المهجور ، وازداد الحزن الذى يجتاح قلبى حتى لم يبق فيه موضع لحزن جديد .

إن مساجد المسلمين كانت مثابات للعبادة ، ومحاكم للقضاء ، ومعاهد للعلم ، وأماكن لذكر الله ، وثكنات للجيوش الاسلامية .

كانت لا تخلو من المصلين ومن الذاكرين الله والذاكرات .

وكانت ملجأ للمظلوم يأخذ حقه من الظالم .

وكانت عامرة بحلقات العلم ، يتدارسون فيها علوم القرآن والحديث والفقه والتاريخ واللغة والأدب .

وكانت تنطلق منها جيوش المسلمين للفتح ، وتعود إليها بعد الفتح .

كيف أصبحت اليوم مهجورة ؟

وا اسفاه على حال المسلمين اليوم !!

إن الجواب هو ما نراه اليوم : مليونان ونصف المليون من يهود يغلبون مائة مليون عربى وستمائة مليون مسلم ، ثم يرزح المسجد الأقصى تحت ظل الاحتلال الاسرائيلى ثم يحرق دون أن يستثير ذلك غيرة المسلمين !

حين كانت المساجد عامرة ، انتصرنا على أعدائنا ونحن يومئذ قليل .

وحين اصبحت المساجد مهجورة ، غلبنا أعداؤنا القليلون ونحن يومئذ كثير .

— ٤ —

وبعد .

أقرأ كل يوم فى الصحف اخبار مواجهات المسئول عن المساجد فى هذا البلد العربى للمسئولين الكبار .

وفى كل يوم أرى تصاوير المسئول عن المساجد مع المسئولين الكبار فى الصحف وفى الاذاعة المرئية ، وقد تهلل وجهه بشرا وفرحا ، وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة .

ترى !!

ايهما اجدى على هذا المسئول عن المساجد ، إعمار مكاتب المسئولين الكبار بالزيارات ، أم إعمار مساجد الله بالمصلين ؟

ايهما اجدى عليه ، رضى المسئولين الكبار ، أم رضى الله رب المسئولين الكبار ؟

يتهلل وجهه اليوم وترتسم عليه الابتسامات !!

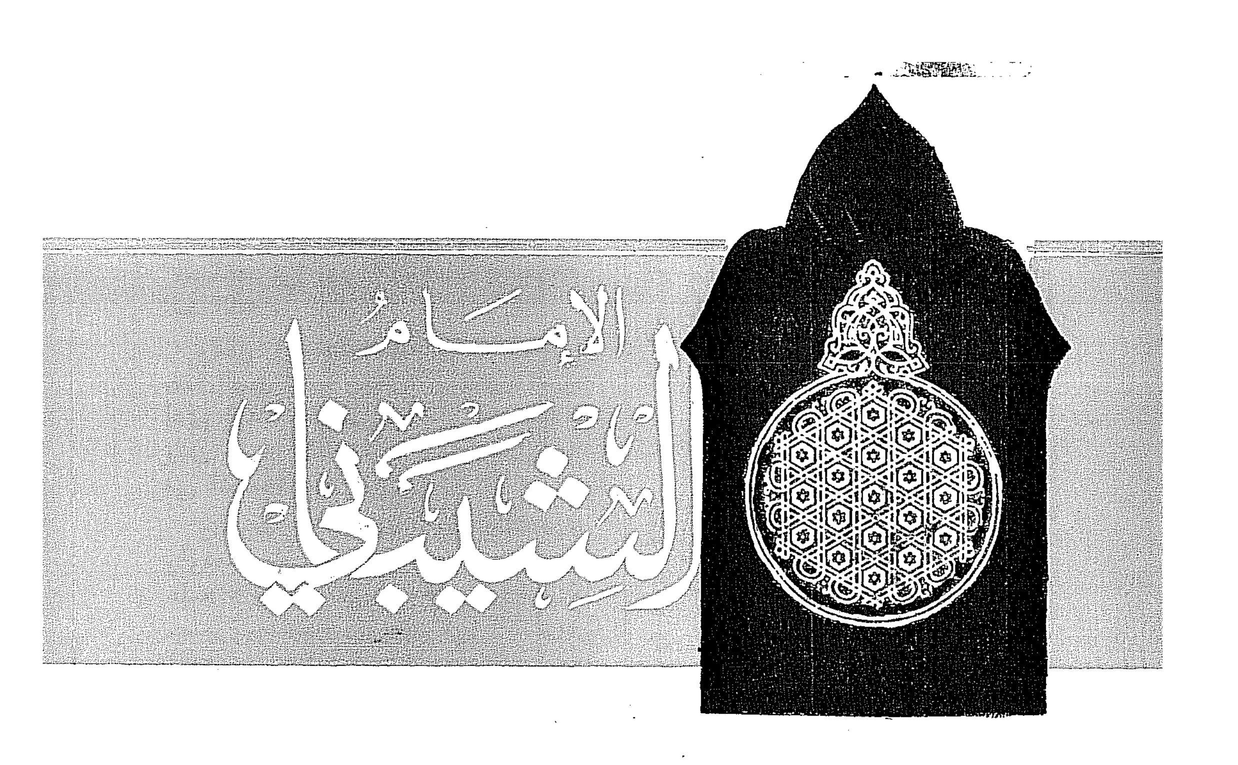
وغدا ستسود وجوه وتبيض وجوه .

وهو يظن أن اتصاله بالمسئولين الكبار سيرفع ذكره ، وحسبه أن يقرأ اسمه فى الصحف ويرى صورته من المجلات والصحف والاذاعة المرئية .

ولكن هذا المسئول ، هو أحرى الناس بأن يعلم ، بأن الله وحده هو الذى يرفع ذكر من يشاء من عباده الصالحين .

وصدق الله العظيم : (الم نشرح لك صدرك ، ووضعنا عنك وزرك ، الذى انقض ظهرك ، ورفعنا لك ذكرك) .

والله أكبر ، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين .



للدكتور محمد الدسوقى

١ ــ يعد الامام محمد بن الحسن بن فرقد الشيبانى أول من دون الفقه الاسلامى على منهج علمى لم يسبق به ، كما يعد أول من كتب فى العلاقات الدولية الاسلامية كتابة دقيقة مفصلة ، تشهد له بالعقلية التشريعية الخصبة ، وتضعه فى مقدمة الرواد الذين كتبوا فى القانون الدولى .

والإمام محمد الى هذا فقيه مجتهد ، ومحدث حافظ لا يقل درجة عن أئمة الفقهاء وأعلام المحدثين فى عصره ، وقد قام مع ذلك كله بدور فريد فى تاريخ الفقه لم يقم به أحد سواه من المجتهدين ، ويتمثل هذا الدور فى تقريبه بين المدارس الفقهية التى عرفها القرن الثانى ، فقد كان حلقة اتصال بينها ، فضاقت بذلك دائرة الخلاف بين الفقهاء ، واطلع كل فقيه على ما لدى غيره من الآثار والآراء .

٢ ــ وقد ولد الإمام محمد بن الحسن فى مدينة واسط بالعراق فى أواخر سنة ١٣١ هـ على الرأى الراجح ، ولكنه نشأ بالكوفة ، لأن اقامة والده بتلك المدينة لم تطل ، وكان قد انتقل اليها من أجل عمل تولاه بها ، فولد له محمد فى أثناء قيامه بهذا العمل ، ثم لم يلبث أن عاد الى الكوفة واستقر بها ، وشهدت هذه المدينة طفولة الامام محمد ويفاعته وشبابه ، كما شهدت اختلافه الى حلقات العلم والدرس تلميذا وأستاذا .

أول من دوّن الفقه الإسلامي وكتب في العلاقات الدوليّة

٣ ــ وكانت مدينة الكوفة اذ ذاك مهد العلوم العربية ودار الحديث والفقه منذ نزلها كبار الصحابة ، واتخذها على بن أبى طالب كرم الله وجهه عاصمة الخلافة ، لقد كانت تموج بالعلم والعلماء ، وكانت مساجدها تغص بحلقات الفقه والحديث والنحو واللغة والأدب والأخبار ، وهى الى هذا كانت ملتقى الثقافات الاسلامية والعادات العربية الاصيلة بالثقافات والحضارات الاجنبية المختلفة فكانت لهذا حقيقة بأن تكون كما سماها الإمام أبو حنيفة (مدينة العلم) .

٤ ــ فى هذه البيئة العلمية الرفيعة تلقى محمد بعض دروس العربيــة والرواية بعد أن حفظ القرآن الكريم ، وحفظ ما تيسر له من الأحاديث النبوية الشريفة ثم اتجه الى حلقة الإمام أبى حنيفة ، وكانت طريقة هذا الإمام فى تعليم تلاميذه تقوم على منهج يربى ملكة البحث والتفكير والمنـــاظرة ، فهو لا يلقى آراءه القاء ولكن كان يثير المسائل ثم يشرك تلاميذه فى تمحيصها ومناقشتها ، ولا يسمح بتدوينها الا بعد الاتفـــاق على رأى جماعى فيها . وفى هذا الجو العلمى المثمر كانت مواهب محمد تتجلى كل يوم وكان أبو حنيفة يسر بتلميذه فيضـــاعف من الاهتمام به والحرص عليه ، لما كان يتوســمه فيه من الخير والفضل .

وكان محمد فى حلقة شـــيخ فقهاء الكوفة فى القرن الثانى لا يكتفى بالسماع والمشاركة فى تحقيق المسائل ، فقد كان مع هذا يدون ويســـجل ويحرص على ذلك حرصا شديدا ، وكأن هذا الحرص على التدوين فى حياة محمد الباكرة ارهاص بما قام به بعد أن استحصد علمه بتدوين الفقه وتصنيفه فى صورة لم يسبق بها ، وكانت لسائر الفقهاء من بعده نبراسا يعشون الى ضوئه فى التأليف والتدوين .

٥ — على ان محمدا كان وهو يحافظ على دروس ابى حنيفة يختلف الى مجالس المحدثين فى الكوفة ويروى عنهم ، ويذكر المؤرخون أن محمدا نشأ بالكوفة فطلب الحديث وسمع سماعا كثيرا ، وجالس أبا حنيفة وأخذ عنه فغلب عليه الراى وهذا يدل على انه جمع منذ أيامه الاولى فى طلب العلم بين الحديث والفقه ، وأنه وإن أخذ عن استاذه الاول الفقه والحديث كان يسعى الى حلقات المحدثين ليأخذ عنهم الأحاديث والآثار .

عن وكيع قال : كنا نكره أن نمشى معه فى طلب الحديث ، لأنه كان غلاما جميلا .

وما قاله وكيع يشير الى حقيقة تاريخية أوردتها كتب التراجم والطبقات ، وهى أن الإمام محمدا كان جميل الخلق وضيئا ، كما كان سمينا ممتلئا صحة وقوة ، وقد روى أن الامام الشافعى قال عنه : ما رأيت سمينا أخف روحا من محمد بن الحسن .

٦ — ومات أبو حنيفة سنة ١٥٠ هـ بعد أن جلس محمد فى حلقته نحو اربع سنوات كانت بمثابة البذرة الصالحة التى صادفت تربة جيدة فنمت وازدهرت وجادت بالخير العميم .

واخذ محمد عن استاذه الثانى — وهو الإمام ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم المتوفى سنة ١٨٢ هـ — ما حال الموت بينه وبين ان يأخذه عن استاذه الأول وكان أبو يوسف يسلك منهج استاذه فى تحقيق المسائل ، ولم يكن مقررا لفقه شيخه فقط ، بل كان فقيها مجتهدا وإن لم يبلغ مبلغ شيخه فى الفقه ، وكان كذلك محدثا حافظا حتى عد احفظ اصحاب ابى حنيفة للحديث ، ومن هنا يكون محمد قد تلقى عن ابى يوسف فقه أبى حنيفة وفقه أبى يوسف نفسه ، كما تلقى عنه الأحاديث والآثار التى قام عليها الفقه العراقى .

٧ — ومحمد لم ينقطع الى أبى يوسف كما لم ينقطع من قبل الى ابى حنيفة ، فهو طالب علم منهوم يسعى وراءه أنى تيسر له فى الكوفة وغيرها من الامصار الاسلامية ، ولذلك كثرت مشايخه وتنوعت ثقافتهم ، فمنهم المفسر ، والمحدث والفقيه واللغوى والأديب والمؤرخ ، وكان يرحل الى من يستطيع الرحيل اليه ، ويراسل من يعز عليه لقاؤه .

ويروى انه اتصل بالإمام الأوزاعى عن طريق المراسلة ، وإن كان ما رواه محمد عن هذا الإمام يثبت أنه لقيه ، وربما التقى به فى موسم من مواسم الحج ، أو رحل الى الشام ليلقاه كما يرى بعض المحدثين .

أما الذين أخذ عنهم عن طريق الرحلة فهم كثيرون ، وقد تعددت رحلاته الى البصرة ومكة والمدينة ، واخذ عن علماء هذه البلاد ما شاء ان يأخذ من العلم ، وتعد رحلاته الى الحجاز من ابرز واهم الرحلات العلمية فى حياته ، لأن هذا القطر العزيز كان ملتقى — وما يزال — كثير من فقهاء الأمصار الاسلامية فى شهور الحج ، وكانوا يهتبلون فرصة لقائهم فى جوار البيت الحرام ، ومسجد الرسول الكريم ، ليتدارسوا ويتناقشوا ويطلع كل منهم على ما لدى غيره من الآثار والآراء .

٨ — والذى لا ريب فيه أن محمدا قد اتصل بكثير من الفقهاء فى موسم الحج ، وأخذ عنهم ولا سيما حين لازم الإمام مالكا ثلاث سنوات فى أوائل عهد المهدى ليروى عنه الموطأ ، وليسجل مع روايته لهذا الكتاب ما جرى بينه

وبين شيوخ المدينة من مناظرات ومناقشات فى كتابه (الحجة) أو (الحجج) ، ومن ثم كانت لهذه الرحلات قيمتها العلمية فى حياة الإمام محمد ، فهى قد أثمرت مؤلفين هامين من مؤلفاته هما : كتاب (الحجة) و (الموطأ برواية محمد) ، كما أنها أتاحت له معرفة الفقه الحجازى ومدارسته عن كثب ، ومكنته من لقاء كثير من الفقهاء والمحدثين الذين يقطنون ببلاد نائية عن العراق ، فعرف من الأحاديث والآراء الشيء الكثير ، بالاضافة الى ما عرفه على أيدى أبى حنيفة وأبى يوسف وسواهما من فقهاء العراق ، واجتمع له بهذا كله فقه الكوفة والمدينة وآثار العراق والحجاز ، فضلا عن آثار وفقه سائر البلاد الاخرى التى كان فقهاؤها يرحلون الى الحجاز فى موسم الحج أو غيره .

٩ — وبعد أوبة محمد الى الكوفة وقد روى الموطأ لا تقدم لنا مصادر حياته شيئا ذا بال عنه إلا بعد أن انتقل الى بغداد فى زمن الرشيد ، ولا ندرى هل جلس محمد من استاذه الثانى مجلس التلميذ فى الكوفة بعد عودته من المدينة ، أو أن استاذه هذا كان قد شد رحاله الى بغداد ليتولى القضاء للخليفة المهدى وأن محمدا قد تحلق حوله تلاميذه ليدرسوا عليه وليكونوا فيما بعد رواة لآثاره .. ؟

والذى ترجمه الشواهد المختلفة أن محمدا بعد روايته للموطأ لم يجلس من أحد مجلس التلميذ ، وان كان هذا لا يعنى أن صلته بشيوخه قد انقطعت ، أو أن مناقشاته العلمية معهم قد توقفت ، ولكنه يعنى أن علمه قد استحصد ، ومواهبه نمت وتعددت ، ونبوغه أخذ يستفيض ، وأنه تجاوز مرحلة الطلب الى مرحلة الإمامة فى الفقه والحديث واللغة .

١٠ — ولبث محمد فى الكوفة قبل أن يرحل الى بغداد ليقيم بها وبعد عودته الاخيرة من المدينة نحو عشر سنوات ، يدرس ويصنف ويؤلف ، يختلف اليه التلاميذ فى بعض الأوقات ، ويعكف فى بعضها الآخر على الكتابة والقراءة ، لا يشغله عن ذلك شاغل ما ، فلديه ثروة طائلة ورثها عن أبيه ، يسرت له ولأولاده حياة آمنة مستقرة فأقبل على العلم اشد الاقبال بحيث أصبح لا يفكر فى شيء سواه ، وبلغ من ذلك أنه اتخذ وكيلا له يتولى شؤون أولاده وأهله حتى لا يشغلوه بما يطلبون منه عن العلم ومدارسته ، ويبدو أنه كتب معظم آثاره فى هذه الفترة ، التى مكثها فى الكوفة قبل الانتقال الى بغداد فى عهد الرشيد ، ويرشح لهذا ما ذكره الصفدى من ان محمدا حين انتقل الى بغداد اجتمع الناس اليه يسمعون كلامه ويستفتونه ، فرفع خبره الى الرشيد ، واتهم بأنه يحمل معه كتاب الزندقة ، فأرسل اليه بعض رجاله ليحملوا كتبه وامر بتفتيشها ، ونقل الصفدى عن الإمام محمد فى هذا : فخشيت على نفسى من كتاب الحيل ، فقال لى الكاتب ما ترجمة هذا الكتاب ، فقلت كتاب الخيل ، فرمى به ولم يحمله .

١١ — ولم يسع محمد الى بغداد طمعا فى جاه أو منصب ، وانما سعى الى هذه المدينة الجديدة ، لانها اصبحت بعد فترة وجيزة من تمصيرها مدينة العلم بما أنفق العباسيون عليها ، وشجعوا بالبذل والعطاء العلماء والشعراء على النزوح اليها والاقامة بها حتى تضاءلت الى جانبها منزلة الكوفة وغيرها من الامصار التى كانت مراكز العلم والثقافة قبل بناء تلك المدينة التى أضحت رمزا على الحضارة العباسية ونهضتها العلمية والفنية .

وكانت شهرة محمد العلمية قد سبقته الى بغداد كما يفهم ذلك مما ذكره

الصفدى ، وأنشأ محمد فى عاصمة العباسيين يحدث ويفقه ويؤلف ، وامتلأت حلقته بالراغبين فى الاخذ عنه والدارسين عليه ، وأعجب الناس به اعجابا شديدا لورعه وذكائه وكثرة علمه وفصاحة لسانه ، وقد صار محمد فى بغداد المرجع الاول لأهل الرأى فى حياة شيخه أبى يوسف ، ولعل هذا كان أحد العوامل التى لجأ اليها أهل السوء ليفسدوا ما بين الاستاذ والتلميذ .

١٢ — وما دام الإمام محمد قد انتقل الى بغداد من أجل العلم ورغبة فى نشره ، فانه عاش فى هذه المدينة منقطعا الى الاشتغال بالعلم تدريسا وتصنيفا فى اخلاص نادر ودأب متواصل ، وهيام غريب ، حتى روى أن ثيابه كانت تتسخ فلا يجد لديه من الوقت ما يسمح بخلعها ، ولهذا انزعج عندما طلب ليتولى قضاء الرقة ، لحرصه على التفرغ للعلم ، ونفوره من التقرب الى الحكام ، وخشيته من مسئولية القضاء ، ولكنه أكره على تولى قضاء هذه المدينة ، ومع هذا لم يشغله القضاء عن العلم ، فقد أنشأ فى الرقة يكتب ويراجع ويدون ، وقد لازمه مدة بقائه فى قضاء الرقة تلميذه محمد بن سماعة الذى روى عن استاذه كتاب (الرقيات) وهو جملة من المسائل التى فرعها الإمام محمد حينما كان قاضيا بهذه المدينة ، ومن ثم أطلق عليها هذا الاسم .

١٣ — وقد عزل الإمام محمد من قضاء الرقة بسبب جوابه الصريح فى أمان الطالبى يحيى بن عبد الله بن الحسين ، ولم يكتف الرشيد بعزل محمد ، فقد منعه من الإفتاء واتهمه بالعلوية ، ولذا أمر بتفتيش كتبه خوفا من أن يكون فيها شيء مما يحض الطالبين على الثورة ضد الرشيد ، غير أن هذا كان فى الواقع يقدر محمدا ويدرك منزلته بين معاصريه من الفقهاء ، ولكن أهواء السياسة كانت تطغى فى بعض الاحيان على المشاعر الطيبة فيتعرض الإمام محمد لما تعرض له من الإهانة والمضايقة .

وليس أدل على هذا من اختيار محمد ليكون قاضى القضاة ، فلو كان الرشيد لا يدرك مكانة هذا الإمام ادراكا سليما ما اختاره ليتولى هذا المنصب الهام فى الدولة على الرغم من جهره بكلمة الحق الذى لم يصادف هوى لدى الرشيد .

١٤ — ولم يمكث محمد مدة طويلة فى منصب قاضى القضاة ، فقد توفى فى سنة ١٨٩ على أرجح الآراء ، وهو قد عزل من قضاء الرقة فى سنة ١٨٧ ، ولبث فترة ممنوعا من الافتاء ، ثم عين بعد هذا قاضيا للقضاة ، فالمدة التى قضاها فى هذا المنصب إذن تبلغ نحو عامين على وجه التقريب ، وفى هذه المدة الوجيزة حسنت علاقة محمد بالرشيد ، واتسمت بالاخلاص فى غير نفاق أو رياء ، وان جنح محمد الى اصطناع الرفق واللين فى مخاطبة الرشيد ونصحه وافتائه ، ولكنه اللين الذى لا يجور على الحق أو ينال من كرامة العلم .

وقد توفى الإمام محمد فى قرية رمبوية من قرى الرى ، حين ذهب مع الرشيد الى تلك المنطقة ، وتوفى معه فى هذه الرحلة أيضا شيخ النحاة الكسائى ، وروى أنهما ماتا معا فى يوم واحد ، فجزع الرشيد لموتهما وقال : دفنت الفقه والنحو بالرى .

١٥ — هذه صورة عامة موجزة عن حياة الإمام الشيبانى ، ومنها يبدو مبلغ اقباله على طلب العلم وانصرافه اليه ، وانفاقه الاموال الطائلة من أجله ، فقد ورث عن أبيه ثروة كبيرة أنفقها كلها فى سبيل العلم ..

ومن كان مثل هذا الإمام فى شغفه بالعلم واقباله عليه ، ومن كان مثله ايضا فى توقد ذكائه ، وتمتعه بعقلية تشريعية خصبة فإنه يكون ذا أثر بارز فى الفقه ، ومنزلة رفيعة بين الفقهاء .

وقد أومأت فى صدر هذه الكلمة الى المجالات التى ظهر فيها أثر الإمام محمد فى تاريخنا العلمى ، وأود هنا أن أفصل القول بعض التفصيل فى أثره فى مجال التدوين الفقهى ، والكتابة فى العلاقات الدولية .

١٦ — إن تدوين الفقه ظل الى ما بعد عصر التابعين الأولين ممنوعا ، وظلت الآراء الفقهية محفوظة فى الصدور حتى عصر الإمام أبى حنيفة ، وفى حلقة هذا الإمام كان بعض تلاميذه يدون آراء شيخه ، وكان الشيخ فى بعض ما يروى عنه ينهى تلاميذه عن الكتابة ، وفى بعضها الآخر ما يدل على أنه كان يأمر بتدوين المسائل بعد مناقشتها والانتهاء الى رأى جماعى فيها ، ومع هذا لم ينقل أن هذا التدوين الذى تم فى حلقة شيخ فقهاء الكوفة فى القرن الثانى قد خضع للترتيب والتبويب .

وقد أسلفت أن الإمام محمدا كان فى حلقة أبى حنيفة يحرص أشد الحرص على التدوين ، وأن هذا الحرص كان إرهاصا بما قام به من تدوين علمى للفقه لم يسبق به ، وهذه حقيقة تاريخية لا اختلاف عليها ، تؤكدها مؤلفات الإمام الشيبانى ، فهى تراث ضخم يجمع الفقه العراقى وأدلته فى تبويب وترتيب يدل على عقلية علمية تجنح الى تفصيل المسائل وذكر الفروع بطريقة الافتراض والتصور العقلى فى ترابط وتسلسل منطقى مع الاجتهاد فى تقرير الحكم الشرعى لكل مسألة .

١٧ — وتدوين محمد للفقه العراقى الذى لم يسبق به كان الضوء الذى أنار الطريق لتدوين فقه المذاهب الاسلامية كلها بوجه عام ، فقد اتخذ الفقهاء منه قدوة اقتدوا بها فى منهاجه وبذلك دون الفقه الاسلامى كله وحفظ من الضياع . ونما هذا التدوين بمرور الأيام حتى تضخمت تلك الثروة العلمية تضخما هائلا ، وغدت تراثا تشريعيا وفكريا رائعا لم تعرف البشرية له نظيرا فى تاريخها الطويل .

واذا كان تدوين محمد للفقه المصباح الذى أنار الطريق أمام فقهاء المذاهب جميعا ، واذا كانت كتب هذا الإمام لحمة الكتب فى كل المذاهب ، فان لمحمد أثرا جليلا متصلا بالتدوين لم يسبق به أيضا ، وذلك ما يمكن أن يسمى بتدوين الفقه المقارن ، فكتاب الموطأ والحجة دون فيهما الإمام محمد الفقه الحجازى والعراقى فى موضوعية أمينة دقيقة لم تعرف قبله ، وكانت لمن جاء بعده نبراسا لمن كتب فى اختلافات الفقهاء كابن جرير الطبرى ، وابن رشد فى بداية المجتهد ، وابن قدامة الحنبلى فى كتابه المغنى ، وأحمد بن يحيى فى البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار .

١٨ — واذا كان الإمام الشيبانى أول من دون الفقه الاسلامى فانه أيضا أول من كتب فى تفصيل وشمول عن العلاقات الدولية ، وكتابه (السير الكبير) خير شاهد على ذلك ، فهذا الكتاب عمل فريد فى موضوعه ، لم يؤلف فقيه غير الإمام محمد مثله ، سواء الذين تقدموا عليه أو الذين تأخروا عنه .

وكلمة سير جمع سيرة ، ويقصد بها الإمام محمد سيرة المسلمين فى المعاملة مع غيرهم من المستأمنين وأهل الذمة والمرتدين والمشركين .

وقد استوعب الإمام الشيبانى فى هذا الكتاب أحكام العـــلاقات بين المسلمين وغيرهم فى حالتى السلم والحرب ومســائل الأسرى وحصـــانة السفراء والمهادنات والمعاهدات ومجرمى الحرب والغنائم وســواها من ادق المسائل التى لم يتنبه اليها فيبحث فيها الباحثون فى القانون الدولى إلا بعد ثمانية قرون أو أكثر .

١٩ — وليس معنى أن كتاب الســير فريد فى موضوعه أن مؤلفه قد اخترعه اختراعا ، فالمعروف أن بعض الفقهـــاء الذين تتلمذ لهم الإمام محمد تحدثوا عن السير كالإمام أبى حنيفة والأوزاعى وأبى يوسف ، ولكن كل ما جاء عن هؤلاء الأئمة كان يدور فى نطاق محدود من القضايا ، وكان أشبه بالمحاولات الاولى بالنسبة للبحث الشامل الذى كتبه الإمام محمد ، فاستحق هذا الكتاب أن يكون فريدا فى موضوعه ، واستحق مؤلفه — عن جدارة — أن يكون رائد التفكير القانونى الدولى فى العالم كله .

لقد استقى الإمام الشيبانى مادة كتابه من الآثار والاخبار من علماء عصره فقهاء ومحدثين ، وكانت هذه المادة الاساس الذى أقام عليه محمد عمله الرائع الذى يشهد له بغزارة العلم ، وعمق التفكير وشمول النظرة ودقة التفصـيل والتبويب والتفريع .

٢٠ — وكان المنتظر أن يكون ما كتبه الإمام محمد حافزا للخلف من الفقهاء على الاهتمام بهذا الموضوع والكتابة فيه ، ولكن لم نجد فقيها واحدا كتب عن السير كتابا مفردا ، وكل ما جاء عن هذا الموضوع بعد الإمام محمد فصـــول موجزة فى كتب الفقه تحت عنوان السير أو الجهاد ، وتتناول غالبا الغنـــائم وبعض أحكام الشهداء والاسرى ، ومن ثم ظل كتاب الإمام محمد الأثر الوحيد فى تراثنا الفقهى الذى درس فى شمول وتفصيل أحكام العلاقات بين المسلمين وغيرهم فى حالتى السلم والحرب .

ان كتاب السير الكبير عده الرشيد فخرا لعصره ، وهو كذلك ، فما عرف هذا العصر فى العالم كله أثرا علميا خاصا بالعلاقات الدولية مثل هذا الكتاب ، وما عرف غير هذا العصر فى تراثنا الفقهى كتابا مثله ، فهو لهذا فخر الفـــكر القانونى الاسلامى يعتز به كل الاعتزاز .

٢١ — وما دام الإمام محمد الفقيه الوحيد الذى كتب عن العلاقات الدولية فى الاسلام فى تفصيل وشمول لم يسبق به ، فانه بهذا عد مؤسسا للفـــكر القانونى الدولى فى الاسلام ، ولأنه سبق (جروتيوس) الهولندى الذى يعد لدى الاوربيين مؤسس القـــانون الدولى بأكثر من ثمـــانمائة عام ، فقد توفى جروتيوس سنة ١٦٤٥ م على حين مات الإمام محمد سنة ١٨٩ هـ — ٨٠٤ م ، فان الإمام الشيبانى لذلك يعد مؤسسا للقانون الدولى فى العالم كله .

لقد كتب جروتيوس فى سنة ١٦٢٥ م كتابا تحت عنــوان « فى قانون الحرب والسلم » وتضمن هذا الكتاب تنظيما يكاد يكون كاملا لما قد يقوم بين بين الدول من روابط وعلاقات ، ولأهمية هذا الكتاب التزمته الدول فى أوروبا دستورا لعلاقاتها الخارجية مدى قرنين من الزمان ، واعتبر مؤلفه أبا القانون الدولى ، وارتبط اسم جر وتيوس بنشأة هذا العلم لدى فقهاء هــذا القـــانون الغربيين .

ولوجود تشابه كبير بين كتاب (السير الكبير) وكتاب (فى قانون الحرب والسلم) فى المنهج والمبادىء يرجح بعض الباحثين المحدثين أن جروتيوس ربما اطلع على كتاب السير الكبير ، وأنه نقل المبادىء الاساسية التى كتبها الإمام محمد فى العلاقات الدولية ، ثم نسبها جروتيوس الى نفسه .

٢٢ ــ وسواء أكان جروتيوس قد اطلع على كتاب السير الكبير أم لم يطلع عليه فان الإمام الشيبانى سبق جروتيوس بفترة زمنية طويلة ، واعتمد فى كتابه على المصادر الاصلية للشريعة الاسلامية ، وتحدث فى أمور وقضايا لم يتحدث عنها غيره من الفقهاء المسلمين أو سواهم إلا فى العصر الحديث ، ولكن جروتيوس اعتمد على القانون الطبيعى ، فكان الإمام الشيبانى لهذا مؤسسا للقانون الدولى فى العالم كله بلا جدال .

وليس فضل الإمام الشيبانى أنه أول من كتب فى القانون الدولى ، وانما يظهر فضله أيضا فى مجال هذا القانون أن فقهاءه المعاصرين لم يأتوا بجديد بالنسبة لما كتبه الإمام محمد .

٢٣ ــ وقد عرف الباحثون الأوربيون اسم الإمام الشيبانى فى القرن الماضى ، بعد أن ترجم كتابه السير الكبير الى اللغة التركية ، ومنها الى بعض اللغات الاوروبية ، فاهتموا بهذا الإمام ومؤلفاته فى مجال العلاقات الدولية ، وانتهوا فى دراساتهم عن هذا الإمام الى أنه خليق بأن يأخذ مكانه الحق بين رواد القانون العالميين .

وتقديرا لمكانة الإمام الشيبانى فى ميدان الكتابة فى القانون الدولى اسست جمعيات فى ألمانيا وفرنسا وأمريكا تحمل اسم (جمعية أصدقاء الشيبانى للقانون الدولى) والغرض من هذه الجمعيات كما قال دعاتها والقائمون عليها ترجمة مؤلفات الشيبانى وغيره من الفقهاء المسلمين التى تناولت الحديث عن العلاقات الدولية الى اللغات الاخرى ، بغية استكمال المؤلفات العالمية الرئيسية فى هذا الموضوع ، ولذلك ترجم كتاب السير الكبير الى بعض اللغات الاوروبية ، كما ادركت الأمم المتحدة أخيرا قيمة هذا الكتاب ، فترجمته منظمة اليونسكو الى اللغة الفرنسية ، لقد أصبح كتاب السير كتابا عالميا ، وهو جدير بهذا ، ولولاه لما كان فى تراثنا الفقهى عمل فى موضوعه يحمل غيرنا على الاعتراف بفضل فقهائنا العظيم فى مجال الكتابة فى العلاقات الدولية .

٢٤ ــ وبعد فان الإمام الشيبانى عده بعض الدارسين أعظم فقهاء الاسلام لأن أثره الجليل فى تاريخنا الفقهى يفوق أثر غيره من الفقهاء ويكفى أنه أول من دون الفقه على منهج علمى لم يسبق به ، كما أنه أول من كتب فى العلاقات الدولية كتابة تتسم بالشمول والتفصيل ، وهذا فخر للفكر الاسلامى ، وآية على أن رسالة الاسلام هى رسالة العلم والحضارة والانسانية والفضيلة ، فما الشيبانى وسواه من القمم الفكرية فى تاريخنا الا ثمرة من ثمرات هذا الدين القويم الذى بعث به محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين .



- **الرضا بما تم من عمل على وجه سليم والبشرى بجزائه ..**
- **تدارك ما يحدث من تقصير أو قصور وتصحيحه بجد وحزم .**
- **أمل واستشراق لمستقبل أفضل ..**

للأستاذ حسن عيسى عبد الظاهر

نعم على هذه الدعائم الثلاث يقيم الاسلام معنى العيد فى نفس الفرد ، وفى المجتمع ، ويزكيه ، ويحتفى به .

فالعيد وقفة لإلقاء نظرة على ماض قريب بما له ، وبما عليه ، وعلى حاضر يفيد من تجارب هذا الماضى ، ويبنى عليه خطواته الى الأمام ، ونظرة تطلع لمستقبل متكامل ترتبط فيه الحلقات الثلاث — الماضى والحاضر والمستقبل — فى تماسك بناء يدفع عجلة الحياة الى الأمام ، ويرود لها طريق النجاح .

وحين شرع الإسلام لنا العيدين — عيد الفطر وعيد الأضحى — كان من حكمة ذلك أن ينمى بهما على توالى السنين بأعيادها معانى الكفاح والطهر وتربية الإرادة والفداء والتضحية والعمل الجاد فى نفوسنا ومجتمعاتنا فى سبيل حياة كريمة فى إطار من الإيمان والانسانية الفاضلة .

فيهل علينا عيد الفطر عقب ممارسة جادة لحمل النفس على العمل الخالص ، وفطمها عن الشهوات ، وتربية إرادتها على الحزم والطهر والجدية طوال شهر كامل يشغل فيه الانسان — ليله ونهاره — بالصيام والقيام والعمل وطهر الجوارح ، ومحاسبة النفس .

وينتهى هذا الموسم للعمل على هذه الصورة بيوم هو : عيد يطل فيه الإنسان بنظرة فاحصة على حصاد شهر كامل نموذج للجهد والتربية والانتاج فماذا يرى ؟

يرى منجزات له قد تمت خلال هذا الشهر فى سبيل دينه ودنياه فى مجال نفسه ، ومجال أسرته ، ومجال مجتمعه .

لكن هل تمت كلها على الوجه المطلوب ؟

قد يكون ذلك أو قريب منه ، ولكن مما لاشك فيه أن الكمال لله وحده .

ونحن مطالبون بأن نعمل لبلوغ الكمال وأن ننشده جهد طاقتنا فان لم ندركه كله فلا أقل من أن نقاربه .

وما يتم من عمل على وجهه الصحيح فذلك مبعث الرضا والارتياح . ومن هنا تكون للصائم فرحتان : فرحته هذه العاجلة بما تم له من عمل سليم ، فرحته بيوم فطره يوم عيده « ألم تر أن العمال اذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم » وفرحته المدخرة يوم لقاء ربه فيجزيه الجزاء الأوفى بما هو أهله على ما عمل وقدم .

ومن هنا كان ربط الإيمان للعمل بالجزاء الدنيوى — تعجيلا بالمثوبة واستنهاضا للعزائم ، وبالجزاء الأخروى ادخارا للأجر الجزيل والنعيم المقيم — ربطا لحياة الانسان الاولى بحياته الآخرة حتى لا ينفصم حاضره عن مستقبله ولا ينحصر نظره وهمه فى دنياه فيعيش لها فحسب .

وما لم يتم من عمل على وجهه الصحيح : فاما أن يكون ما حدث فيه من قصور نتيجة ظروف طرأت هى فوق طاقة الانسان ، وإما أن يكون عن عمد فى هذا التقصير .

وكلا الموقفين له حدوده ، ونتائجه المترتبة عليه .

فأما ما يحدث نتيجة ظروف طارئة لا يملك الانسان لها دفعا ولا تخفيفا فهنا يكون مقام الإعذار ، لكن مع شحذ الطاقة فى المسلم ودفعها لعلاج ما نقص وتدارك ما فات وإتمامه جهد الطاقة .

ويأتى هذا متمثلا فى صورة من يفطر فى نهار رمضان لمرض أو سفر فهو حين قصر به جهده عن أداء فريضة الصيام فى حينها العذر طارىء ومقبول فهو هنا معذور ، لكن لا بد للعمل أن يستكمل على صورته ، أو على وجه بديل منها اذا ما انتهى العذر وذلك بقضاء ما فاته ، أو باطعام بديل عن الصوم اذا كان العجز مستمرا .

وهذا العلاج أو ذاك مطلوب القيام به مهما طال أمد إرجائه حين تتيسر ظروف التصحيح والتكميل ، وذلك ليستشعر الانسان ضرورة أداء العمل ، وضرورة الكمال فيه حين يستقيم له أمره ، أو يزول عنه عذره حتى لا تكون هناك ثغرة تدخل على النفس منها عوامل اهتزاز الثقة حين يستوى فى ذلك

الذن يعملون والذين لا يعملون .

إنهما لا يستويان ابدا فى نظر الاسلام . ومن هنا كان الدفع الدائم للعمل وتجويده وتدارك ما يفوت منه وتصحيح ما يقع فيه من خطأ .

وأما ما يحدث من قصور فى العمل ، أو إبطاله نتيجة تعمد ، او استهتار فهنا يتحدد علاج مثل هذا الموقف بأمرين :

أولهما : أنه لا بد من إعادة مباشرة العمل نفسه مرة أخرى على وجـــه صحيح احتراما للعمل ذاته ، ووفاء للالتزام بأدائه كاملا .

ثانيهما : انه لا بد من المؤاخذة على ما حدث من تقصير واهمال جزاء عادلا ويتمثل لنا ذلك فيمن يأتى أمرا منهيا عنـــه يبطل به صـــومه متعمدا ، استجابة لشهوة ، أو ضعفا فى عزيمة . هنا يلزمه الاسلام بالقضاء ــ الذى هو إعادة العمل مرة أخرى ــ فى صورة صحيحة وكاملة ، ويلزمه أيضا بنوع من العقاب فى صورة كفارة يؤديها مع القضاء حتى يكون هناك نوع من ردع النفس واخذها بالحزم تطهيرا لها وتربية .

◆◆◆ ◆◆◆ ◆◆◆

وإذا كان هذا صورة لما يتم فى عيد الفطر ــ عيد العمل والكفاح والتربية خلال شهر رمضان قبله ــ فنفس التطبيق نراه فى عيد الأضحى ــ عيد الفداء والتضحية وبذل الجهد وتحمل المشاق . فيشرق صباح يومه بعد عمل جاهد ــ من سفر وتضحية بالمال والوقت وأداء النسك ومشقات ذلك كله ثم ذلك الموقف الجامع على عرفات ــ ويستقبل الحجيج بعد ذلك الجهد يوم عيدهم بالفرحة ، ومع الفرحة موقف للمراجعة لما تم انجازه من عمل . واذا بهم يلهجون بالحمد والشكر على نعمة التوفيق فى أعمالهم التى قاموا بها على الوجـــه المطلوب داعين ربهم ((**ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**))

ومع المراجعة تبدو ثغرات فيما تم إنجازه ، فان كانت لا تؤثر على حقيقة العمل المكلف به فان علاج هذه الثغرات يكون بشىء من البذل والعطاء ممثلا فى هدى يذبح أو صوم تطهر به النفس جبرا لما حدث من فتور او خطأ .

وان كان ما حدث من تقصير يخل بحقيقة العمل نتيجة خور فى العزيمة ، أو استسلام لشهوة ، أو جهل مطبق لما يأتيه من تصرف يفسد به عمله كأن يستجيب لشهوة الجنس وقت مباشرة أعمال الحج ــ وذلك مما يفسده ــ فهنا لا بد من اعتبار هذا العمل لاغيا ، ولا بد من استئنافه فى عام قابل على وجه صحيح تتلافى فيه الاخطاء ويتدارك النقص .

◆◆◆ ◆◆◆ ◆◆◆

هذا . واذا كان نهاية الصوم عيدا ، وزكاة ، وفرحا وتوسعة ، ونهاية الحج عيـــدا وهديا وفرحا فان ما بعد العيد تجديد لما قبله ، وربط للمستقبل بجذور من الماضى الملىء بالعمل والنماء ، بل وتطبيق لنشاط الماضى فى صورة مصححة .

نلمس ذلك من حرص الاسلام — مثلا — على دعوة المسلم لاستئناف الصيام عقب « عيد الفطر » مباشرة فى صورة نفل تقبل عليه النفس راغبة بعد ان حملت عليه فى صورة فرض تعاقب على تركه .

◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆

وفى هذا المعنى التفاتة تقتضى الوفاء بحقها :
ذلك أن كثيرا من المسلمين يفهمون من شعائر الاسلام أنها عبادات موسمية تنتهى بانتهاء موسمها ، وتستأنف بحلول هذا الموسم مرة أخرى من عام جديد . وبين انتهائها واستئنافها تنبت الصلة — عن غفلة — بها . وهذا خطأ فى الفهم وفى التطبيق .
ذلك أن شعائر الاسلام ليست موسمية بقدر ما هى لتربية المسلم وتعويده على استصحاب آثارها دائما فى حياته سواء كان ذلك وقت مباشرتها او بعد وقت انتهائها .
ولنسق لذلك نماذج :
فمثلا شعيرة الصوم ليست فى رمضان فحسب بحيث تنبت صلة المسلم بها الى رمضان قادم ، بل اذا كان الصوم فى رمضان فرضا . فلا بد أن يؤدى فى غير رمضان بأى كيفية من كيفيات الالتزام — كفارة ، أو قضاء — أو نذرا ، فان لم يكن فنفلا فى كل أسبوع أو فى كل شهر بحيث يكون المسلم على صلة دائمة به طول العام .
وقد كان منهج سيدنا رسول الله عليه وسلم فى ذلك منهجا حيا فكان يتابع الصوم بين الحين والحين لتكون النفس على صلة به حية بآثاره .
كذلك الزكاة : لا ينتهى التزام المسلم بها بأداء النصاب الشرعى فيها — زكاة مال كانت أو زكاة نفس — بل هناك — فى صور أخرى من العطاء — الكفارات والنذور فان لم يكن فالصدقات طول العام وبلا حدود .
وكذلك الحج : ليس اطلالة عابرة فى العمر على البيت الحرام ثم :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
انيس ولم يسمر بمكة سامر

لا : بل ان صلة المسلم بقبلته وبمسجده الحرام صلة موصولة طول العام فان كانت على البعد متمثلة فى الاتجاه اليه فى كل صلاة فهى على القرب مطلوبة بشد الرحال . ثم بتكرار النسك فى أى وقت من السنة وعلى وضع أضيق فى صورة عمرة تجدد الذكرى طوال العام حتى يحين موعد الحج .
وهكذا يكون المسلم ازاء شعائر الاسلام موصولا بها دائما يرتكز حاضره على ماضيه ويبنى مستقبله على أصول راسخة من ماضيه وحاضره فتتصل حلقات الزمان مترابطة يقوى بعضها بعضا فتندفع عجلة الحياة فى صورة متناسقة ومترابطة يعلو فيها البناء : لبنة الحاضر فوق لبنة الماضى ، ولبنة المستقبل فوقهما فلا تنفصم عرى الحياة ، ولا تنقض حلقاتها ، وبين الحلقة والحلقة عيد يجدد الذكريات .

على أن مما ينبغى ان يكون موضع تذكر واعتبار هنا أمران :

أولا : أن الاسلام يرتبط بالحياة ــ دقيقها وجليلها ــ ارتباطا يجعل شعائره وعباداته ــ ليل الانسان ونهاره ــ تدريبا للنفس البشرية فى عمارتها للأرض بمختلف الأعمال على السَّنن الذى تؤدى به هذه الشعائر من الالتزام والصحة ، وما سقناه من أمثلة للصوم والزكاة والحج يلزم أن يكون نموذجا ومنهجا وتطبيقا لبقية الأعمال الدنيوية من زراعة وصناعة وتجارة وغيرها .

ثانيا : ان دوافع المراجعة للعمل ــ لاستشعار الرضا والفرح بما تم منه سليما وصحيحا ــ ولتصحيح النقص الذى يكون قد طرأ عليه وأخذ النفس بعلاج أخطائه بلون من الحزم يتم ذلك كله هنا ذاتيا وبدون تدخل مباشر لأية سلطة على نفس المسلم الا سلطة الايمان ومراقبة الله تعالى أولا . فيتمم قضاء ما فاته ، وأداء ما لزمه من كفارات .

وهذا الأسلوب فى أداء العمل على تلك الصورة تتوفر لنا به أمور :

منها : تربية حاسة النقد الذاتى فى الفرد فيراجع عمله بنفسه حتى ولو كان ذلك فى يوم عيده فيعرف وجه الصواب ، ووجه الخطأ فيما يأتى وفيما يدع ، وتتوازن مشاعره فى عمله فيكون صالح العمل دافعا للمزيد ، ويكون ناقصة منبها ومعلما لمعاودته على وجه سليم .

ومنها : احترام العمل لذاته . ووجوب أدائه صحيحا، وتصحيح خطئه . ومن هنا كان لزوم القضاء ولزوم الكفارة مهما تقادم العهد بالعمل الناقص اذ يظل معلقا فى عنق عامله حتى يقيم عوجه وفى ذلك تربية على احترام الحقوق وأدائها على وجهها ولذاتها .

ومنها : ارتباط معنى العيد بقيم يعتمد عليها العمل فى وجوه أدائه ووجوه السلوك والأخلاق التى يؤدى بها فيكون للعيد بذلك معنى بناء وهادف لا معنى لاهيا أو غافلا .

ومنها : أن يتضمن كل عيد اضافة جديدة بالنسبة للمسلم اذ تتمكن من نفسه معانى الاخلاص والاتقان وتجنب الأخطاء ما أمكن ومحاسبة النفس أولا بأول ، كما يتضمن اضافة جديدة بالنسبة للعمل ذاته بالالتزام بأدائه على وجهه المطلوب وفى صورته المتكاملة فينمو وتنمو به الحياة .

ومن هنا كان معنى العيد فى نظر الاسلام ايجابيا للعامل والعمل فى اضافة لبنات فى صرح النضج الانسانى والحضارى وإخصاب المجتمع بانتاج متكامل ونام فى سبيل مستقبل أفضل ترعاه عين الله وتباركه .

والله ولى التوفيق ..

صدفة

أم قصد وتدبير

للأستاذ :

عزت محمد ابراهيم

العلم اليوم هو شغل الناس الشاغل فى باب العقيدة والإيمان ، فقد حسب ضعاف الناس نفسا واهونهم إيمانا أن فيه فصل الخطاب لما كان يدور فى انفسهم من انكار فارتاحوا لما ظنوا أو ظنوا انهم قد ارتاحوا . « **وما لهم بذلك من علم إن هم الا يظنون** » .

وهناك فريق آخر من أصحاب العلم والتجربة ، ومن ذوى الفكر الثاقب الذين لا يحسبون من عامة الناس واوشابهم فهما وذكاء ومقدرة، وهم مع ذلك سواء فى الانكار وسوء الظن بالدين،لانهم كابروا واستكبروا، واقاموا من العلم معبودا لهم ، يقيمون له الطقوس والمراسيم ، ويقدمون له الذبائح والقرابين ، فأضلوا أنفسهم قبل أن يضلوا غيرهم من الناس .

من هؤلاء العالم الانجليزى «جوليان هكسلى » صاحب كتاب « الانسان يقوم وحده » المترجم الى العربية بعنوان : « الانسان الحديث » .

و « هكسلى » عريق فى الانكار وراثة ودما يجرى فى عروقه ، فجده « توماس هكسلى » هو صاحب « دارون » ومؤازره فى نظرية النشوء والتطور ، فالمسألة عنده مسألة انتصار للعلم المتوارث أو الانكار المتوارث ، وهى عنده اقرب الى اللجاجة والعناد ، والمكابرة والمحافظة على الإرث القديم بكل ما عرف عن الانجليز من محافظة على قديمهم .

وليس « هكسلى » بالمثل القليل النادر فى هذا المجال بين مفكرى الانجليز فقد سبقه « جون ستيوارت ملى » الى مثل هذا الانكار مقتفيا اثر ابيه الذى انكر المعتقدات الدينية فى أخريات حياته ومات على إنكاره.

وقد رد على « هكسلى » كثيرون منهم « كريس موريسون » رئيس المجمع العلمى الامريكى وقد ضمن رده كتابه « الانسان لا يقوم وحده » وقد ترجم الى العربية بعنوان « العلم يدعو الى الإيمان » .

ويسوق « موريسون » فى كتابه ــ الآنف الذكر ــ أكثر من دليل ينفى الصدفة فى الخلق ، ويعدها من عبث التفكير الذى لا يجمل بالعلماء الدارسين لأنه لا يصح أن يصدر عن أبسط العقول تفكيراً وأقلها مقدرة على البحث والاستنتاج ، فان الشمس لها درجة حرارة معينة ، ولها بعد معين عن الكرة الأرضية ، فلم كانت على هذه الدرجة من الحرارة دون غيرها ؟ ولم كانت على هذا البعد من الأرض ولم تكن أقرب منها أو أبعد ؟

وتكون الإجابة أنه لو زادت درجة الحرارة بمعدل خمسين درجة فى سنة واحدة ، فان كل ما على الارض من نبات يفنى ، وكل إنسان يموت احتراقا أو تجمدا .

وللقشرة الارضية سمك معين ، فلم كانت قشرتها على هذا النحو ولم تكن على نحو غيره ؟

وتكون الإجابة أن لو كانت قشرة الأرض أسمك مما هى عليه ببضعة أقدام لامتص « ثانى أكسيد الكربون » غاز « الأكسجين » وما أمكن وجود النبات الذى عليه تتوقف دورة الحياة .

ويسألون سؤالا ويجيبون الجواب الذى يؤكد حقيقة خالدة لخالق عظيم ، خلق كل شىء بقدر ، وقدّر لكل كوكب فى هذا الكون مكانه الصحيح الذى تتحقق به الحياة ، ويكون به الوجود . **((لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون))** .

إن الخالق العظيم الذى خلق هذا الكون ودبره ، هو الذى خلق الانسان من سلالة من طين ، ثم جعله فى قرار مكين ، لأن الذى خلق هذه العين البشرية بما فيها من شبكة تتلقى الصور والمرئيات ، لا بد أن يكون هو ذاته الذى خلق الشمس وأذن لها أن تبعث بأشعتها الى الأرض لتكمل دور شبكة العين فتتحقق لها الرؤية ، وإلا كان خلقها بغير فائدة ترجى منها ، إذا كان الأمر أمر صدفة عمياء لا أمر قصد وتدبير .

((لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون)) .

وما استطاع العلم بكل فتوحاته وغزواته أن يأتى بحقيقة تخالف هذا الإيمان بغير أن يعرض لها العقل فيكشف زيفها ، أو يعرض لها العلم نفسه فيقر باستحالتها .

وما من ادعاء علمى فى باب الجحود والانكار قد حظى بموافقة شاملة من أصحاب العلم جميعا .

ويتحدث « موريسون » عن أصل الحياة حديث العالم الذى يزن كل كلمة بميزان المنطق الدقيق ، ولا يخرج من حديثه بغير حقيقة واضحة جلية هى أن هذا التدبير المحكم لا يمكن أن يكون وليد صدفة ، ولا يمكن أن يكون من عمل المادة الصماء الجامدة التى لا تعى ولا تعقل .

« إن مئات الآلاف من الخلايا تبدو كأنها مدفوعة لأن تفعل الشىء الصواب فى الوقت الصواب ، وفى المكان الصواب ، والحق أنها طائعة ، والحياة تدفع الى الامام ، بانية ، وخالقة ما هو جديد وما هو أفضل بنشاط لا يفتر ولا يقاس بما فى الأشياء الجامدة ، فهل هذا ناتج عن إدراك ؟ أم عن غريزة ؟ أم أنه مجرد حدوث فحسب ؟ ويمكنك أن تجيب على ذلك بنفسك » .

أجل ، يمكنك أن تجيب على ذلك بنفسك ، ولا حاجة بك الى دليل يرشدك غير دليل العقل الصحيح ، والمنطق السليم البرىء من الغرض ، المنزه عن الهوى .

ومن تمام العلم بالله والإيمان به ، النظر فى مخلوقاته ، وتأمل ما تأتى وما تدع ، وما جعلها الله عليه من إحكام وتدبير ، والتأمل فيها بعد ذلك

هو إقرار من الإنسان بعجزه وضعفه حيال أصغر مخلوقاته وأكبرها على السواء ، فان العلم الذى جر بعض الناس الى إنكار الخالق ليقف عاجزا مكتوف اليدين ، لا يقدر على تعليل أبسط الأمور فى معجزات الخلق والتكوين .

والإنسان اليوم فى أوج مجده العلمى ينظر الى عنكبوت الماء فيأخذه العجب ، ويقف حائرا وهو يرى أنثاه تصنع لنفسها بيتا من النسيج تثبته تحت الماء ، ثم تأتى بفقاعات الهواء تطلقها أسفله حتى ينتفخ البيت البالونى فتلد فيه صغارها فى أمان من هبوب الرياح .

وعجب الإنسان من عنكبوت الماء لا يقل عن عجبه من ثعابين الماء التى تهاجر من البرك والأنهار لتضع بيضها فى الاعماق السحيقة من المياه ثم تموت فيها ، وتخرج صغارها من هذه المياه لا تعرف غيرها ، ثم لا يعلم غير الله السر الذى يدفعها الى أن تعود الى حيث نزحت أمهاتها من مهاجرها الأولى .

وفى ولاية « نيو انجلند » فى أمريكا تخرج ملايين الجراد من شقوقها تحت الأرض فى سنتها السابعة عشرة فى اليوم الرابع والعشرين من شهر مايو فهل اجتماع كل هذه الملايين فى هذا اليوم المحدد من هذا الشهر هو من قبيل الصدفة ؟ أم هو النظام الدقيق المحكم الذى يدفع الى التأمل وامعان النظر فى دقته وإحكامه .

لا مكان للصدفة فى ذلك لأن الصدفة تكون فى حالة أو حالتين ، ولا تكون فى جميع الحالات ، فتهاجر كل ثعابين الماء الى مكان معين فى وقت معين لتضع بيضها ، ثم يخرج منها صغارها فتعود الى موطن أمهاتها الذى هاجرت منه ، وتخرج هذه الملايين من الجراد فى يوم واحد بعد زمن واحد من بقائها تحت الأرض .

ان القول بدور الصدفة فى هذا الأمر ، لانه نظام ، ولان النظام والصدفة نقيضان لا يجتمعان .

وفى شؤون حياتنا العابرة ما ينفى عمل الصدفة فى أبسط الاشياء ، فقد يتقابل اثنان فى شارع ما فى ساعة ما من النهار ، فيقال انها صدفة ، فاذا تكررت المقابلة مرة وأخرى وثالثة انتفى عمل الصدفة وأصبح من المحتم البحث عن علة أخرى تخالفها .

ولو أن الصدفة هى التى تحكم عالمنا الذى نعيش فيه — اذا صح للصدفة أن تحكم وتتحكم فيعيش فيه كل كائن على هواه ، وحسب طبيعته، اذن لرأينا الحشرات تنمو فلا تقف بنموها عند حد ، ولما كان لها هذه الأنابيب التى تتنفس منها ، فتقف بها عند هذا القدر الذى نراه عليها ، فيسهل التخلص منها والقضاء عليها ، والا فأى مسحوق أو مادة كان فى استطاعتها اليوم القضاء على ذبابة فى حجم الأسد ، أو عنكبوتا فى حجم الفيل ، هذا اذا كان فى وسع الانسان أن يبقى حتى اليوم فى عالم يجمع بينه وبين مثل هذه الكائنات .

فلم تخلق إذن هذه الأنابيب عبثا ، ولم تستبدل بالرئتين صدفة ، وانما كان ذلك عن قصد واع ، وتدبير محكم ، هو عالم الحيوان كما هو فى عالم النبات ، فاذا أراد الانسان أن يغير شيئا من هذا النظام ، نال وبال فعله ، كما حدث عندما نقلت استراليا نبات الصبار اليها لتتخذ منه سياج وقاء ، وهو ليس من نباتها ، فكانت النتيجة أن امتد زحف هذا النبات حتى استولى من أرض استراليا على ما يوازى مساحة انجلترا ، فأتلف الزرع وزاحم الانسان فى أرضه ، ولم ينجه من خطر هذا الجيش الزاحف فى صمت سوى اكتشاف حشرة لا تعيش على غيره .

ولم يخلق الانسان هذه الحشرة ، ولم يصنعها علماؤه فى معاملهم ، وانما خلقها خالق نبات الصبار ، وخالق كل شىء ، وما هم فى الضعف وقلة الحيلة الا كما وصفهم عز وجل فى محكم آياته : « **وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب** » .

وقد قال أصحاب نظرية التطور بنظريتهم ، ولم يكن علم الوراثة قد اكتشف بعد سر وحدات الوراثة « الناسلات » ، صاحبة الاثر البعيد فى تكوين المخلوقات حتى ليكون من اثرها تشابه لون أجنحة الفراشة للون أجنحة أبويها فى دقة متناهية « فحين تطير الفراشة فى الهواء بكل الوانها الباهرة نرى بالميكروسكوب أن أجنحتها مغطاة بقشرة تشبه الريش ، وأن كل بقعة حمراء أو سمراء أو خضراء أو صفراء ، هى فى مثل المكان الذى كانت فيه على الفراشة الأصلية ، وترقيطها يشبه ترقيط ابويها من كل الوجوه الى حد ميكروسكوبى تقريبا » . وهو دليل جديد يقنع أصحاب النظر المادى والتجربة الملموسة بأن الكائنات لا تكون من ارتقاء وتطور ، وإنما تكون فى هذا السر المودع فى ناسلاتها فيشكلها على شاكلة أسلافها على تتابع الازمان والاحقاب .

وما زال الدليل يأتى تلو الدليل على بطلان القول بأية وسيلة للخلق تتنافى مع وسيلة خلق الانسان فى أحسن تقويم .

وهى ليست أدلة تأتى من المناهضين والمنكرين للتطور والتطوريين فحسب ، بل هى أدلة تأتى منهم انفسهم بعد أن رجعوا الى جادة الصواب ، فأنكروا ما كانوا بالامس به يتشدقون .

وليس ذلك من قبيل القاء الكلام على عواهنه ، ولا هو من قبيل الكلام الذى يدفع إليه الحماس والاندفاع ولكنه من قبيل الكلام الذى تؤيده الشواهد وتسوق اليه الحجج والبراهين .

وليس أرجح فى ذلك ولا أدل فى بابه من داروين نفسه صاحب نظرية التطور الذى قال فى كتابه « حياة ورسائل » ما نصه :

« إن ثمة مصدرا آخر للاعتقاد فى وجود الله ، يرتبط بالعقل ، وله فى نظرى أهمية أكبر بكثيرمن المصادر المتعلقة بالمشاعر والاحاسيس . وهذا المصدر يأتى من الصعوبة البالغة — أو بالأحرى استحالة تخيل هذا الكون الفسيح الرائع الذى يشمل الانسان بقدرته على النظر الى الماضى البعيد والى المستقبل البعيد ايضا — على انه ظهر نتيجة للمصادفة وحين أفكر بهذه الطريقة أشعر بأنه لا بد لى من البحث عن علة أولى لها عقل بصير ، وهذا يعطينى الحق فى أن أوصف بأننى مؤمن بالله . »

ولقد تقدم العلم اليوم ما شاء الله له أن يتقدم ، ويستطيع الجراح أن يساعد على التئام الجروح ليس إلا وليس فى وسعه أن يجعل خلايا الجسم تنمو لكى تنشىء ذراعا فقدت ، أو رجلا بترت ، ولكن الله عز وجل وضع هذا السر فى أضعف مخلوقاته : مثلا وعبرة للناس فان دودة صغيرة هى «دورة الطعم» تقطع رأسها فتبادر على الفور الى صنع رأس بدلا منه .

ولا نقول اليوم ما قيل بالأمس ، اللهم إيمانا كإيمان العجائز ، بل نقول: اللهم إيمانا على هدى وبصيرة ، وعلى علم وتدبر ، فان العلم يهدى للرشد ، ولا يدفع الى الزيغ الا من كان فى قلبه مرض وقد كان العلم فى بدء طريقه حين بهرت كشوفاته واحدا من العلماء فقال : أعطنى ماء ومواد كيماوية ووقتا كافيا أخلق انسانا . ولا يقول اليوم مثل هذا القول انسان به مسكة من عقل . وذاك لان قليلا من العلم يعمى ويضل ، وكثيرا منه يهدى ويرشد .

فكرة الواجب في الأخلاق

للاستاذ : سعيد زايد

(الواجب) هو ما على الانسان أن يفعله نحو الناس ونحو نفسه ، وهو بذلك يخالف (الحق) فهذا الأخير هو ما للانسان عند الناس وعند غيره . ويختلف (الواجب) فى ميدان الأخلاق عنه فى ميدان القانون ، فهو من وجهة النظر الأخلاقية يرجع الى احساس الشخص واحترامه للرأى العام ، ولكنه من وجهة النظر القانونية يرجع الى خوف الشخص من العقاب ، فهو بهذا يتضمن شيئا ماديا خارجيا مثل السجن ..

ويبغى (الواجب) الخير الحقيقى للانسان ، وهو دافع أخلاقى ينظر الى الفعل الاخلاقى كغاية بعيدة كل البعد عن المنفعة والشهوات والأغراض ، ويمكن اعتباره نوعا من الأمر أو النهى للوقوف الى جانب الخير والابتعاد عن الشر دون أى ضغط خارجى . فالانسان حر فى قبول الفعل الأخلاقى بمحض اختياره لأنه يملك السيادة النفسية ، ولذلك كانت أوامر العقل بالفعل أو بالامتناع أحكاما لذاتها لا تبغى الأمور الخارجية والخوف من العقاب ، وانما التخلق للواجب فى ذاته .

(فالواجب) مطلق لا يحسب للأغراض أى حساب ، والتخلق — فى مجاله — لا يرتكز على هواجس النفس ، وانما على العقل والارادة . وبذلك يصبح عاما ، كما يقول العلامة كانط : « تخلق بحيث يكون تخلقك واحدا لكل الناس » فهناك شروط ثلاثة لفعل الواجب : أولها أن يؤدى من غير نفع شخصى ، وثانيها أن يفترض فاعله التضحية حين الأداء ، وثالثها أن يتضمن الفعل نوعا من الزهد فى الجزاء والسمو الى عالم المثل .

ويمكن القول بأن المدرسة الاجتماعية الفرنسية قد انتهت فى أبحاثها ، الى ما انتهى اليه العلامة كانط وان اتبعت طريقا آخر مخالفا لما سار هو عليه . فهناك تمييز — نجده عند دوركهيم — بين نوعين من الافعال : أفعال تتضمن عقابا ،

كالاسراف فى تعاطى شيء ما وأخرى عقـــابها خارج عن الفعل ذاته . فالأساس الأول للتفسير الاخلاقى عند دوركهيم هو المجتمع ذاته ، فالعرف والتقليد والعادات لها أصول ولهـــا منطق معين ولها أحكامها الواجبة التى تقع على كل خارج عنها . و (الروح الكلية) عند المدرسة الاجتمـــاعية الفرنسية تفرض علينا ضغطا ونوعا معينا من السلوك من يخرج عليه يعد مارقا فى نظر المجتمع . والواجب الاجتماعى يبلغ من الســـمو مبلغ الواجب النفسى ، لأن الأول يراعى المجتمع ، والثانى يراعى الانســانية من وجهة النظر العامة .

وتنقسم الواجبات حسبما يتراءى للمفكرين ، وحسب الأســاس الذى تبنى عليه هذه التقاسيم . فالتقسيم يقوم تارة على تمييز لطبقات المجتمع مثل :

١ ــ واجبات أصـــحاب الجاه والسلطان .

٢ ــ واجبـــــــات الملاك والراسماليين .

٣ ــ واجبات الطبقة الوسطى .

٤ ــ واجبات الطبقة الفقيرة .

وهناك تقسيم آخر يوجد عادة فى كتب الاخلاق ، هو :

١ ــ واجبات خاصة للفرد نحــو عقله وجسمه .

٢ ــ واجبات خاصة بالعائلة من والدين واخوة وزوجة وأبناء . . الخ .

٣ ــ واجبات اجتماعية ومحورها فكرة العدل .

٤ ــ واجبات ســــــياسية مثل الانتخاب .

٥ ــ واجبات اقتصادية ، مثـــل الادخار والمساهمة فى بناء الحيـــاة الاقتصادية للأمة .

٦ ــ واجبات دينيـــــة ، كواجب الشخص نحو ربه .

٧ ــ واجبات انسانية ، كواجب الفرد نحو الانسانية ، وما يتضمنه من عطف نحو أفرادها .

وهناك تقسيم ثالث يقوم أســـاسا على الطبيعة الانســــانية ، وعلى اعتبار الانسان حيوانا عاقلا وكائنـــا مفكرا يمكنه ادراك الحقيقة ناصــعة واضحة ، وهو :

١ ــ واجبات عامة دائمة لا تتأثر بتغير الزمان والمكان لأنها تشتق من طبيعة الانسان كمخلوق له عقل يميز به الغث من الســـمين ، مثل : (لا تسرق) (لا تــكذب) (اخلص للوطن) و « احترم أقرباءك ومعلميك وكل من هو أكبر منك سنا » وهكذا .. فهذه أوامر ترسم لنا واجبات ضرورية حيويةلبقاء الفرد والمجتمع .

٢ ــ واجبات فرعيـــة وان كانت لا تقل فى عموميتها ودوامهـــا عن الاولى ، أطلق عليها بعض العلماء الحقائق الاخلاقية ، كالاحسان الى الغير والعدل بين الناس .

هذا ملخص للفكرة العـــامة عن الواجب فى ميــــــدان الاخلاق والتقسيمات التى تناولته من وجهـــة نظر المدارس الفلســفية المختلفة ، ولا بأس من أن نعرض هنا ــ اتماما للفائدة ــ نظرية قال بها العـــلامة (جيو) والآراء التى قيلت فى الرد عليها .

قال العلامة سبنسر : « ان الحياة نوع من الامتلاء ، تتطور نحو التعدد ونحو أشـــكال جديدة من المخلوقات المتباينة ، والعالم يســـير دائما الى الأمام وفقا لهذا التطور » والظـــاهر أن العلامة جيو قد حذا حذو سبنسر فى ميدان الأخلاق . فالأخلاق عنده ما هى الا مظهر الحياة ، ومن طبيعة الحياة ــ كما نعرف جميعا ــ الاتساع والتشعب ، فالحضـــارة والتمدين والروح الاجتماعية تدعو الى التوسع فى الاتصالات وتبادل المعـــاملة بين الناس . فاذا نظرنا الى النـــاحية الاقتصـــادية مثلا ، نجد المنتجين والمســـتهلكين وما يؤدى ذلك من

تشابك المصالح وتبادل المنافع ، وذلك لا يتم الا باجتماع الناس أو التفاهم بينهم . واذا انتقلنا الى الناحية الانسانية نجد حاجة الفرد الى التناسل ومجهوده فى تربية أولاده ليصبحوا مواطنين صالحين . وغير ذلك من مظاهر الترابط بين الناس الذى يبنى على العنصر الشعورى للفرد من مشاركة فى الافراح ومواساة فى الأتراح . وما دام هذان العنصران لا يتنازعان لأنهما مظهران متوازيان ضروريان للحياة العادية ، فان الأخلاق تصبح مظهرا من مظاهر الحياة وليس من الضرورى وجود (واجب) يضغط على الانسان للتخلق فهو شكلى فى الغالب سواء عند القدماء أو عند المحدثين . .

هذا الانكار للعلامة (جيو) (للواجب) جعله يستعيض عنه بدوافع متعددة تدعونا الى التخلق هى :

١ ــ الاحساس بالقدرة الداخلية وأهمية الشخصية .

٢ ــ هناك آراء تدعونا الى التخلق وهى آراء نؤمن بها شخصيا .

٣ ــ الاندماج الاجتماعى واصطباغ المسرات والآلام بلون اجتماعى .

٤ ــ حب المخاطرة فى المعاملات .

٥ ــ محبة المثل الأعلى الذى يعد نوعا من المخاطرة الاخلاقية .

هذا تلخيص لرأى العلامة (جيو) وهو رأى خطير فى رفع الشعور بالواجب وعدم احترام آراء أخلاقية معينة ، يخشى منه أن يؤدى الى الفوضى الاخلاقية . فان تجاهل قانون أخلاقى معين ، أو مبدأ أخلاقى خاص والنظر الى الفرد كمجرد كائن يعيش فى مجتمع ويخضع لأشياء مرسومة ان صح أن يكون فى عالم الحيوان ، فانه لا يصح فى عالم الانسان .

ففكرة الواجب ضرورية فى عالم الأخلاق .

٢ ــ المثل الأعلى والواقع

نستطيع أن نقول أن كل مذهب فى علم الأخلاق الفلسفى هو مذهب مثالى عملى ، اذ يفرض أننا نضع نصب أعيننا غايات ينبغى أن توجد ، فهو يفرض نوعا من الشعور القوى يقترن به تصور ما ينزع اليه ، اذ أن الواقع لا يرضى حاجات النفس ، والا فما كنا فى حاجة الى مثل أعلى ولا أخلاق فلسفية على الاطلاق .

ومع ذلك نستطيع القول أيضا أن كل مثل أعلى تستخدمه الأخلاق لا ينبغى أن يكون فوق الواقع فحسب ، ولكن ينبغى أيضا أن يكون بينه وبين الواقع صلات تسمح بأن يقتربا من بعضهما ، فمن الوجهة الشخصية يجب أن يكون فى الامكان قبول المثل الأعلى ، ومن الوجهة الموضوعية يجب أيضا أن يكون فى الامكان تعقبه فى عالم التجربة والاعتقاد بأن أشخاص الانسان الذين يجب عليهم أن يريدوا وأن يفعلوا هم أشخاص حقيقيون فى الواقع ، والعالم الذى هو مسرح لارادتهم وأفعالهم هو عالم حقيقى ، وأن كل ما تستلزمه الأخلاق ينبغى أن يكون ممكنا من وجهات النظر الطبيعية والنفسيةوالتاريخية .

ولا ينبغى القول بأن المثل الاعلى يناقض قوانين العالم الواقعى ، فالذى يرفض مذهبا فلسفيا فى الأخلاق لأنه يقول بمثل أعلى فان رفضه هذا يتضمن أن المثل الأعلى عديم الصلة بالواقع ، وهو فى الوقت ذاته يسير على مثل عليا يصنعها لنفسه . فالواقع أن أى انسان لا يستطيع أن يتبرأ من كل مثل أعلى ، وانما الخلاف هو حول أى المثل العليا ينبغى أن يتخذها لنفسه .

والعلم النظرى مثالى دائما فهو يعتمد على مبادىء ومصادر بسيطة

ولا تطابق التجربة أبداً ، والفكر الانشائي المعقول لا يحصل الا لأننا ننظر فى عامل جزئى فى الموضوع ثم نستخرج منه كل النتائج ، فالهندسة مثلا تنظر الى الأشياء من حيث تميزها عن بعضها فحسب ثم تستنبط قوانين عامة دون اعتبار لسائر صفات الأشياء ، فهى بهذا المنهج تنشىء حيزا مثاليا ، وكذلك علم الأخلاق باعتماده على علم النفس والتاريخ ينشىء ضميرا مثاليا ، فضمير الانسان يتألف من عوامل مختلفة أو متقابلة أحيانا ، فالمحاكاة والعرف المتواتر والأنانية والطمع وحساب رأى الآخرين وخوف العقاب والتقوى ومحبة الناس والتدين والشعور الاجتماعى ، كل هذه وغيرها تضطرب فى الضمير العادى . فالضمير ليس شعورا بسيطا كما يحسب أحيانا ، فالتعاليم المختلفة فى الأخلاق ليس مجال تنازعها التاريخ والنوع الانسانى فحسب ، بل انها تتنازع أيضا داخل ضمير الانسان ، فالمصالح المختلفة والغايات تتنازع فيما بينها لتقرير أيها ينتهى بالفصل فى التقدير الذى يقدر به كل انسان أفعاله او افعال غيره من الناس .

والمحاولات التى تبذل فى سبيل بسط علم أخلاقى معقول يجب أن يكون أساسها قائما على محرك جزئى للتقدير ، وهى بذلك انما تسلك مسلك المثل الأعلى .

وتاريخ الأخلاق الفلسفية خير شاهد على محاولة المفكرين شرح هذه المحركات وبسطها للأنام . فهذا (هوبز) و (بنتام) يستندان على عامل الأنانية أو المصلحة الشخصية، وهذا (هتشسون) و (هيوم) و (آدم سميث) يستندون على الشركة الانفعالية بين الناس أى التى تقوم على الاشتراك فى المصالح ، وهذا (هيجل) يستند على معنى الدول والاجتماع الحضارى .

وأهمية الأخلاق الفلسفية هنا هى دفع الغايات المختلفة التى قد يقصدها الناس وما يصدر عنها من نتائج الى درجة الضمير الكامل ، وهذا ما يوضح مختلف المثل العليا وما بينها من نزاع هو من اكبر الفوائد التى يعطيها علم الأخلاق النظرى الى الاجتهاد الخلقى العملى . وقيمة الفائدة تتوقف على محرك التقدير المختار للدرس لأنه بناء عليه تقدر كل المحركات وكل الميول بواسطة الأساس المختار حسب الوصول بها مباشرة أو بالواسطة الى اتجاه المثل الأعلى الذى يهدى اليه الأساس .

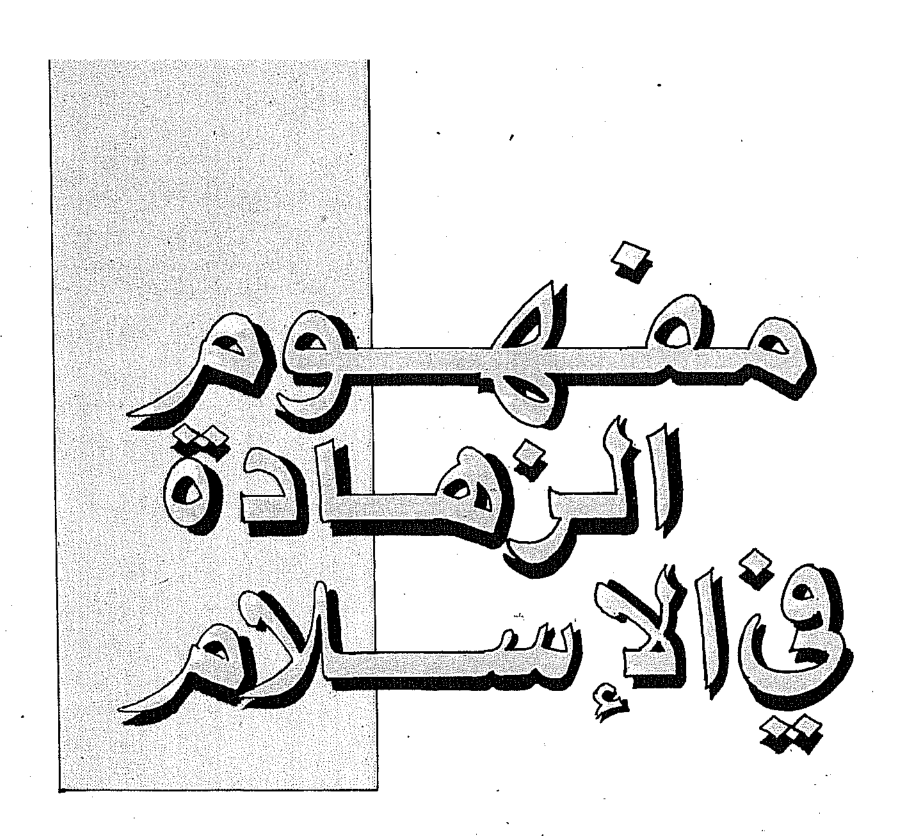
والفرق هنا بين العلم النظرى والعلم العملى هو أن كل المثل العليا عبارة عن مقربات نحو الحقيقة التى هى الغرض الذى يحاول الفكر أن يبلغه ، ومن الوجهة العملية تكون الحقيقة هى التى ينبغى أن تعدل وتقرب من المثل العليا .

ولكن القول أن المثل العليا تبتعد عن الواقع من جهات ثلاث هى :

١ — أن الارادة والفعل الحقيقيين يشتملان على عناصر مضادة مباشرة لما تقتضيه الأخلاق ، وهذه العناصر تكبح الأخلاق جماحها وتحاول ابعادها عن العالم الخلقى .

٢ — أن الارادة والفعل الحقيقيين لا تعطيان فى أغلب الأحيان الا جزءا ضعيفا ناقصا مما تتطلبه الأخلاق .

٣ — ربما احتاجت الارادة والفعل الحقيقيان الى مطابقة العقل والوحدة والانسجام ، فيشعر الانسان باندفاعات مختلفة ونزعات متضادة . وهنا لا بد من تأليف وتركيز وجمع وتوفيق بين العناصر المتفرقة المتنافرة، ويحاذى كل هذا فى الحياة الارادية العملية تنفيذ جملة من الحركات والتصورات المركبة ، والقدرة على انجاز التفكير وتقليب الآراء وذلك سبيله العزم والتقرير .



للشيخ ابو الوفا مصطفى المراغى

الزهد أو الزهادة .. فكرة اخلاقية قديمة ، عرفتها كثير من الأمم قديما وربما تكون قد عرفتها قبل أن تعرف الأديان .. وحين جاءت الأديان استغلت من نصوصها ما يلائم موضوعها ، وفى الأديان سماوية كانت أم أرضية دلائل توائم هذه الفكرة وتساندها سواء بالنصوص أو الاشارات والمفاهيم .. وقد امتازت تلك الفكرة بانتسابات مختلفة فهناك زهادات بوذية وزرادشتية وموسوية وعيسوية ومحمدية ، كما امتازت كل جماعة من أشياعها بأفكار وشعارات وأزياء مختلفة وقد أخذ الزمن يحور ويطور فى تلك الفكرة بالاضافة والتأويل والحذف والتغيير، وبعد أن كانت فكرة بسيطة أخذت تنمو وتكبر وتتشعب وتتفرع حتى غدت فنا كبيرا ألفت فيه الفصول والأبواب والكتب .

وقد يكون مبعث فكرة الزهد أو التصوف وأصل نشأتها أن جماعة من أرباب النفوس الصافية والقلوب المستنيرة ، فكروا فى الدنيا وما فيها

من لذائذ ومباهج وما تحـــويه من زروع وثمار وجنات وأنهار وفضـــة وذهب .. وجاه وحسب فوجدوا أن أمد ذلك قليل وعمره قصير لا يستحق أن يحفلوا به ويقفوا حياتهم عليه ، ويعنوا أنفســـهم بالســـعى اليه ، فانصرفوا عنها مكتفين بما حصل من قوت وما تيسر من لباس ومنهم من وقف عند تلك الغاية ، ومنهم من طمح مع ذلك الى غاية أخرى أجل واسمى .. تلك الغـــاية هى معرفة الله ومعرفة سر الوجود .. ؟ والانتهال من نبع الحقائق الالهية والاستمتاع بلذة القرب ونعيم الوصـــول فكانت زهادتهم للأمرين معا .. ومهمــــا كانت بواعث الزهادة .. فهى فى مفهومها العام عند جمهرة الناس .. الانصراف عن لذائذ الدنيا من طعـــام وشراب وزينة ولباس .. والقناعة من ذلك بما يقيم الأود ويستبقى الحياة ورصد الطاقة الانسانية لعبادة الله والتزلف اليه رجاء مثوبته ورضوانه .

وقد اقترن الزهد فى أذهان الناس بالتصوف وامتزجا ببعضـــهما حتى غدوا شـــيئا واحدا وصار عنوان أحدهما يعنى ما يعنيه عنوان الآخر فالزاهد متصوف والمتصـــوف زاهد واختلف المتكلمون فى التصوف قديما وحديثا فى تعريف الزهادة أو الزهد اختلافا كبيرا حسبما تصور كل منهم من حقيقته وحسب اختـــلاف أحوالهم ومقاماتهم .. وأمر التصـــوف أقرب الى الوجدان منه الى الحس والعقل، وبالغ بعضـــهم فى تعريفه حتى كاد يخرجه من نطـــاق العقل والى حد يجعل من المتعذر تحقق صورته فى واقع الحياة حيث جعل من الزهد الا تشرب ماء باردا والا تصرف فكرك فى غير الله تعالى والا تسعى فى طلب قوتك ومعاشك واقتصد بعضهم فى ذلك فجعله قريبا من طبائع البشر ومن الطاقة الانســـانية والى روح الشرع ومقاصده، فقال بعض القدامى منهم .. رأس الزهد وأصـــله فى القـــلوب هو احتقـــــار الدنيا واستصغارها والنظر اليها بعين القلة هو الأصل الذى يكون منه حقيقـــة الزهد ..

وقال العلامة الغزالى :

« الزهد أن تترك الدنيـــا لعلمك بحقارتها بالاضافة الى الآخرة » .

وبما قاله أبو العتاهية فى معرض الحديث عن الزهد :

اذا كان القليل يســـد فقرى
ولم أجد الـــكثير فلا أبالى

وقال بعض المحـــدثين فى تعريف الزهد :

« هو أن تطيب نفســـك عن مال تعمر به خزائنك ثم تجود به طائعا للفقراء والمعوزين » ..

والذى يتتبع تعريفات الزهد قديما وحديثا يلاحظ أن هنـــاك عنصرين أســـاسيين لا بد منهما فى تحقق مفهومه أيا كان تصور النـــاس له أحدهمـــا الحرمان ، أعنى حرمان النفس من شيء من لذائذ الحيـــاة اختيارا والتضحية مما تقدر عليه .. والثـانى أن يكون ذلك الحرمان مما تملك ومما أنت قادر عليه فاذا كان ذلك الحرمان من شيء لا تقدر عليه ولم يقع تحت يدك فليس ذلك زهدا وانما هو عجز لا اختيار لك فيه ولا يدخل فى باب من أبواب الفضائل ، وذلك هو ما عبر عنه أحد قدامى المتصوفين حين قال :

« اذا حدثتك نفسك بترك الدنيـــا عند ادبارها فهو خدعة واذا حدثتك بتركها عند اقبالها فذاك » .

ومما قاله أحد المحدثين فى ذلك — ولكن فى انفعال وحدة :

« ان من الاجرام فى الحياة العقلية والوجدانيـــة أن نصف المفلســـين والعجـــزة بالزهد إن الزهد أن تترك بعض ما تملك ، والعفاف أن تـــكون

عند القدرة مسيطرا على هواك ، إن الزهد لا يدل على ثورة النفس الا حين يتضمن معنى الحرمان ، والحرمان مما تملك أقسى وأصعب من الحرمان مما تؤمل لأن الملك يغريك بالحرص ويطمعك فى المزيد ، أما المأمول فهو سراب ، والخفة اليه لا تضمن فى جميع الاحوال ، فالزهد فيه فضيلة الفارغين » .

ونحن إذا استبعدنا التعريفات المختلفة التى وضعها المتصوفة للزهد قديما وحديثا وصرفنا النظر عن بعد بعضهما عن الشرع والطبع واستعرضنا الدستور الذى وضعه الاسلام لحياة الانسان الشخصية فى القرآن والسنة ، واستعرضنا ما ورد من الآيات والأحاديث مما يتصل بموضوع الزهد فقد نستطيع أن نصل الى تصوير تقريبى للزهد ، فمن الآيات التى وردت فى قواعد دستور الحياة الشخصية للانسان قوله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم إياه تعبدون . إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله »

وقوله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون » .

وقوله جل شأنه :

« يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون » .

ومن الأحاديث ما أخرجه مسلم عن عائشة رضى الله عنها :

« ان ناسا سألوا أزواج النبى صلى الله عليه وسلم عن عمله فى السر أى ما كان يعمله بعيدا عن أعين أصحابه من الطاعات . . فقال بعضهم لا أتزوج النساء وقال بعضهم لا أنام على فراشى فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا لكنى أصوم وأفطر وأنام وأقوم وآكل اللحم وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

وأخرج عبد الرازق وابن جرير وغيرهم قال : أراد أناس من أصحاب رسول الله أن يرفضوا الدنيا ويتركوا النساء ويترهبوا فقام رسول الله فغلظ فيهم المقالة ثم قال : « إنما هلك من كان قبلكم بالتشديد ، شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم أولئك بقاياهم فى الديار والصوامع فاعبدوا الله ولا تشركوا به وحجوا واعتمروا واستقيموا يستقم بكم » .

وقوله صلى الله عليه وسلم :

مما رواه أحمد عن ابن عمر :

« كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا فى غير إسراف ولا مخيلة » .

أما ما جاء من الآيات فيما يتصل بالزهد فمنها قوله تعالى :

« ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى » .

وقوله تعالى :

« قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا » .

وقوله تعالى :

« اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم

يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » .

أما ما ورد من الأحاديث فى ذلك فقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد :

« كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور » .

وقوله فيما أخرجه ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت :

« من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره وفرق عليه ضيعته — ما يعيش منه — وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة » .

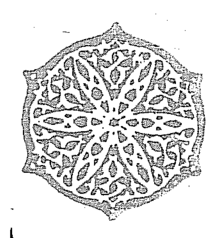
وقوله : « ليست الزهادة فى الدنيا بتحريم الحلال ولا اضاعة المال ولكن الزهد أن تكون بما فى يد الله تعالى أوثق منك بما فى يديك وأن تكون المصيبة اذا أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها ابقيت لك » .

هذه جملة من الآيات والأحاديث فى دستور الحياة الشخصية والانسانية وفيما يتصل بموضوع الزهد وبالتأمل فيها يمكننا أولا أن نستبعد من تصورنا للزهد فى الاسلام فكرة الامتناع عن طيبات الحياة ومستلذاتها .. لأن المجموعة الاولى تحض على الاستمتاع بها والأخذ بنصيب منها والثانية لا تمنع منها وكل ما يمكن أن نفهمه منها أنها تدعو الى ترك الحرص على الدنيا والانهماك فى شئونها وعدم الاسراف فى مستلذاتها حتى لا تشغل عن الآخرة ولذا يرى بعض المفسرين المحدثين أن الامتناع عنها جريمة ، فيقول :

ان امتناع امرىء من الطيبات التى رزقه الله إياها مع الداعية الفطرية للاستمتاع بها إثم يجنيه على نفسه فى الدنيا ويستحق به عقاب الله فى الآخرة بزيادته فى دين الله قربات لم يأذن بها الله ، وبما يترتب على ذلك من اضاعة بعض حقوق الله وحقوق عباد الله كاضاعة حقوق امرأته أو عياله وناهيك به اذا انتصب قدوة لغيره فكان سببا لغلو بعض الناس فى الدين وتحريمهم على أنفسهم وعلى من يقتدى بهم ما أحل الله تعالى والتحريم والتحليل تشريع وهو من حقوق الربوبية فمن انتحله لنفسه كان مدعيا للربوبية أو كالمدعى لها ، ومن اتبع فى ذلك فقد اتخذ ربا غير الله . ويمكننا أيضا أن نتصور أن للزهادة فى الاسلام جانبين جانبا قلبيا هو الثقة بالله والرضا بما نصاب به فى الدنيا خيرا كان أو شرا وجانبا حسيا هو الاقتصاد فى الملذات المباحة وبعد كل ذلك يمكننا أن نرسم الزهادة بأنها :

« التخفف من الدنيا وعدم التلهف عليها والاعتدال فيما تيسر من طيباتها مع الاعتماد على الله والثقة فيما عنده والرضا بما قدره » .

وبهذا تتلاقى النصوص وتندفع عن الاسلام شبهة مجافاته لطبائع الناس وسنن الوجود .





للأستاذ عبد الله سالم

عندما نبحث بجدية قضية (انسلاخ) شباب الإسلام من الإسلام ، و (انعتاق) أبناء العربية من عربيتهم ، لا بد أن نعرج ونقف طويلا مع الخطط والأساليب التى دفعت شباب المسلمين الى التملص من أهلهم وعقائدهم ، ثم الجرى وراء أعداء اهليهم وأعداء عقائدهم ، بل الالتصاق بهؤلاء الأعداء التصاقا اندماجيا ذوبانيا !..

إن هناك طرقا عدة ، وسبلا شتى : اجاد استعمالها أعداؤنا ، وهم وحدهم المستفيدون من عملية الانسلاخ فآتت أكلها كما نرى .

من تلك السبل : التشويه الفكرى والتاريخى للحضارة الإسلامية :

فلقد ابرز مؤرخو الغرب ومستشرقوه حضارة الإسلام فى صورة شوهاء ، والبسوها ثوبا فصلته أيديهم ، وخاطته أقلامهم فكيف يمكن أن نتصوره ؟

إنك لتجد الكثير من الطعن والاتهام ، فى تواريخهم عن العرب والحضارة العربية ، مما يظهر كوامن الحقد والكراهية علانية .

خذ دائرة المعارف الإسلامية التى يقولون إنها من تأليف أئمة الاستشراق والفكر فى العالم ، ما هى إلا افتراءات كاذبة ، واتهامات حاقدة على الإسلام ،

ونبي الإسلام وأتباع الإسلام ، إنها تصور الفكر الإسلامى من صنع محمد ، ومن خواطره ، وإيحاءاته ، وتصوراته أنه بحسب وضعه كان يتلون ويتغير ، فهو فى مكة غيره فى المدينة بالنسبة لليهود .

ومن هذا القبيل وبنفس الخطة ـــ خطـــة التشويه والتزييف ـــ ترى أكبر مؤرخيهم بروكلمان فى كتابه الشهير تاريخ الحضارة العربية يدس الســـم فـــى الدسم والحنظل بالعسل ، ويتعرض بالطعن والقدح لخلفاء المسلمين وحكامهم .

ومن الصنف ذاته أيضا معتمد بريطانيا فى مصر سابقا اللورد كرومر فى مذكراته ، يصور لنا العلم وكأنه أعدى الأعداء للإسلام ، والمسيحية الحاضرة وكأنها الحاضن الحقيقى للعلم ، ويصور العرب متأخرين متثاقلين لما اعتنقـــوا الاسلام .. ولقد تصدى له المرحوم لطفى المنفلوطى فأفحمه بالحجة والبيان ، والقمه حجرا كافيا لإسكاته وإذلاله .

ونتيجة الجهود الحثيثة ، والخطط الدنيئة ، برز فى مجتمعاتنا مؤرخون وتنكروا لتاريخهم العريق متأثرين بالمستشرقين ومقتفين لأثرهم فاذا بهم يخرجون لنا تاريخا مليئا بالدسائس والمؤامرات ، ومحشوا بالدعارة والترف ، ومتسما بالانشقاق والتمزق ليزعموا لنا أنه هو التاريخ الاسلامى !!!

والمثال الأوضح فى هذا المجال هو جرجى زيدان الذى لم يتورع قط عن كيل التهم والنقائص للإسلام وتاريخه ، وإن من لـــف لـــف جرجى كثير لا يدركه الحصر .

ولما كان شبابنا لا يرى فى متناول يده من تاريخ الحضارة المسلمة إلا ما خطته الأقلام الدنيئة أو المأجورة ، ولا يسمع من مصادر الثقافة العامة إلا ما يلقيه إليه تلاميذ تلك الأقلام ودارسوا تواريخها فقد انطبعت فى ذهنه الصورة المشوهة الواهية عن التاريخ الاسلامى بأكمله . فما محمد إلا رجل مفكر ، يعيش مترفا متكبرا ، تحميه السيوف ، وتحرسه الحراب ، ويحف به القوم مبجلين مكبرين ، وهو يترفع عنهم ، ويحرضهم على الغزو والنهب والسلب ، بينما ينغمس فى لذاته وشهواته ويتزوج من النساء ما يحلو له ويطيب ، وما أبو بكر وعمر وعثمان وعلى إلا أشخاص متنافسون على السلطة والخلافة ، وأما باقى الصحابة فأعراب أجلاف غلاظ القلوب والتفكير قد انتظموا فى جماعات سياسية متنازعة . ثم ما الأمويون إلا فئة تسلطت على الرقاب فأقصت الأعاجم ، واعتمدت مبدأ القومية العرقية وشددت الخنـــاق على أعدائها ، وتراهم فى أوهـــامهم عن العباسيين يتصورونهم ممثلين لمرحلة الأبهة والبذخ والتبذير فى تاريخنا ، فهم غارقون فى اقتناص لذائذهم سارحون وراء شهواتهم ومآربهم ، فهارون سكير عربيد يعيش بين أفخاذ النساء ، وتتلقفه أحضـــان الجوارى ، وتعبث بعقله الخمـــرة حتى الصباح ، وهكذا باقى تاريخنا ، إن لم يصطبغ بالمؤامرات اصطبغ بالإباحيـــة ، وإلا فهو عصر انحطاط وتأخر حتى لكأن تاريخنا هو تاريخ أحط وأشأم أمم الأرض تصرفا وسلوكا وتفكيرا .

هذا رسم أولئك ، وهذا انطبع فى أذهان الشباب .

وإنى لأتساءل .. ما يطلب أعداؤنا ـــ شرقيين أم غربيين ـــ منا أكثر من أن يسطوا على تاريخنا فيشوهوه فنبصره أعواما سوداء قاتمة ، وأيامـــا مظلمة مكفهرة ، فنقطع بالتالى صلتنا مطلقا به ، ونتجرد عنه وعن كل ما يمت إليه بصلة لنغدو أمة لا سند من التاريخ لها ، ولا أصل من الفكر يمدها ، وإنما هـــى وليـــدة مستولدة ، وحيدة فى العالم ، تعيش مرحلة الطفولة التى فيها طريقها الجديد .

وفى الحقيقة هكذا غدونا ــ كما أرادوا ــ متطفلين على العالم وموائده الفكرية والتاريخية بعد قطع كل حبل بيننا وبين أجدادنا وآبائنا وصانعى حضارة العالم فى يوم من الأيام وحاملى مشعل العلم والحرية للدنيا بأسرها .
وما هو أبشع من هذا كله هو الوجه الآخر للتشويه ، إذ بعد سلخ الشباب عن تاريخهم التافه بزعمهم لفتوا أنظارهم الى تاريخ الغرب ومعاركه وأيامه ، أو الى التاريخ القديم المغرق فى القدم والذى لا رابط لهم به ، ولا وجود لهم فيه ، أو لفتوا أنظارهم الى دراسة التاريخ الحديث والمعاصر للعرب وللأمة العربية بعد تفتيت الأمة الإسلامية الى أكثر من شعب ، وتقسيم أراضيها الى أكثر من وطن .

وهكذا استطاعوا أن يديروا وجه شبابنا عن تاريخــه الحافل بالأمجــاد والبطولات ، بعد أن رآه فى الصـــورة التى رسموها وأبرزوا معالمها . وحتى أصبح شبابنا يعرف عن فرنسا أو انكلترا أو أمريكا أو روسيا أو الفراعنة أو الحرب العالمية الأولى والثانية أضعاف أضعاف ما يعرفه عن القادسية واليرموك ونهاوند ، ومعارك فارس والروم والهنــد وإسبانيــا تلك التى خطتها سيوف المسلمين ، وروت أراضيها دماؤهم .

وفى مناهج المدارس التاريخية ما يغنى كل باحث عن طلب الدليل على صدق هذا القول وصحة ذلك الادعاء ، فالطالب منذ الصف الثالث يقرأ تاريخ الأقدمين وكأنه سيختص بالتاريخ ويتشربه ، ثم فى الرابع أو الخامس فقط يدرس تاريخ العرب (هكذا يسمونه) وهو فى الواقع تاريخ أبتر مقتضب ، يذكر الوقائع بلا أسبابها ولا مبرراتها الحقيقية ويتغاضى عن العامل الأساسى فيه وهو الإسلام فلا يذكر عنه إلا طرفا ، ولا يورده الا لماما ، ثم الطالب فى كل مرحلة من مراحلــه الدراسية الباقية تنقطع الصلة بينه وبين تاريخه الزاهر ، اللهم إلا صلة بالتاريخ الحديث للعرب الذى هو عبارة ــ كما يريده مؤرخونا المحدثون ــ عن مجموعة من الدسائس والمؤامرات ، وصورة ضخمة بارزة للخــلاف المستعر أواره بين الحكام أو الأحزاب أو الأسر .
ثم يقررون للشباب تاريخ الغرب بتفاصيل دقيقة لا يعرفها أبناء أوربا أنفسهم ويذكرون له نشأة أمريكا ويعددون له رجال هذا البلد وعظماء ذاك ، ويلحقون كل درس بقراءات تاريخية من شتى الجهات والأشكال .
وماذا بعد كل ما سبق :

لو انك على سبيل المثال سألت طالبا يحمل البكلوريا (الشهادة الثانوية) عن معركة نهاوند أو موقعة اليمامة أو فتنة القرامطة أو مذهب الأشعريين ، أو عدل العمرين ، أو معركة مؤتة وذات السلاسل وموقع بلاد السواد .

هذا عدا المناهج التاريخية فى سورية ، وديار بكر ، وربيعــة ، ودومة الجندل ، أو عن مذهب الظاهريين وأعداء المسلمين ، لا نفضح جهله ، وظهرت ضحالة فكره ، وكذب دعواه العلم ولمط شفتيه والوى عنقه ، وثنى عطفه وادار ظهره ، ثم ولى غير معقب .
وهل تستغرب منه هذا بعد أن تسلم تاريخنا أعداؤنا فطمسوا منه ما آلمهم ، وذاقوا فيه مرارة الخزى ، ورأوا خــلاله عزة الإنسان المسلم ، ثم سطروا مكانه فى عقول الناشئة ما أرادوا وما حلا لهم .

وأغرب من هذا .

يلحظ المتتبع لكتب التاريخ المدرسية ، أن التاريخ وهو المادة التى يجب أن تبتعد عنه يد التغيير والتحريف قد بدأت السياسة والنزعات الحزبية تمتد إليه وتحوره وتكيفه ، فما امتدح قبل سنين هو عرضة للشتم والسب فى هذا الحين ، وما كان صورة بطولية أو مأثرة أو مفخرة غدا الآن مسخا أسود وقردا (أمرد) ومحطا للسخرية والهزء ، ثم لا ندرى — والعلم عند الله — ما يفعل به بعد حين .

لا يا شباب ..

لا .. لأن الأمر مغلوط ومقلوب .. ولا لأن التاريخ مكذوب ومتلاعب به .. ولا لأن كتبته ليسوا أهلا للثقة فيما تخط أقلامهم أو فيما تسطره صحائفهم .

وإنى لأرى من الفائدة أن أثبت بعض الأسطر للدكتور يوسف العش من مقدمة كتابه الدولة الأموية ، وأنا أرى فيه — أيضا — الرد العلمى المحض لكل افتراءات هؤلاء على التاريخ الإسلامى يقول : ص ٢ ، ٣ : (ولقد حاول الكثيرون أن يصموا تاريخنا بكثرة الفتن والحروب والمكايد والاضطرابات ، وليس هنا مجال الرد عليهم ، غير أن النظرة الصحيحة الى التاريخ من خلال عوامله العديدة ، تعطى البيان الواضح عن أن هذه الوصمات لا أصل لها صحيح ، وأن كل ما فى الأمر أن هناك تفاعلات فى المجتمع الإسلامى العربى كانت تأخذ طريقها ، ولا بد أن تأخذ طريقها فى ذلك المجتمع ، وأن هذه التفاعلات سنة من سنن الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ، وهى تفاعلات تحدث فى كل أمة ، بل إن الأمم الأخرى كانت تتلقاها بعنف أكثر مما تلقاها به المسلمون والعرب ، وتاريخ الأمم الأخرى ممزوج بالحروب والفتن والاضطرابات أكثر من التاريخ العربى ، فهذا تاريخ فرنسا وألمانيا منذ الثورة الفرنسية (فرنسا وألمانيا من أعظم الأمم التى ساهمت فى تاريخ العالم) إن تاريخهما ملىء بالحروب ، حروب الثورة الفرنسية ، حروب نابليون ، حرب ١٨٧٠ ، حرب ١٩١٤ ، حرب ١٩٣٩ ، كل ذلك فى مدى لا يتجاوز قرنا ونصف القرن ، والضحايا التى وقعت فى هذه الحروب تتجاوز أضعافا مضاعفة ضحايا الحروب فى تاريخنا بأجمعه) .

وفى الختام لا بد من تعقيب :

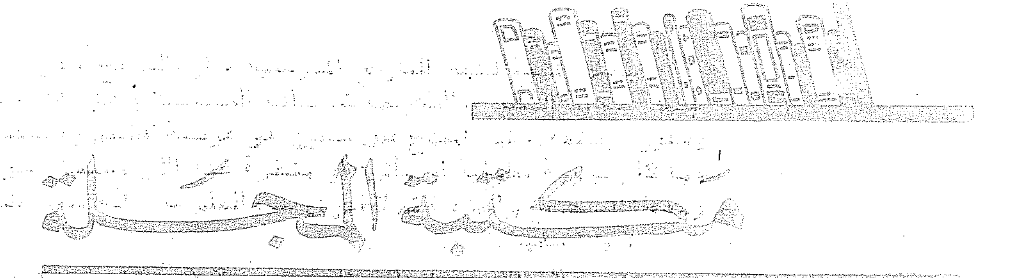
إذا كان تشويه التاريخ مفتعلا ، فمن الذى افتعله — ولم قام به ؟

أما عن الذين شوهوا تاريخنا فانهم منا ومن غيرنا ، وهم أظهر من أن يختفوا وأكثر من أن يحصروا .

وأما لِمَ قاموا به ، فان لم نتسرع نحن بالجواب ، فان الواقع سيقدمه لنا ، قاموا به ليحولوا وجه شبابنا عن تاريخنا ، وليسودوه فى أعينهم فيتبرءوا منه فى حياتهم العملية والسلوكية .

إن تاريخ أى أمة هو ملك لها ، لأنه جزء من كيانها ووجودها ، فاذا ما أسلمته الى أعدائها سواء كانوا من أبنائها أو من أبناء أعدائها فعلى تلك الأمة العفاء .

يا شباب الإسلام : إن تاريخكم ملىء بالبطولات ، غاص بالأمجاد ، حافل بالأفذاذ ، إن سيوفكم التى فتحتم بها أذهان العالم لتقطر حكمة وعلما ، وان جيوشكم التى حررتم بها الأرض لتجيش بالرحمة والرأفة ، وإن أبطالكم الذين حكموا الدنيا بأسرها لهم مثل الإنسانية ومنائرها .



اعداد :
الأستاذ عبد الستار محمد فيض

ابن تيميـــــة
امام السيف والقــلم

حين يتحدث التاريخ عن قادة وابطال وعظماء الاســلام انما يذكرهم فى صفحاته بريشة التعظيم ويتكلم عنهم فى سطوره بكل اكبار .. ذلك لأن لهم مواقف عظيمة وأدوارا مجيدة جديرة بأن تكون مفخرة فى مجال الفخر . والكتاب الـذى نقدمه للقارىء المسلم وللمكتبة الاسلامية يحوى بين سطـوره سيرة رجل من طراز هؤلاء القادة الذين لعبت آراؤهم دورا هاما فى حياة الشعوب رجل مصلح بار ، عاش فى مجتمعه برأيه وعقيدته ومبدئه هو ابن تيمية . وقد القى مؤلف الكتاب الأستاذ سعد صادق محمد الضوء على كل جوانب وحياة هذه الشخصية المصلحة بصورة تجعل القارىء يقف على شىء من حياته ونشأته ! وعصره وآرائـــه فى الدين والحياة والفقه والتفسير ، وفى الاجتماع وسياسة الحكم . كما أشار الى مكانته العلمية والى خصومه والى أنصاره والى جهاده فى سبيل الحق الذى آمن به وكافح فى سبيله ، ومات فى ساحته ..

والكتاب يشتمل على (١٤٢) صفحة أصدره المجلس الأعلى للشـــئون الاسلامية بالقاهرة ضمن سلسلة كتب اسلامية العدد ١٤٨ .

رجــال ونساء اسلمــوا

الحديث مع الذين شرح الله صدورهم للاسلام والحديث عنهم كلام شيق مشرق لأنه نابع من القلب والوجدان لاتصاله الوثيق بالعقيدة التى هى اسمى ما فى الوجود كله .

ورجال ونساء أسلموا هذه هي الحلقة الثالثة التي أخرجها الأستاذ عرفات كامل العشي . وفي هذه الحلقة يتحدث المؤلف عن اثنى عشر دخلوا فى الاسلام من جنسيات مختلفة من الشرق والغرب وبعضهم رجال وبعضهم نساء . ولكـل قصته الطريفة وظروفه اللطيفة ولقطات من حياته السابقة عـلى الاســلام ، والعقبات التى أعترضت الطريق الى الحق الى دين الله دين الفطرة وكيف كان توفيق الله فى اجتياز كل هذه العقبات والوصول الى شاطىء الايمان .

والكتاب يقع فى (١٣٢) صفحة ومن نشر دار القلم ــ ص ب (٢٠١٤٦) ــ الكويت .

مائدة القارئ

من يؤذن لنا .. ؟

ذهب بلال الى خليفة رسول الله يقول له :

انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : افضل عمل المؤمن الجهاد فى سبيل الله . قال له أبو بكر : فما تشاء يا بلال .. ؟ قال : أردت أن أرابط فى سبيل الله حتى أموت ، قال ابو بكر : ومن يؤذن لنا .. ؟ قال بلال وعيناه تفيضان بالدمع : انى لا أؤذن لأحد بعد رسول الله ، قال ابو بكر : بل ابق وأذن لنا يا بلال . قال بلال : ان كنت أعتقتنى لأكون لك فليكن لك ما تريد وان كنت أعتقتنى لله فدعنى لله . قال أبو بكر : بل أعتقتك لله يا بلال .

وبعد ذلك رحل بلال الى الشام ، وكان آخر آذان له أيام ان زار الشام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فرجاه أن يؤذن فأذن فبكى الصحابة كما لم يبكوا أبدا ، وكان عمر أشدهم بكاء .

ومات بلال بالشام مرابطا فى سبيل الله ، وتحت ثرى دمشق يثوى رفاته .

يقظة المؤمن ..

« لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » اول من نطق بهذه الحكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسبب هذا الحديث أنه لما كانت غزوة بدر الكبرى التى انتصر فيها المسلمون على المشركين — كان بين الأسرى ابو عزة الجمحى فتقدم الى النبى واستعطفه ليطلق سراحه ، وشكا فقره وعياله فقال : لى خمس بنات ليس لهن شىء ، فتصدق بى عليهن ، وانى أعاهدك لا أقاتلك فأطلق رسول الله سراحه وعاد الى مكة ، فلما كانت غزوة أحد خرج مع قريش ليحارب المسلمين فى غزوة أحد ، ولكنه وقع فى الأسر ، فتقدم الى النبى يستعطفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تمسح عارضيك بمكة وتقول سخرت بمحمد مرتين ، لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » ولم يعف عنه .

بين يدى عمر ..

جاءه رجل يشكو عقوق ابنه ، فأحضره أبوه أمام عمر ، فأنبه عمر فقال الابن : أليس للولد حقوق على أبيه يا أمير المؤمنين .. ؟ قال : بلى ، قال : فما هى .. ؟ قال : أن ينتقى أمه ، ويحسن اسـمه ، ويعلمه الكتاب (القرآن) .

فقال : يا أمير المؤمنين : انه لم يفعل ذلك : أما أمى فانها زنجية كانت لمجوسى ، وقد سـماني (جعلا) (جعرانا) ، ولم يعلمنى من الكتاب حرفا واحدا .

فالتفت عمر الى الرجل وقال له : أجئت الى تشكو عقوق ابنك ، وقد عققته قبل أن يعقك ، وأسأت اليه قبل أن يسىء اليك .

وحدة المسلمين ..

قال المرحوم على الجارم :

تذوب حشاشات العواصم حسرة
اذا دميت من كف (بغداد) اصبع
ولو صدعت فى سفح لبنان صخرة
لدك ذرا الأهرام هذا التصـدع
ولو (بردى) أنت لخطب مياهه
لسـالت بوادى النيل للنيل أدمع
ولو مس (رضوى) عاصف الريح مرة
لبـاتت لها أكبـادنا تتقطع

سيف الله ..

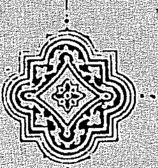
بهرت عبقرية خالد بن الوليد قواد الروم ، فسأله واحد منهم : يا خالد ، أتصدقنى ولا تكذبنى ، فان الحر لايكذب .. هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاك اياه ، فلاتسله على أحد الا هزمته .

قال خالد : لا .. قال القائد : فبم سميت سيف الله .. ؟

قال خالد : ان رسول الله دعا لى وقال : أنت سيف من سيوف الله ، فهكذا سميت سيف الله .

دراسة في التراث





قرأت فى وقت واحد نسختين مختلفتى التحقيق لكتاب « الرسالة » للامام المطلبى الفقيه محمد بن إدريس الشافعى (١٥٠ — ٢٠٤ هـ) رحمه الله رحمة واسعة .

والنسختان المختلفتا التحقيق إحداها قام على تحقيقها وشرحها الأستاذ أحمد محمد شاكر ، والثانية للأستاذ سيد كيلانى .

ومن التجنى الكبير محاولة المقارنة بين التحقيقين إذ أن النسخة الثانية منهما لا تكاد تتحقق فيها أدنى شروط التحقيق العلمى ، فضلا عن خلوها من الجهد تقريبا ، وحسبنا للاستدلال السريع على هذا أن النسخة الأولى التى حققها الأستاذ المرحوم أحمد شاكر تقع فى ستمائة وسبعين صفحة — فضلا عن مقدمة فى نحو مائة صفحة .. والنسخة من نفس الحجم الذى تتكون منه النسخة الثانية التى لا تتجاوز عدد صفحاتها مائتين وخمسين صفحة ، مع أن النص الأصلى واحد ، ولا توجد فى إحداهما زيادة علمية — عن النسخة الأخرى .

فمن الواضح أن الفرق كله فى التحقيق الذى أخلص فيه الجهد ... العلامة الشيخ شاكر — جزاه الله خيرا — .

للاستاذ : عبد الحليم عويس

أول كتاب في علم الأصول

ولكتاب الرسالة فى تاريخ العلوم الاسلامية أهمية خاصة ، إذ هو أول كتاب فى علم أصول الفقه ، بل فى علم الأصول مطلقا . ويعتبر الامام الشافعى بذلك « أول من صنف فى أصول الفقه .. صنف فيه كتاب الرسالة ، وكتاب أحكام القرآن ، واختلاف الحديث ، وإبطال الاستحسان ، وكتاب جماع العلم ، وكتاب القياس » « فنسبة الشافعى إلى علم الشرع كنسبة أرسطاطاليس إلى علم العقل » وكنسبة العروض إلى الخليل بن أحمد الفراهيدى ، ونسبة الاجتماع فيما بعد إلى ابن خلدون ..

الكتاب إذن ليس كتابا عاديا فى حركة الفكر الاسلامى ، بل هو معلم تراثى واضح على الطريق ، هو جدول استطاع أن يشق له طريقا انحدر به فى مجرى تاريخ الفكر الاسلامى ، مكونا له وسائل خاصة وقضايا خاصة ومعالم اجتهادية خاصة ، ومن المعلوم أن البداية الواضحة التاريخية لأى علم إنما هى حصاد تطور مبعثر طويل ، عبر عن نفسه فى أكثر من صورة ، وإن لم يكن أعطى هذه الصورة مكانها الصحيح ، وأطلق عليها اسمها العلمى المنظم .

ويلخص لنا الفخر الرازى فى « مناقب الشافعى » تطور البحث فى علم الأصول حتى « الرسالة » فيقول : « كانوا قبل الامام الشافعى يتكلمون فى مسائل أصول الفقه ، ويستدلون ويعترضون ، ولكن ما كان لهم قانون كلى

مرجوع إليه فى معرفة دلائل الشريعة ، وفى كيفية معارضتها وترجيحاتها ، فاستنبط الشافعى علم أصول الفقه ، ووضع للخلق قانونا كليا يرجع إليه فى معرفة مراتب أدلة الشرع . »

كان الشافعى نفسه يعرف قيمة كتاب الرسالة من حركة العلم الاسلامى وكان يطلق على الكتاب اسم « الكتاب » « كتابى » أو « كتابنا » ... ولا تخفى دلالة التسمية على ادراك الشافعى للعمل العظيم الذى قام به ، ولم تكن تسمية الكتاب « بالرسالة » إلا مرحلة متأخرة فرضت نفسها على الكتاب ، بسبب إرسال الشافعى له إلى عبد الرحمن بن مهدى الامام الحافظ الذى كان ينعته الشافعى بالتفرد فى دنيا العلم .

وقد ألف الشافعى الكتاب مرتين : الرسالة القديمة ويبدو انه ألفها فى مكة ، والرسالة الجديدة — التى بين أيدينا — وقد ألفها فى مصر . ومن الراجح أن الرسالة الجديدة هى ما تبقى فى ذهن الشافعى من الرسالة القديمة (المفقودة) وهى كذلك الحصاد الاضافى لرحلة العلم فى بغداد وفى مصر وفيما بينهما .

وقد تعددت صور الاهتمام بالكتاب مذ ألفه الشافعى وألقاه على تلامذته الذين اقترن الكتاب بواحد من اشهرهم وهو « الربيع بن سليمان » الذى اعتبر أصله أصح الأصول للكتاب — وكان لشدة اشتهاره بسماع الكتاب — يجيز نسخ كثير من الذين استمعوه ونقلوه ...

وقد ذكر المرحوم الشيخ أحمد شاكر أكثر من أربعين سامعا للكتاب تولوا نسخه وتنظيمه بطريقتهم الخاصة .

أما الذين تولوا شرحه فكثيرون حصر منهم المحقق خمسة هم : أبو بكر الصيرفى محمد بن عبد الله ، وأبو الوليد النيسابورى صاحب المستخرج على صحيح مسلم ، والقفال الشاشى محمد بن على بن اسماعيل ، وأبو بكر الجوزقى النيسابورى ، وأبو محمد الجوينى الامام المعروف .

● ● ● ●

يقع الكتاب فى ثلاثة أجزاء لا تفصل بينها فى الحقيقة فواصل موضوعية، بل إنها لتتصل اتصالا مباشراً يجعل عملية التقسيم إلى أجزاء لا تعدو أكثر من محافظة على الأصل ، ولا فائدة واضحة لها إلا من حيث التيسير الكمى ، وحسبنا أن نعرف أن الباب الثانى يبدأ بعبارة « فإن قال قائل » ، وأن الباب الثالث يبدأ بعبارة « قال .. ولم يحظر » لندرك أن عملية الفصل لا تتصل بالموضوعية أو المنهجية فى البحث بصلة .

وكما هو المنتظر من رجل كالشافعى فى كتاب تراثى كالرسالة يستهل الكتاب بأكثر من عشر صفحات فى حمد الله وشكره ، والاعتراف بوحدانيته وفضله ، وما يتصل بذلك من أصناف الناس ومواقفهم تجاه عبادة الله المتفضل بالنعم ، الداعى — على لسان رسله إلى الهدى والرشد « والناس فى العلم طبقات موقعهم من العلم بقدر درجاتهم فى العلم به ، فحق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم فى الاستكثار من علمه ، والصبر على كل عارض دون طلبه واخلاص النية لله فى استدراك علمه نصا واستنباطا ، والرغبة إلى الله فى العون عليه ، فانه لا يدرك خير إلا بعونه » .

هذه الديباجة ، أو ما يمكن تسميته (الخطبة) هى خصيصة من خصائص تراثنا ، بل وحضارتنا ، فأقطاب هذا التراث — وهذه الحضارة — ينطلقون من نقطة الاعتراف بأن الكمال العلمى مطلب عسير ، بل هو مطلب غرورى يجب أن يتنزه العلماء عنه ، ليتركوا للأفكار الأخرى فرصة الحياة والاستمرار والتقدم . إنهم متواضعون يبذلون « غاية جهدهم ، ويصبرون على كل عارض» لكنهم مع ذلك « مخلصو النية لله ، راغبون إليه فى العون » .. إنه الفرق بين المنهج العلمى ، وبين المنهج الجدلى ... بين المنهج الذى يضع نفسه كحلقة فى سلسلة التقدم ، وبين المنهج الذى يجعل نفسه — دون سند — قمة التقدم ، وينفى بالتالى من حركة التاريخ كل ما لا يتساوق مع غروره ، ومع جموده ، ومع سذاجته !!

وتبدأ رحلة الكتاب بمحاولة تحديد (كيفية البيان) ولعل النظرة العابرة لهذا العنوان توحى بالشروط المطلوبة فى عملية التشريع ، فمن لم يعرف البيان العربى — الذى يعتبر القرآن ببلاغته ولغته قمته — بكل ما يتطلبه هذا البيان من عناصر المعرفة ، فليس له أن يقحم نفسه فى باب استنباط الأحكام أو التعقيد ، إذ هو مفتقد لأول الشروط المطلوب تحقيقها فى « الأصولى » .

والبيان اسم جامع لمعان مجتمعة الأصول ، متشعبة الفروع ، فمنها ما ابانه الله لخلقه نصا مثل جمل فرائضه كالأوامر الاجمالية المتعلقة بالصلاة والزكاة والصيام والحج وكالآيات القرآنية الواضحة الدلالة « **وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة** » فالدلالة النصية واضحة وليس وراءها شىء . ومن هذه المعانى ما أحكم الله فرضه بكتابه ، ثم بين كيف هو على لسان نبيه مثل عدد الصلاة والزكاة ووقتهما .

ومنها ما سنه الرسول عليه الصلاة والسلام مما ليس فيه نص حكم كالنوافل المختلفة ، ومن البديهى أنه « من قبل عن رسول الله فبفرض من الله قبل » .

ومنها ما سنه الرسول عليه الصلاة والسلام مما ليس فيه نص حكم الاجتهاد ، كما ابتلى طاعتهم فى غيره مما فرض عليهم ، مثل ضرورة اجتهادهم فى تحديد القبلة فى الصلاة بعد أمر الله لهم بالاتجاه إليها .

والأساليب القرآنية « تدل على أن ليس من كتاب الله شىء إلا بلسان العرب » « فلسان العرب أوسع الألسنة مذهبا ، وأكثرها الفاظا ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبى ، ولكنه لا يذهب منه شىء على عامتها (أى على مجموعها) حتى لا يكون موجودا فيها من يعرفه » .

إن العرب قد تطلق الكلام عاما تريد به العموم الذى يدخل فيه الخصوص وقد تطلقه عاما يجمع العام والخاص معا ، وقد تطلقه عام الظاهر تريد به كله الخاص ، وقد تطلق الجملة لا يبين معناها إلا سياقها ، وكل هذه الأساليب واردة فى القرآن وبالتالى ، فليس بمستطيع فهم النص القرآنى ، فضلا عن الاستنباط والفتوى ، من لم يكن ملما بهذه الاستعمالات — وبغيرها — فى اللسان العربى .

● ● ● ●

وتشغل قضية الناسخ والمنسوخ حيزا كبيرا من الرسالة ، ويعتبر الشافعى من أبرز من وضعوا هذه القضية فى إطارها الصحيح . ولعل حسه الاسلامى كان يوحى إليه بأن المبشرين والمستشرقين لن يلوكوا قضية من قضايا

الفكر الاسلامى مثل إلحاحهم على قضية الناسخ والمنسوخ ، ظنا منهم أنهـا مدخل للطعن فى الاسلام .

وبما أنه يكاد يكون من المستحيل على هؤلاء العجم ، الذين لا يعرفون من لغة القرآن ـــ إذا عرفوا ـــ الا قشورا لا تغنى ... من المستحيل عليهم الدراسة الشاملة الموضوعية للنصوص القرآنية وللأحاديث النبوية المتصلة بها ، وأيضا لقواعد البيان العربى التى ألمعنا إلى طرف منها ، فإنه كذلك يكـاد يكون من المستحيل أن يستوعب هؤلاء وأمثالهم قضية الناسخ والمنسوخ ، وأن يضعوها فى إطارها الصحيح ، مدركين فى الوقت نفسه الأهمية المرحليـة والتاريخية والأصولية للقضية .

ويضع لنا الشافعى معالم بارزة على طريق هذه القضيـة ، لنسير ـــ كأصوليين ـــ فى طريق الاستنباط على بينة من الأمر ... إنه يقول : « ان الله خلق الخلق لما سبق فى عمله مما أراد بخلقهم وبهم ، (...) وأنزل عليهم الكتاب تبيانا لكل شىء (.....) وفرض فيه فرائض أثبتها وأخرى نسخها : رحمة لخلقه ، وبالتوسعة عليهم ، زيادة فيما ابتدأهم به من نعمة ، وأبان الله لهم أنه إنما نسخ ما نسخ من الكتاب بالكتاب ، وأن السنة لا ناسخة للكتـاب ، وانما هى تبع للكتاب بمثل ما نزل نصا ، ومفسرة معنى ما أنزل الله منه جملا » .

« وهكذا سنة رسول الله : لا ينسخها إلا سنة لرسول الله . ولو أحدث الله لرسوله فى أمر سن فيه غيرما سن رسوله لسن (الرسول) فيما أحدث الله إليه ، حتى يبين للناس أن له سنة ناسخة للتى قبلها مما يخالفها وهذا مذكور فى سنته صلى الله عليه وسلم » « ولو نسخت السنة بالقرآن لكانت للنبى فيه سنة تبين أن سنته الأولى منسوخة بسنته الآخرة ، حتى تقوم الحجة على الناس بأن الشىء ينسخ بمثله (١) » .

ويطبق الشافعى فهمه ومقاييسه للناسخ والمنسوخ على كثير من الأحكام الدينية التى دار حولهـا بعض الخـلاف فى الفهم كصلاة الليل وفرضيـة الصلوات الخمس ، والتفرقة بين قضاء الصلاة والصوم بالنسبة للحائض ، وعقوبة الزانى المحصن ، وقضية الوصية مع الارث أو القرابة ، وقضية اللعان والحكم السابق فيها ، وغير ذلك من الأمور .

● ● ● ●

يتتبع الشافعى « جمـل الفرائض » من صـلاة وصيام وزكاة وحـج ، ويبين ما أجمل القرآن فيها وما فصلته السنة ، ويطبق ـــ وهو ماض فى بحثه فى الفرائض ـــ نظرته الى الناسخ والمنسوخ ، ومما لا شك فيه أن نظـرة واحدة الى « الصلاة » ـــ أو الدور الذى قامت به السنة فى تحديدها عـلى وجهها الأكمل ، وفى تحديد أنواع النوافل ـــ ترينا مدى العلاقة الوطيدة بين الكتاب والسنة ، والشىء نفسه يمكن ان يطبق على الزكاة .. وعلى بقية أركان الاسلام .. وعلى التشريعات الاسلامية كعدة المرأة ومحرمات النسـاء ومحرمات الطعام « وكل ما سن رسول الله مع كتاب الله من سنة فهى موافقة كتاب الله فى النص بمثله ، وفى الجملة بالتبيين عن الله ، والتبيين يكون أكثر تفسيرا من الجملة ، وما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس فيه نص كتاب الله فبفرض اللـه طاعته عامـة فى أمره تبعناه (٢) » « وأما

الناسخة والمنسوخة من حديثه ، فهى كما نسخ الله الحكم فى كتابه بالحكم غيره من كتابه عامة فى أمره ، وكذلك سنة رسول الله تنسخ لسنته (٣) » .

ويضرب الشافعى أمثلة كثيرة لنسخ السنة بالسنة كنسخ الرسول صلى الله عليه وسلم لتحريم اكل لحوم الضحايا بعد ثلاثة أيام ونسخه لحد الزانى المحصن بالجلد قبل الرجم .. ثم نسخ عملية الجلد مكتفيا بالرجم ، والصلاة قعودا خلف الامام القاعد . وغير ذلك من المسائل التى تردد الحكم فيها بين مسلكين نسخت فيهما السنة السنة .

ويرى الشافعى أن القول بالنسخ لا يجب أن يطلق هكذا دون أن يكون هناك نظر دقيق للرواية وللراوى ولتاريخ الحكم وملابساته ، فلربما كان الحكم مبتورا وفقا للقدر الذى تلقاه صاحبه عن الرسول أو عن الصحابى .. بينما قدر الآخرين ان يتلقوا نصا آخر أكمل وأوضح .. فكل يرى أنه على حق .. وهو بالنسبة لما سمعه — على حق فعلا . ولا خلاف بين الرايين فى الحقيقة .

« وثمة وجه آخر مما يعد مختلفا وليس بمختلف ، وهو أن يحتمل الأمر معنيين احدهما أولى من الآخر ، وكلاهما — جائز — فى الحقيقة ، لكن الذى يرجح أولية احدهما أن يكون أشبه بآية فى كتاب الله ، مع بقاء جواز الآخر .

وايضا ، ليس هناك خلاف حين تختلف هيئة التطبيق وظروفه ، كالنهى عن استقبال القبلة عند الغائط والبول فى الصحراء ، فان هذا النهى لا يطبق عند الحضر ، ومراحيضه الموجودة بالمنازل ، بحال من الأحوال » .

والأمر نفسه يقال حين تختلف شروط تنفيذ الحكم أو نتيجته أو يختلف الحكم عموما وخصوصا ، أو يكون للحديثين وجهان يمضيان فيهما أو غير ذلك فان اختلاف الحكم هنا لا يعنى أن هناك ناسخا ومنسوخا كما لا يعنى أن هناك اختلافا حقيقيا .

« أما إذا اثبت عن رسول الله الشىء فهو اللازم لجميع من عرفه ، لا يقويه ولا يهونه شىء غيره ، بل الفرض الذى على الناس اتباعه ، ولم يجعل الله لأحد معه أمرا يخالف أمره » .

وبهذه العبارة الحاسمة الواضحة يختم الشافعى دراسته لاحدى القضايا الاصولية الكبرى (الناسخ والمنسوخ) ، ملما بكل أبعادها ، اذ لا يجوز للأصولى أن يدخل باب التقنين والاستنباط ، وهو غير مجهز بعلم الناسخ والمنسوخ .. أى بتاريخ التشريع وفلسفته ، فضلا عن أن يكون مجهزا بالأداة الكبرى لكل باحث فى علوم هذا الدين ... وهى البيان العربى بأبعاده المختلفة ..

● ● ● ●

فى الصفحات التالية يتحدث الشافعى عن مصادر التشريع الاسلامى .. وبعض القضايا المتصلة بها — عدا القرآن والحديث اللذين تناولهما — وهو فى هذه الصفحات أكثر وضوحا والتزاما بوحدة الموضوع ، إذ أن تداعى المعانى ونزعة الاستطراد خصيصتان من خصائص الشافعى ، يلمسهما القارىء على

نحو واضح فى الصفحات الفائتة . وهما فى الصفحات القادمة أخف حدة وأقل بروزا .

يقدم الشافعى بين يدى تناوله لمصادر التشريع عدا القرآن والحديث ثلاث قضايا .... أولاها حول صفة نهى الله ونهى رسوله ، ويرى أن نهى الله أو رسوله يجمع معنيين ... أن يكون الشىء الذى نهى عنه محرما فى الأصل لا يحل إلا بوجه دل الله عليه فى كتابه أو على لسان نبيه كتحريم كل النساء إلا أن يحلهن الله بالنكاح أو ملك اليمين .. أو أن يكون الشىء الذى نهى عنه حلالا فى الأصل لكن نهى الله المرء فيه عن شىء معين كالنهى عن الأكل من أعلى الصحفة فان الأكل فى الأصل حلال .

والقضية الثانية عن « العلم » وما يجب على الناس فيه ، وهو يوجز ذلك بأن العلم علمان : علم عامة لا يسع بالغا أن يجهله كالصلوات الخمس والصوم وغيرهما ، وعلم خاصة كفروع الفرائض والأحكام مما ليس فيه نص كتاب ولا فى أكثره نص سنة فهو فرض كفاية .

وثالثة القضايا التى عرض لها الشافعى بين يدى تناوله لمصادر التشريع عدا القرآن والسنة هى « خبر الواحد عن الواحد حتى ينتهى به الى النبى أو من انتهى به اليه دونه » بشرط أن يكون كل محدث منهم ثقة صادقا عاقلا عالما ملتزما بنص الرواية حافظا بريئا من التدليس .. و « من قال على الرسول ما لم يقل فليتبوأ مقعده من النار » ولا يستدل على أكثر صدق الحديث وكذبه إلا بصدق المخبر وكذبه . وثمة عشرات الأمثلة تؤكد صدق خبر الواحد ، ولعل تكليف الرسول لأم سلمة بأن تجيب المرأة التى سألته عن حكم تقبيل الرجل أهله فى رمضان .. لعل هذا التكليف خير دليل على إمكانية صدق خبر الواحد، ومثله تكليف الرسول رجلا ان يخبر أهل قباء بتحول القبلة الى المسجد الحرام واستجابة الناس له — دون الرجوع إلى الرسول — مع أن ذلك فرض — ومعلوم أن الأنبياء كانوا آحادا كلفهم الله بتبليغ الرسالة وأمر الناس بتصديقهم .

« ولا نستطيع أن نزعم أن الحجة تثبت به ثبوتها بالموتصل ، لأن من بعد كبار التابعين لا أعلم منهم واحدا يقبل مرسله لأمور أحدها انهم أشد تجوزا ، والآخر انهم يوجد عليهم الدلائل فيما أرسلوا بضعف مخرجه ، والآخر كثرة الاحالة (٤) » .

● ● ● ●

قال الشافعى : قال لى قائل : قد فهمت مذهبك فى أحكام الله ثم أحكام رسوله ، وأن من قبل عن رسول الله فعن الله قبل ، وقامت الحجة بألا يحل لمسلم علم كتابا ولا سنة أن يقول بخلاف واحد منهما ، فما حجتك فى أن تتبع ما أجتمع الناس عليه ، ... ويرد الشافعى على السؤال الذى طرحه بتناول مركز للمصدر الثالث للتشريع وهو « الاجماع » .

والاعتماد على الاجماع قائم على أساس أن الأمة لا تجتمع أبدا الا على

سنة وإن لم يكن هناك نص عليها . على أنه اذا عزبت السنة من بعضهم فانها لن تعزب عن جميعهم ، وقد وردت الآثار تؤكد أهمية الاجماع كمصدر ثالث للتشريع .

● ● ● ●

ويرد القياس بعد الاجماع — فى رأى الشافعى — كمصدر رابع للتشريع ... وعنده أن القياس والاجتهاد اسمان لمعنى واحد ، فكل ما نزل خاصا بمسلم .. إما أن يكون فيه حكم لازم يجب اتباعه ، واما الا يكون فيه حكم بعينه فتطلب الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد ، والاجتهاد قياس . والقياس من وجهين : أحدهما أن يكون الشىء فى معنى الأصل ، فلا يختلف القياس فيه . وأن يكون الشىء له فى الأصول أشباه ، فلذلك يلحق بأكثرها شبها به .

وتتضح علاقة القياس بالاجتهـــاد فى تحديد الهدى على من قتل الصيـــد محرما ... فالقياس والاجتهاد متداخلان فى تحديد مثل ما قتل من النعم .

● ● ● ●

ويرى الشافعى أن الاستحسان يعنى التلذذ ، وهـــو كمصدر للتشريـــع « لا يجب أن يقول فيه إلا عالم بالأخبار ، عاقل بالتشبيه عليها ، واذا كان هكذا كان على العالم الا يقول إلا من جهة العلم — وجهة العلم الخبر اللازم بالقياس على الصواب » « ولو استحسن بلا خبر لازم ولا قياس كان أقرب إلى الاثم من الذى قال وهو غير عالم » .

« ولا يكون لأحد أن يقيس — أو يستحسن ايضا — حتى يكون عالما بما مضى قبله من السنن وأقاويل السلف ، وإجماع الناس واختلافهم ولســـان العرب ، ولا بد أن يكون صحيح العقل ، وحتى يفرق بين المشتبه ، ولا يعجـــل بالقول به دون التثبيت » .

... إن المنهج الاسلامى فى البحث .. منهج موضوعى لا مجال فيـــه للتعالم والأهواء والأحكام المسبقة والجرأة التى تمتهن أبجدية البحث ، وتلوى عنق النصوص لكى تصل إلى تأصيل انحرافاتها والحصول على مبرر للعبوديـــة الفكرية الرخيصة .

وفى عصرنا الذى كثر فيه المفتون تصدر كلمات الاستحسان والتفضيل دون تحقيق لأبسط أدوات المنهج الاسلامى فى هـــؤلاء المفتيـــن ، ودون اتباع لأصول منهج البحث .. وهؤلاء المفتون المنحرفون يتلذذون بذلك ، ويضعـــون انفسهم فى عداد المفكرين !!

على أن الامور لا تسير وفق القواعد الكلية التى ذكرها الشافعى للبحث وحسب ، بل هناك فى داخل القياس مراتب ، وهناك للاجتهاد اصول ، وأما الاستحسان فهو لمن تحققت فيه الشروط وكان أهلا للرأى .

.. وحتى الاختلاف بين أهل العلم والفقه .. لم يأت هكذا .. لأن أحدهم تحققت فيه الشروط وبعضهم كان مجردا منها .. كلا .. فدخول هذا الباب

كان مقيدا بالشرط ، وإنما يستند الخلاف على قواعد سليمة يستند عليها كل منهم ... وكان له فى أذهانهم قواعد مرعية ، بل إن فيه مناطق يحرم الخلاف فيها .. ومناطق يجب الاجتهاد فيها .. والتمسك بالرأى ، ولا يحل فيها التقليد .

● ● ● ●

إن محاولة الوقوف عند مصدر تراثى كالرسالة لامامنا الشافعى لا تقف معطياتها عند حدود القضايا التى عالجها ، ولا الجديد الذى انفرد به ، وإنما يتعدى الأمر ذلك الى كثير من المعطيات التى يعتبر المثقفون من جيلنا فى مسيس الحاجة الى التعرف عليها .

... إننا — على سبيل المثال — نستطيع التعرف على منهج البحث فى عصر مزدهر من عصور حضارتنا ، ولا سيما أن إمامنا الشافعى من أبرز الممثلين لهذا الدور .

ونحن نستطيع كذلك التعرف على قدرة أسلافنا فى التوليد والابتكار ... والتحليل العلمى .. ومدى الاعتماد على العقل فى مجال النقل .

وحتى الشكل أو القالب ، هل يتخذ شكل التقرير دائما أو يعتمد على أكثر من أسلوب ، كما فعل الشافعى فى استخدامه الحوار عبر أكثر صفحات الكتاب .

كل ذلك مفيد وحيوى بالنسبة لقضية امتدادنا الثقافى ..

بيد أن ثمة فائدة هامة يعرفها عن الشافعى تلامذته ومريدوه وقارئوه ... فالشافعى ليس صانع مذهب فقهى وحسب ، ولا صاحب أول عملية تقنينية « أصولية » للبحث فى الفقه فقط . بل إنه — مع ذلك كله ، عالم لغةحجة ثبت ، وهو — فى الرسالة — يعطينا كثيرا من الاستعمالات التى تعتبر خاصة به ، تنسب إليه ، ويحتج بها عنه . ونذكر على سبيل المثال بعض هذه الاستعمالات الشافعية .

- حذف نون المثنى دون مبرر مثل (لا خفى عليه لبسهما) أى لا خفين عليه لبسهما .
- حذف النون فى الأفعال الخمسة دون ناصب ولا جازم كقوله (الأقراء الحيض فلا يحلوا المطلقة حتى تغتسل من الثالثة) أى فلا يحلون .
- تسهيل الهمزة أو حذفها مع أن الهمزة أصلية مثل (يوطين ، ويستبرين) .
- العطف على المرفوع (منصوبا) بتقدير فعل محذوف مثل : هذا الصنف موجود نصا ، وموجودا عاما — أى ونراه موجودا .
- استعمال « أبو » بالواو نصبا وجرا مثل : عن سالم أبو النصر (أبى النصر) ..
- نصب اسم كان المؤخر بعد الجار والمجرور أو الظرف كقوله « فكان مما القى فى روعه سنته » بنصب سنته .

- جعل اسم كان ضمير الشأن والجملة بعدها خبر مثل « فكان ما سمى حلالا حلال وما سمى حراما حرام » .
- ذكر الفعل المجزوم على صورة المرفوع مثل : لم يقيبيـــه على الدية .. أى لم يقسه .
- اسناد الفعل الى المثنى أو الجمع مع وجـود ضميره مظهرا مثل : كـن النساء .
- إثبات اليـاء فى المنقوص النكرة رفعـا وجرا مثل (فى غير سـتر على مصلى) .
- استعمال الواو بمعنى الفاء .

ولعل هناك غير ذلك من الاستعمالات اللغوية الخاصة بالشافعى ، وهى شاهد على ثقة الشافعى بنفسه وثقة رجال عصره فيه .... إذ أن عصر الاحتجاج باللغة كان قد انتهى ــ كما هو معلوم ــ ومع ذلك لم يجرؤ أحد على تخطئة الشافعى .

● ● ● ●

بقيت ملاحظات عابرة حول التحقيق ..

ومما لا شك فيه أن أستاذنا الكبير العلامة أحمد شاكـر رحمه الله ــ قد أسدى إلى الرسالة والى تراث الشافعى ــ رحمه الله ــ خدمة كبيرة ، وهو ــ بالتأكيد ــ غنى عن التقريظ من تلامذته أو تلامذة تلامذته ..

ولقد كان ضبطه للكتاب ، ومقارنته مجموعة النسخ المختلفة ــ التى حصل عليها للرسالة ، ومحافظته على الأصل محافظة تامة ، ومجموعـة الفهارس التى ألحقها بالكتاب ..

كانت هذه وغيرها سببا فى جعل التحقيق عملا طيبا لائقا بالمحقق الكبير بيد أننا كنا نأمل أن يقوم أستاذنا المحقق بوضع عناوين فرعية أو هامشيـة للموضوعات التى يغلب عليها الانسياب والتداخل ، تنظيما لأفكاره ، وتسهيلا بالتالى للقراء الذين بوعد بينهم وبين تراثهم ، أو الذين لا يطيقون الصبر على قراءته ، كما أن هناك بعض القضايا ، والمصطلحات الفقهية كانت فى حاجـة إلى شرح .

ولست افهم سببا لوضع ثلاث عشرة صفحة مصورة من صفحـات المخطوط فى صدر الكتاب ، ألم تكن صفحة واحدة كافية للدلالة على طبيعة الجهد الذى بذله المحقق الكبير .. ؟

وإنه ــ بحق ــ لجهد غنى عن التعريف والتقريظ .. ورحم الله المؤلف والمحقق معا .

---

(١) فى رأى الشافعى أن القرآن لا ينسخ السنة ، وعند نزول قرآن ينسخ سنة لا بد من سنة تفيد هذا النسخ لضرورة اتحاد الدرجة ــ فى رأيه ــ بين الناسخ والمنسوخ .

(٢) يعنى اننا نطيع أوامر الرسول بناء على أمر الله لنا ــ امرا عاما ــ بطاعته « يا ايهـا الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول » .

(٣) بمعنى ضرورة اتحاد الدرجة فى الناسخ والمنسوخ .. فالقـرآن ينسخ القرآن والسنـة تنسخ السنة .

(٤) كثرة الاحالة تعنى هنا كثرة التناقض .



للدكتور أحمد الشرباصي

أنا — ولعنة الله على كلمة « أنا » ، وبخاصة حينما تأتى فى فاتحة الكلام — أنا ممن يحبون الرياضة ، ويدعون إليها ، ويحثون عليها كوسيلة لحفظ الصحة وصيانة القوة ، ومنذ قرابة أربعين عاما دعوت — باللسان والقلم — الى إدخال الرياضة والكشافة فى فروع الأزهر الشريف ، ومنذ خمسة عشر عاما قلت فى بعض ما كتبت :

« ويحسن أن يكون بجوار المسجد حديقة صغيرة تلطف جوه ، وتجمل منظره ، وتجذب الناس إليه ، كما يحسن أن نلحق بالمسجد ساحة للعب الفتيان ، ليأخذوا حظهم من اللعب البرىء فيما بين الصلوات ، ثم يختموا ألعابهم عند الأذان ، ويتعودوا دخول المسجد منذ صباهم لأداء الصلوات فى الجماعات » .

ولقد قلت فى مؤتمر رياضى عقد سنة ١٩٥٤م : « ولو كان الأمر إلىّ ، لجعلت فى كل ملعب مسجدا ، ولجعلت على مقربة من كل مسجد ملعبا ،

بل لو قدرنا لجعلنا **المسجد ملعبا ، والملعب مسجداً** ، ننزكى الرياضة ونعليها ، ونعمم العبادة ونقويها ، دون أن نفرط فى حق من حقوق الله أو حقوق بيوته التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، ويسبح له فيها بالغدو والآصال » .

ومن الواجب أن نعلم الرياضى **كيف ينظر الى ساحة الملعب كأنها ساحة المسجد** ، لأننا فى المسجد نزكى الروح ونصفيها بجلواتها ونجوياتها ، ونحن فى الملعب نصلح مسكن هذه الروح وهو البـــدن ، فالبدن إذن لازم للروح مرتبط بها ، وما لزم شيئا تبعه فى الأهمية والتقدير .

ولكنى الاحظ أن الرياضة فى كثير من بلاد العروبة والإسلام ـــ وبخاصة لعبة كرة القدم ـــ قد صارت كالبلوى أو السعار ، حيث انحرفت هنا وهناك عن طريقها المقبول ، وزادت عن حدها المعقول ، فالجمـــاهير الغفيرة تترك أعمالها من أجل كرة القدم ، وتتجمع عند مبارياتها أضعاف أضعاف ما تتجمع فى المساجد لصلاة الجماعة أو الجمعة أو دور التعليم والمحاضرات ، أو أماكن التجمع الأخرى . وقبيل كل مباراة عامة تطوف سيارات كثيرة أرجاء العاصمة او المدن ، حيث ترفع أصوات مزاميرها المنكرة ، مؤيدة هذا الفريق أو ذاك ، والألوف المؤلفة تتجمع حول أجهزة التلفزيون لمشاهدة تلك المباريات بحرص وشغف مجنونين ، والذين لا يملكون أجهزة تليفزيون يستجدون مشاهدته عند الجيران أو المعارف ، وكلما اقبلت مباراة توترت الأعصاب ، وثارت الخلافات، واحتدت المنافسات ، كأن الجميع مقبلون على معركة حامية الوطيس ، وكأننا قد حررنا الديار ، واخذنا الثأر ، وغسلنا العار ، ولم يبق إلا « معركة كرة القدم » نتوج بها قائمة الانتصارات والمفاخر .

ونحن من أجل كرة القدم نشجع اللاعبين بمختلف الوان التشـــجيع ، بالكلام والمديح ، وبالمال والمكافآت ، وبالهدايا والمنح ، بل ندللهم فى بعض الأقاليم وبعض الأوقات بما لا يجوز التدليل به ، وقد نحرضهـــم بطريق مباشر أو غير مباشر على كسب المباراة بأى وسيلة ، ولو كان بخشونة اللعب والتواء الطريقـــة وقســـوة السلوك ، ويظل أنصار كل فريق يهتفـــون لفريقهم مؤيدين مستحثين ، ويطبلون لأعضائه ويزمرون ، ولا همّ لهؤلاء ولا لأولئك الا أن يكون أعضـــاء فريقهم الفـــائزين فى المباراة مهما كان الثمـــن ، ومهما كان الأســـلوب .

◆◆◆ ◆◆◆

وفى الأيام الأخيرة طالعتنا الصحف بأخبار تعد كالإرهاص لمضاعفـــات ستأتينا من وراء تلك البلوى ، ما لم يتحرك المسئولون هنا وهناك لاصلاح الحال وتوجيه الرياضة عموما ، ولعبة كرة القدم خصوصا ، نحو الأهداف الأصيلة المطلوبة من وراء الرياضة .

فهذا رئيس مجلس الادارة فى احدى الشركات يموت بالسكتة القلبيـــة لأن فريق الكرة الذى يحبه قد انهزم فى المباراة ، فقد نشرت صحيفة «الأخبار» بتاريخ ٢٤ مايو سنة ١٩٧٣ ما يأتى :

« مات رئيس مجلس ادارة شركة النصر لمنتجات الكاوتشوك بالســـكتة القلبية عندما سجل الجارم هدف الفوز للاتحاد من مرمى الأهلي فى مبـــاراة كأس مصر ، كان أحمد جاد الغداوى يتابع المباراة أمام الشاشة الصغيرة بين

افراد أسرته فى منزله ، وعندما أحرز الأهلى هدفه الاول قفز من مكانه ، واحتضن ابنته وابنه تعبيرا عن فرحته ، واستمر يتابع المباراة بحماس ، الى أن سجل الاتحاد هدف التعادل فبدأ يشعر بالضيق ، ثم زادت حالته سوءا عندما سجل الاتحاد هدف الفوز ، وقبل نهاية المباراة بثوان .. وعندما فقد الأمل فى التعادل انسحب من أمام التلفزيون ، ودخل غرفته متعبا ، لينام بعد انتهاء المباراة ، ودخلت زوجته الى الغرفة فوجدته قد فارق الحياة ، ويده على قلبـه » !!.

وهذا مراقب فى الامتحان السنوى باحدى الكليات ، ياخذ معه جهاز راديو فى لجنة الامتحان ، ليسمع مباراة كرة القدم ، وهو مكلف بالتفرغ لمراقبة الطلبة أثناء الامتحان ، وقد نشرت صحيفة « الاهرام » بتاريخ ٢٤ مايو سنة ١٩٧٣ هذا الخبر بحروفه : « جهاز راديو كان يضعه أحد المراقبين فى كلية تجارة القاهرة على أذنه ، ليستمع الى مباراة الاهلى والاتحاد السكندرى — أمس الأول — صادره د. عباس شيرازى رئيس لجنة الامتحانات » !!..

وهذا زوج يتعصب لفريق معين ، وزوجته تتعصب لفريق آخر ، والنزاع يثور بين الزوجين كلما جرت مباراة ، وحينما يفوز فريق الزوج يغيظ زوجته بالسب والشتم والاشارة وغير ذلك من التصرفات النابية ، وبيت هذين الزوجين تعلن فيه حالة (الطوارىء) كلما اقبلت مباراة ، ولا بد من صدام بين الزوجين فى نهاية المباراة ، اذا تغلب أحد الفريقين على الآخر ، بل لا بد من الصدام حتى ولو تعادل الفريقان ، لأن كلا من الزوجين يمدح فريقه ويذم الفريق الآخر ، فيقع الصدام ، والحرب أولها كلام .

وليس ببعيد — اذا استمرت الحال فى هذا الانحراف — أن يأتى اليوم الذى يؤدى فيه سعار التعصب لكرة القدم ، الى أن ينتحر الشخص حدادا على فريقه المهزوم ، ويكون المنتحر قد تأثر فى هذا بذلك المخبول الأمريكى الذى أطلق سبع عشرة رصاصة على جهاز التلفزيون ، لأنه رأى على شاشته الفريق الذى يحبه وقد باء بالهزيمة والفشل . فقد نشرت صحيفة « الاهرام » بتاريخ ٢٤ مايو سنة ١٩٧٣ الخبر التالى بحروفه :

« أطلق أمريكى عمره ٤٢ سنة فى ولاية كاليفورنيا ١٧ طلقة رصاص على جهاز التلفزيون فى بيتـه ، وذلك بعد أن أثارت أعصـابه هزيمة فريق البيسبول الذى يشجعه . اخترقت بعض الرصاصات جدار شقة جارته العجوز (٧٠ سنة) . قال مدافعا عن نفسه : انه ليس من المعقول أن يفعل إنسان هذا بجهاز تليفزيونه الخاص الا اذا كان فاقدا لأعصابه » !!..

ومما يزيد الموقف أسفا وأسى أن تخبرنا الصحف أن فريقين فى مباراة مشهودة رفضوا أن يحكم بينهم أى حكم وطنى ، وأصروا على أن يكون الحكم أجنبيا ، كأنه لا يوجد بين المواطنين من يستحق الثقة أو يعرف العدالة ، وقد حمل الكاتب الاسلامى الأستاذ أحمد زين على ذلك فى صحيفة « الأخبار » بتاريخ ٢٥ مايو سنة ١٩٧٣ فقال :

« أحزننى ما حدث فى مباريات الكأس لكرة القدم . لم يحـزننى اللعب فلست ممن يتابعونه ، ولا النتائج ، ولكن الالتجاء الى حكم اجنبى ليحـكم المباراة ، وذكرتنى هذه بعقدة « الخواجة » فى الماضى ، ذلك الزمن الذى عفى عليـه الدهر ، يوم استطاع الاستعمار أن يقنعنا بأن القيادة المصرية فاشلة ، وأنه لكى ينجح أى عمل من الأعمال لا بد أن يتولاه رجـل اجنبى ، أو خبرة أجنبيـة .

ويوم تم تأميم الاقتصـــاد المصرى ونقله من الخبرة الأجنبية الى الخبرة المصرية ، انطلقت أبواق كثيرة تؤكد انهيار الاقتصاد المصرى الى آخره . واليوم نجد أن ناديين من أكبر نوادى مصـــر لا يثقان فى كل حكام الكـــرة المصريين الدوليين ، والذين يحكمون أكبر المباريات فى العالم ، ويطالبون بحكم أجنبى . لماذا ؟. لضمان العدل ، كأنما الحكم المصرى رجل متحيز أو غير عادل أو غير كفء ، ويجب أن يأتى « خواجة » ليضمن العدالة ونضمن سير المباراة .

كنت أفضل أن تلغى المباراة ، لأن ذلك خير من أن نعلن عدم ثقتنا بأنفسنا الى هذا الحد . كلمـــة أخيرة : إن عـــدد النقاد الرياضيين الذين يســـفهون ويشككون فى الحكام المصريين فى كل مباراة ، ينظرون الى الحكم الأجنبى على أنه إله ، ويكيلون له المديح والثناء ، وليس هذا غريبا » !!.

◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆

هكذا أصبح أمرنا فى الرياضة ، وهكذا انحرف بها أهلوها الا من رحم الله ، وقليل ما هم . فما كلمة الدين ؟.

لقد قلت منذ عهد بعيد انه تجب العناية بتعميم الرياضة البدنية ، أو التربية الرياضية بين أبناء المسلمين ، مع الحرص على جعل هذه الرياضة وسيلة لا غاية ، فهى وسيلة لتكوين الجسم السليم الذى يحتله العقل السليم ، ويقوده الخلق القويم ، وهى وسيلة لتربية الأخلاق وغرس الصفات الحميدة التى تتكون من التمرين والتدريب .

وإذا كانت « الرياضة البدنية » تعد عند الرياضيين درجة أولية ، لأنها تهذيب فردي للبدن عن طريق التمارين المختلفة ، وكانت الألعاب الرياضية عندهم درجة ثانية بعد الأولى ، لأن الالعاب الرياضية مباريات بين مجموعات تتذرع كل منها بالتنظيم والتعاون الى نيل السبق والغلب ، فاننا نريد الدرجة الثالثة العليا ، وهى « التربية الرياضية » ، التى تكوّن فى الانسان جســـما وفهما ، وعقلا وخُلقا ، لأننا نحتاج الى الرياضي الصحيح : بجسمه المحكم ، وتفكيره المنظم ، وخُلقه المقوّم ، وإيمانه المدعّم . كما نريد جيلا فتيا فى بدنه وكيانه ، عميقا فى تفكيره وجنانه ، متطهرا فى خُلقه ووجدانه ، ثابتا فى يقينه وإيمانه ، غيورا على بلاده وأوطانه ، ومن هذا الجيل المنشود يتكوّن الوطن المؤمن العظيم الذى نريد .

ولذلك كان واجبا أن نعمم الرياضة السليمة القويمة فى كل مكان ، لا باسم البدن والوطن فقط ، بل باسم الدين أولا وقبل كل شىء . ويجب أيضا إشاعة روح الفتوة والفروسية بين شباب المسلمين ، ونشر التداريب العسكرية وروح الجندية ، ومحاربة الترف والتميع والترهل ، وأخذ الناشـــئة بأساليب التقشف والاخشيشان .

ولامعنى للرياضة اذا لم يحسن صاحبها الجمـــع بين قوة بدنه وضبط نفسه وتحكيم عقله : وهذا ما يشير اليه القرآن الكـــريم ، فقد قال عن أحد الأخيـــار : « إن الله اصطفاه عليكم وزاده بســـطة في العلـــم والجســـم » . وبسطة العلم إشارة الى قوة العقل والخُلق ، وبسطة الجسم اشارة الى قوة البدن وصلابة الأعضاء .

والله تبارك وتعالى حينما امتدح أهل الكهف وصفهم بأنهم « فتية » ، وهذه إشارة الى القوة الحسية ، ووصفهم بأنهم « آمنوا بربهم » وهذه اشارة

الى القوة العقلية والخلقيـة ، فقال فى سـورة الكهف : ((**إنهم فتية آمنـوا بربهم ، وزدناهم هدى ، وربطنـا على قلوبهم ، إذ قاموا فقـالوا ربنا رب السموات والأرض ، لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا اذا شططا**)) .

فكيف يتحقق هذان الهدفان الجليلان ، أو نحسن الجمع بينهما عن طريق الرياضة ، اذا كنا سنظل نتخذها وسيلة للتعصب المذموم ، والمنافسة السخيفة الزائدة عن حدها ، والخلافات الحادة التى تؤدى الى الكراهية والبغضاء ، والتى تمزق العلاقات بين الأصدقاء والمعارف ، وبين الآباء والأبناء ، وبين الأزواج والزوجات ؟.

من حقنا أن نتمتع بالرياضة ، ولكن على شريطة أن تكون وسيلة لا غاية، وتدريبا لا حرفة ، واستمتاعا لا تعصبا ، وعلى شريطة أن لا تشغلنا كرة القـدم عن واجبات ثقال تلاحقنا من يمين وشمال .

ولقد نشرت الصحف أخيرا أن احدى المدن الكبيرة فى أحـد الأقطـار الاسلامية قد انقلبت الى اعراس وأفراح ، فلما قرأت الخبر قلت فى نفسى : ليتنا نعيش حتى نرى هذه المدينة وغيرها من بلاد العروبة والاسلام تعيش أفراح النصر ، واعراس الحرية ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

والله ما دون الجلاء ويومه　　　يوم تسميه الكنـانة عيدا

◆◆◆　◆◆◆

إن الإسلام لا يقاوم الرياضة ، بل هو يدعو اليها ويحث عليها ، لأنه دين القوة ، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : ((المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف)) ، والقوة هنا عامة ، تشـمل قوة البدن ، وقوة الروح ، وقوة العلم ، وقوة الأخلاق ، وقوة الإيمان .

والإسلام لا يقاوم الرياضة ، بل يدعـو اليها ، ويحث عليها ، ولذلك طالب الأب بأن يعلّم ابنه السباحة والرمى وركوب الخيل ، ولقد اهتم الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، فأنشأ أول ساحة رياضية فى الاسلام ، وكانت خارج المدينة المنورة ، وكان يدرب فيها الشباب على الجرى والرمى وفنون المبارزة ، واعتبر الرسول — فى بعض أحاديثه — هذه الساحة كقطعة من الجنة ، ولذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم يخلعون نعالهم عنـدها ، ويطأونها حفاة الأقدام إظهارا للاحتفال والاكرام .

ولقد مارس رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فنونا من الرياضة ، فسابق عائشة رضى الله عنها ، فسبقته مرة وسبقها أخرى ، وقال لها فى سماحة : هذه بتلك . وصارع النبى ((ركانة)) الذى كان مضرب المثل عنـد العرب فى المصارعة والقوة فصرعه النبى أكثر من مرة ، وسابق بين الخيل ، ونظم هذه المسابقات بين ذوات الخف والحافر ، ووضع للمسابقات نظاما دقيقا ينزهها عن الخداع والمؤثرات الخارجية .

الإسلام — إذن — لا يقاوم الرياضة ، بل يدعو اليها ويحث عليها ، ولكنه كما أبنت يريدها وسيلة للتربية والتهذيب ، لا أن تكون مشغلة تضيع بجوارها حقوق وواجبات .

قاتلوهم يعذبهم الله

بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ

وينصركم عليهم

وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ



.. مِنَ اللهِ أنتْ !
مِنَ الروحِ أنتْ !
.. ومِنْ كلِّ أفقٍ يُنادي صداكْ
وفي كل صوتٍ أُحِبُّ أراكْ
وأسمعُ في كل شيءٍ نداكْ ..

.. فأسمعُهُ في دمي ثورةً للضياءْ
من النار والنور تشعل فجر الإباءْ
وفي خلدي نبضُهُ كاحتدام الرياحْ
وكالعاصف المُنبري لاختراق الدِّماحْ ..
وفي كبدي .. مارِدٌ عبقريّ الجِناحْ
يَشُدُّ من الليل نورَ الصّباحْ ...

ويزأر بالثأر تحت العروقْ
ليسْتلَّ منها ضياء الشروقْ
وفي خُطُوتي .. دربُ عُمْرٍ وليدْ
وفي نظرتي .. صحوةٌ للوجودْ
تُنفِّضُ عنه غبارَ الليالي السحيقَهْ
وتمضي به في هدير الحقيقَهْ !!
.. جبيني جديدْ
ووجهي جديدْ
وإيماء عيني جديدْ
وإصغاء سمعي جديدْ ..
وذاتي .. شواظٌ على جِلدها المُتفحِّم القديمْ
وكِبْرٌ من النور يسطع تحت الأديمْ

يُنوِّرُ ليلَ الكهوف الضريرَهْ
ويلسعُ كلَّ بقايا الكَرى في السَّريرَهْ
ويُوقظها كي تشقَّ المصيرْ
وتوغِلَ صامِدةً في المسيرْ ..
.. وأسمعُهُ طارقاً من هُتاف السَّماءْ
يدُقُّ على كلِّ بابٍ بأعتى النداءْ !

... ...
.. فمِنْ صوت جبريلَ وهو ينادي "محمَّدْ"
ومن رعشة الوحي، وهو لهيبٌ وموقِدْ
ونارٌ مجلجلةٌ من سماء الغيوبْ
لمعركة الحقِّ جاءت تشقُّ الدروبْ ..
وتزأرُ في كلِّ ليلٍ يتيمٍ مشاعِلَ الضياءْ
وفي كل يأسٍ ذبيحٍ أمانيَ جريحِ الرجاءْ ..

.. ومن عنكبوتٍ على الغار أرخى الستورا
بأوهى خيوطٍ، أدار الزمانَ، وأحيا الدهورا!
.. ومن "بدرٍ" .. وهي تميمة كل المعاركْ
وصوتك فيها من الحق، نارٌ تشاركْ!
.. ومن كل خطو النبيين فوق الصحارى
وهم يحصدون الدجى من وجوه الحيارى!!
.. من الله أنتَ!!
من الروح أنتْ!!
ترنمْ! وجلجلْ لِـ وبالنور أقبلْ!
ولملمْ زئيرك من كل ليلٍ توارى بأرضِكْ
ومن كل كأسٍ سقتها الضحايا فداءً لعرضِكْ
ومن كل سيفٍ رضعنا مع البيد أنهار شمسه
وذرنا نشارع ببارقات شفرٍ تغنّي لبأسه ..

.. صحونا! ولا بدّ نستحق هول الطريقْ
ونزحف .. حتى نردّ من الليل ضوء الشروقْ!!
فزمجرْ كما شئتَ .. حتى تردّ إباء السنينْ
وشقّ الصدور، وأضرمْ بها مهجة الزاحفينْ
وغيّرْ هوانا، وغنِّ رؤانا
وأشعلْ بنا ثورة لليقينْ!
.. ولن يغسل العارَ .. إلا امتدادك في كل شيءْ
ولن يأخذ الثأرَ .. إلا انتفاضك في كل حيّْ
ولن يُرجع الدارَ .. إلا اقتحامك ذُلّ الخليّهْ
ومحوك للضعف من كل روحٍ غبيّهْ ..
.. فصوتك في كل روحٍ حياهْ
وصوتك للنصر أزكى صلاهْ

ترنمْ، وجلجلْ
وبالنصر أقبلْ
وهاتِ الطبولَ، وهاتِ الخيولَ، وهاتِ البيارقْ
وهاتِ الصدى، من مزامير "طارقْ" ..
وأيقظْ "عمورية" من كراها،
وذقْ نارها واسقني من لظاها بقايا ضحاها!
.. وخذْ نغمة من سماوات "حطين"،
واخضبْ نداءكْ
وأوغلْ مع الريح في كل أفقٍ،
وفجّرْ إباءكْ
وذرْ بالعصور، وبُوقِ النشور على الراقدينْ
وأنشبْ زئيرك في كل كهفٍ على الجامدينْ

فقاتلْ به في العروق دمَ اليائسينْ
وأيقظْ به في الدماء رؤى الراقدينْ
وأعجلْ به النصر للصامدينْ
.. ويوم نردّ التراب الحبيب لأقدامنا
وصوتك بالنصر يجري نشيداً لأيامنا
ستسمع من كل أفقٍ أذاناً يهزّ الشعوبْ
ويحضر في الأرض لحن البطولة ..
.. نحن العربْ!!

محمود حسن اسماعيل



« وانفقوا فى سبيل الله ، ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة » ان الجهـــاد كما يحتاج الى الرجال يحتاج للمال ، ولقد كان المجاهد المسلم الأول يجهز نفسه بعدة القتال ، ومركب القتال ، وزاد القتال .. لم تكن هناك يومئذ رواتب يتناولها القادة والجند ، انما كان هناك تطوع بالنفس وتطوع بالمال ، ولكن كثيرا من فقراء المســـلمين الراغبين فى الجهاد والذود عن العقيدة والحرية والكرامة والعزة الايمانية لم يكونوا يجدون ما يزودون به أنفسهم ، ولا ما يتجهزون به من عدة الحرب ومركب الحرب ، وكانوا يجيئون الى النبى صلى الله عليه وسلم يطلبون منه أن يحملهم الى ميدان المعركة ، فاذا لم يجد ما يحملهم عليه : **« تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجـــدوا ما ينفقون »** .

ومن أجل هذا كانت دعوة القرآن الى الانفاق فى سبيل الله . الانفاق لتجهيز الغزاة ورعاية أسرهم ، وقرر القرآن الكريم أن عدم الانفاق تهلكة ، وما أكثر ما ذكر الجهاد بالمال فى القرآن الكريم مقترنا بالجهـــاد بالنفس ، بل مقدما عليه قال تعالى : **« انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصـــادقون »** وقال رسول الله صلى الله عليه وســـلم : « جاهدوا المشركين بأموالـــكم وأنفسكم وألسنتكم » .

والجهاد بالمال يكون ببذله عن طيب نفس . دعمـــا للجيش واعدادا للمعركة وتجهيزا للمجاهدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا » .

ولقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم أروع الأمثلة فى المســـارعة الى الانفاق فى سبيل الله والجهاد بالمال دعما لاقتصـــاد الدولة وبنائها العســـكرى وتجهيز جيـــوش المسلمين . وفى غـــزوة (تبوك) كان على المسلمين أن يصدوا جموع الروم التى تجمعت فى الشام لغزوهم ، وأن يعدوا لهم ما استطاعوا من قوة ، ولم يكن لدى المسلمين آنئذ من المال ما يكفى لتجهيز جيش قوى يرد غارة الروم ويصد عدوانهم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى التطوع للجهاد والتبرع بالمال وتسابق المســـلمون فى

هذا الجهاد ، فكان أبو بكر أول من قدم ماله . جاء بكل ما يملك وقدمه لرسول الله ، فقال له صلى الله عليه وسلم : ماذا أبقيت لآلك ؟ فقال : أبقيت لهم الله ورسوله .

وجاء عمر رضى الله عنه بنصف ماله ، فقال له الرسول : ماذا أبقيت لآلك ؟ فقال : أبقيت لهم نصف مالى ، فقال صلى الله عليه وسلم : بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أبقيت . وتبرع العباس بن عبد المطلب بتسعين الف درهم وعبد الرحمن بن عوف بمائتى أوقية ذهبا ، وجهز عثمان ثلث الجيش ، وجاء جابر بن عبد الله الانصارى بحفنة من بر هى كل ما يملك .

والدعوة الى الانفاق فى سبيل الله دعوة عامة لجمع المسلمين اغنيائهم وفقرائهم قال تعالى : **« ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم »** وقال صلى الله عليه وسلم : « أفضل الصدقات ظل فسطاط فى سبيل الله ، ومنحة خادم فى سبيل الله أو طروقة فحل فى سبيل الله » .

ان المعركة التى تدور رحاها اليوم بين المسلمين وبين الصهيونية تفرض على كل مسلم ومسلمة أن يتبرع بكل ما تحتاج اليه المعركة . بالمال . بالغذاء . بالكساء . بالغطاء . بالدم . بالأدوية . بالخيام . بالسيارات .. والتبرع يجب أن يزيد كثيرا على الزكاة المفروضة على المسلمين . يجب أن يصل الى راس المال نفسه ، بل الى الايثار .

ان الحرب التى نخوضها الآن حرب طويلة الأمد ، ومغارمها وتضحياتها فادحة وما تحتاجه من البذل والعطاء يقدر بالمليارات لا بالملايين ، وفى المسلمين ثراء وفى المسلمين كثرة ، وهم قادرون لو صدقوا الله لمولوا المعركة بكل ما تتطلبه من نفقات .

وان عدونا فى كل شبر من الارض يتبرع بأموال طائلة لمساندة العدوان والأرقام التى تنشر عن تبرعات الصهاينة فى العالم لتمويل المعركة ضدنا ارقام مذهلة .

ان الدعم المالى الشعبى للمجهود الحربى يربو كثيرا على الدعم المالى الحكومى فأين صندوق الجهاد الذى يمول من الزكاة ومن جزء ثابت يقتطع من راتب الموظفين فى الدوائر والمؤسسات والمصارف ومن التجار واصحاب المهن .

ان واجب المؤتمر الاسلامى أن ينهض بالدعوة الى انشاء هذا الصندوق والاشراف على جمع التبرعات لتمويل الجهود الحربية للجيوش الاسلامية .

متى تفتح هذه الخزائن المملوءة بالأموال ؟ متى تملأ هذه الصكوك البيضاء بالأرقام ؟ متى تفك الأغلال عن الأيدى المربوطة الى الاعناق ؟ متى تقسم الأطعمة والأكسية والأغطية بيننا وبين المجاهدين بالسوية ، متى يكون الله ورسوله أحب الينا من انفسنا واموالنا .

ان تمويل الحرب وامداد المجاهدين بالمال والسلاح ، وتقديم العون الطبى والتموين الغذائى وكفالة اسر المقاتلين ومدها بما تحتاج اليه فريضة على كل مسلم ومسلمة : **« يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وانفقوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم »** .



ان الأخطار التى تهدد المسلمين تحتاج الى كل جهد يبذل فى سبيل القضاء عليها وان العدوان الذى يقع على المسلمين يحتاج الى جهد المسلم والمسلمة معا لرده ودحره ، وأن ميدان الجهاد أوسع من أن ينحصر نطاقه فى جبهة القتال وحدها ، ومن هنا كانت أسهم الجهاد فى سبيل الله كثيرة ومتعددة ، فمن حمل السلام كان مجاهدا ، ومن جهز غازيا فى سبيل الله كان مجاهدا ، ومن خلف غازيا فى أهلة فقام على رعاية أولاده وأسرته كان غازيا ، ومن تصدى للحرب النفسية التى يشنها العدو كان مجاهدا ، ومن أسهم فى التعبئة المعنوية بالكلمة أو الصورة لم يقل ثوابه عن ثواب المجاهد ، ومن آوى مجاهدا أو أسعف مقاتلا أو آوى مناضلا أو حمل جريحا فقد أسهم فى الجهاد بنصيب وافر .

والانتصار على العدو ودحره يحتاج الى تضافر كل هذه الجهود ، والى تعاون الرجل والمرأة والشاب والفتاة ، وقد أفسح الاسلام للمرأة فى ميدان الجهاد والاسلام وان كان عذر المرأة فلم يكتب عليها حمل السلاح فى المعركة الا أنه لم يعفها من أبواب الجهاد الأخرى التى تتمثل فى الاسعاف والتمريض وامداد الجيش بما يحتاج اليه من ماء وغذاء وكساء ومن كلمة حق تثير القاعد وتسوقه الى المعركة وتاريخ المرأة المسلمة فى الجهاد تاريخ مشرف .

١ – عن أنس : كان النبى صلى الله عليه وسلم يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه ، فيسقين الماء ويداوين الجرحى (رواه مسلم وابو داود) .

٢ – وقالت الربيع بنت معوذ رضى الله عنها : كنا نغزو مع النبى صلى

الله عليه وسلم فنسقى القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى الى المدينة (رواه البخارى) .

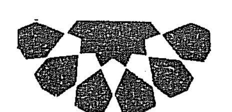
٣ ــ وقالت أم عطية رضى الله عنها غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أخلفهم فى رحالهم فأصنع لهم الطعام وأداوى الجرحى واقوم على المرضى (رواه مسلم) .

٤ ــ وأم عمارة : نسيبة بنت كعب المازنية كان لها يوم احد موقف من أعظم المواقف فى الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولندع أم عمارة تصف لنا هذا الموقف . قالت : خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء ، فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه ، والدولة والريح والنصر للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله ، فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراح الى .. وكان فى عاتقها جرح أجوف أغور من ضربة لابن قمئة الذى انتهز فرصة انهزام المسلمين ، فأقبل يقول دلونى على محمد فلا نجوت ان نجا ، قالت أم عمارة فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله ، فضربنى هذه الضربة ، فلقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كانت عليه درعان .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبارك جهاد المرأة ويثنى على بلائها ويفضلها على بعض الرجال ممن لم ينشط نشاطها ولم يصنع صنيعها .

عن عبد الله بن عاصم قال : شهدت أحدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما تفرق الناس عنه دنوت منه وأمى تدفع عنه ، فقال : يا ابن عمارة ــ قلت : نعم . قال ــ ارم فرميت بين يديه رجلا من المشركين بحجر وهو على فرسه فأصبت عين الفرس حتى وقع هو وصاحبه ، وجعلت أعلوه بالحجارة والنبى ينظر اليه ويبتسم ، فنظر الى جرح بأمى على عاتقها . فقال : أمك أعصب جرحها . بارك الله عليكم من أهل بيت . لمقام أمك خير من مقام فلان وفلان . رحمكم الله من أهل بيت . فقالت أمى : أدع لنا يا رسول الله أن نرافقك فى الجنة ، فقال : اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة .

ودور المرأة فى هذه المعركة التى نخوضها مع أعداء الله دور كبير ، فان الحرب اليوم لم تعد قاصرة على ميدان المعركة ، بل انها تصيب الآمنين الوادعين فى دورهم ومساكنهم بالقنابل المدمرة والصواريخ المخربة وهذا يحتاج الى سهر المرأة على الجرحى ورعايتها للمنكوبين وتثبيتها للجزعين ، ومواساتها للمصابين . ان واجبات المرأة المسلمة فى هذه الحرب كثيرة متعددة ، فلتعط نساؤنا اليوم نماذج رائعة فى الايمان والصبر والتحمل والمشاركة ، والبطولة كما أعطت جداتها وأمهاتها من سلفنا الصالح .





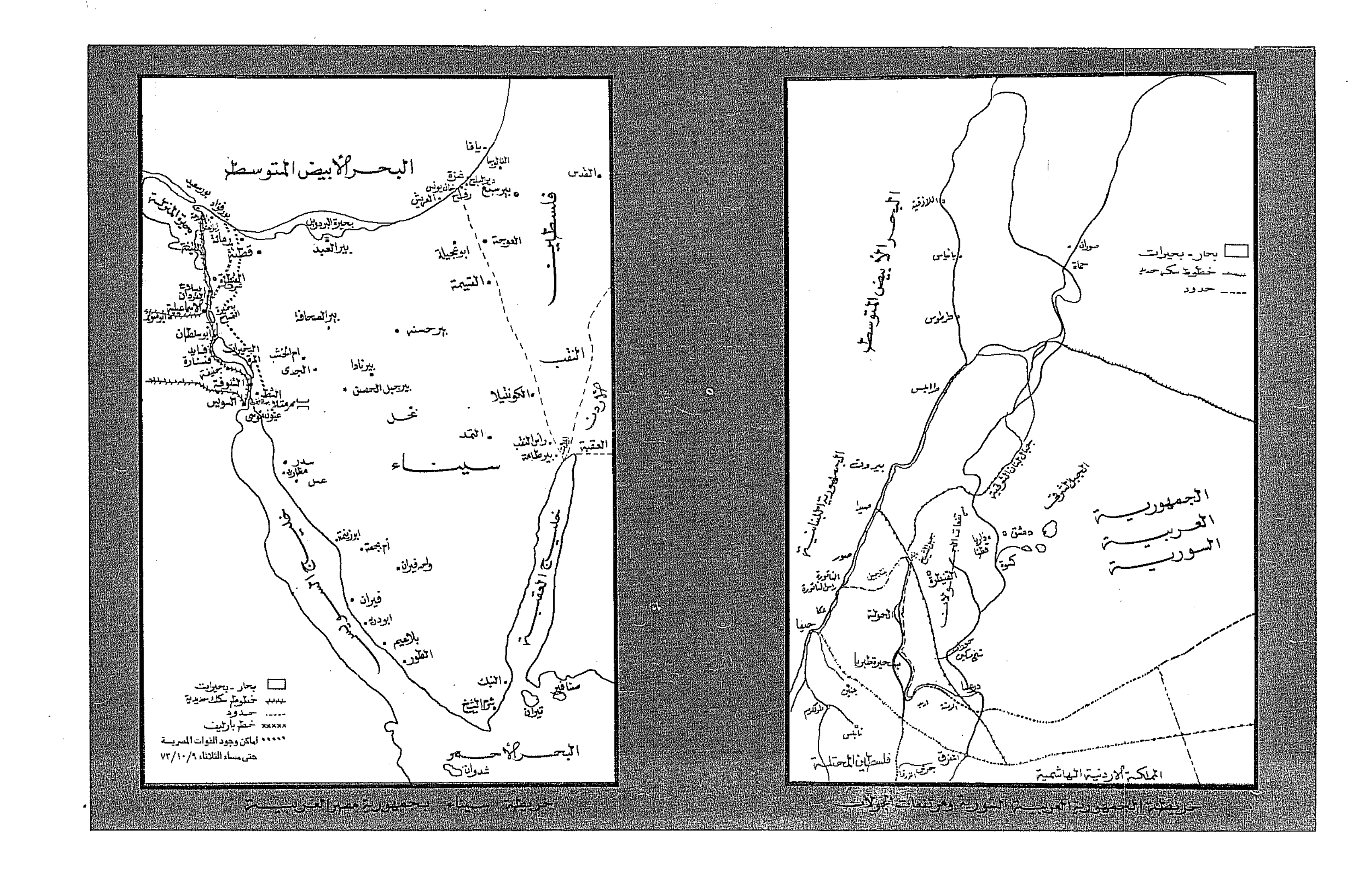
أبواب الفردوس

هـــذه هى سيناء أرض البطولة . وهذه هى هضبة الجـــولان مقبرة الصهيونية .. هنا وهناك مؤمنـــون مجاهدون . هانت فى أعينهم الدنيا ، الموت أحب اليهم من الحياة .. هنــا وهناك تهب روائح الجنة على أبطـــال باعوا انفسهم لله ووهبوا حياتهم لله ، وقفوا يقاتلون أعداء الله لا يبالـــون أوقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم فاشترى الله منهم أنفسهم وأعـــــد للشهداء منهم جنة تعهد غراســـــها وأحسن مهادها ، فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قـــلب بشر .. هنا وهناك فدائيون عــــلى الرمال المترامية والتــــلال المتناثرة والصخور الصماء يقتلـــون عدونا ويرفعون علمنا ويثأرون لكرامتنا . يحررون أرضنا ويستردون مقدساتنا ويغسلون بدمائهم الزكية العـــــار والهوان الذى لحقنا ... هنا وهناك فى قلب الأرض المحتلة مجاهــــدون جمعهم الاسلام ، وعبأتهم العقيـــــدة فخرجــــوا من كل أرض من مصر وسوريا والكويت والسعودية والاردن والمغرب والجزائر وليبيا والعراق ، واحتشدوا فى ميدان المعركـــــة مع رفقائهم فى السلاح أبناء فلسطين . احتشدوا بلا نسب الا نسب الاسلام ، وبلا جنسية الا جنسية الاســـلام . احتشدوا يذيقون المعتدين ، الـــوان العـذاب ويلبســـونهم ثيــاب الذل والهوان .

هنا وهناك تفتحت أبواب الفراديس للشهداء منهم الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله .

هنا وهناك تفتحت أبواب المستقبل للاسلام والعزة والغلبة للمسلمين : **((كتب الله لأغلبن أنا ورسلى أن الله لقوى عزيز)) .**

فاللهم نصرك الـــــذى وعدتنا به وتثبيتك الذى أيدتنا به : **((اذ يوحى ربك للملائكة انى معكم فثبتوا الـــذين الذين آمنوا سالقى فى قلوب الـــذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان)) .**



خريطة الجمهورية العربية السورية ومرتفعات الجولان

خريطة سيناء بجمهورية مصر العربية

صور من المعركة

حطام طائرات العدو بدمشق



مواطنون سوريون امام حطـام احدى طائرات العدو الاسرائيلي التي اسقطـت في دمشـق امس

جنود العدو يحاولون الفرار من القصف السوري في الجولان

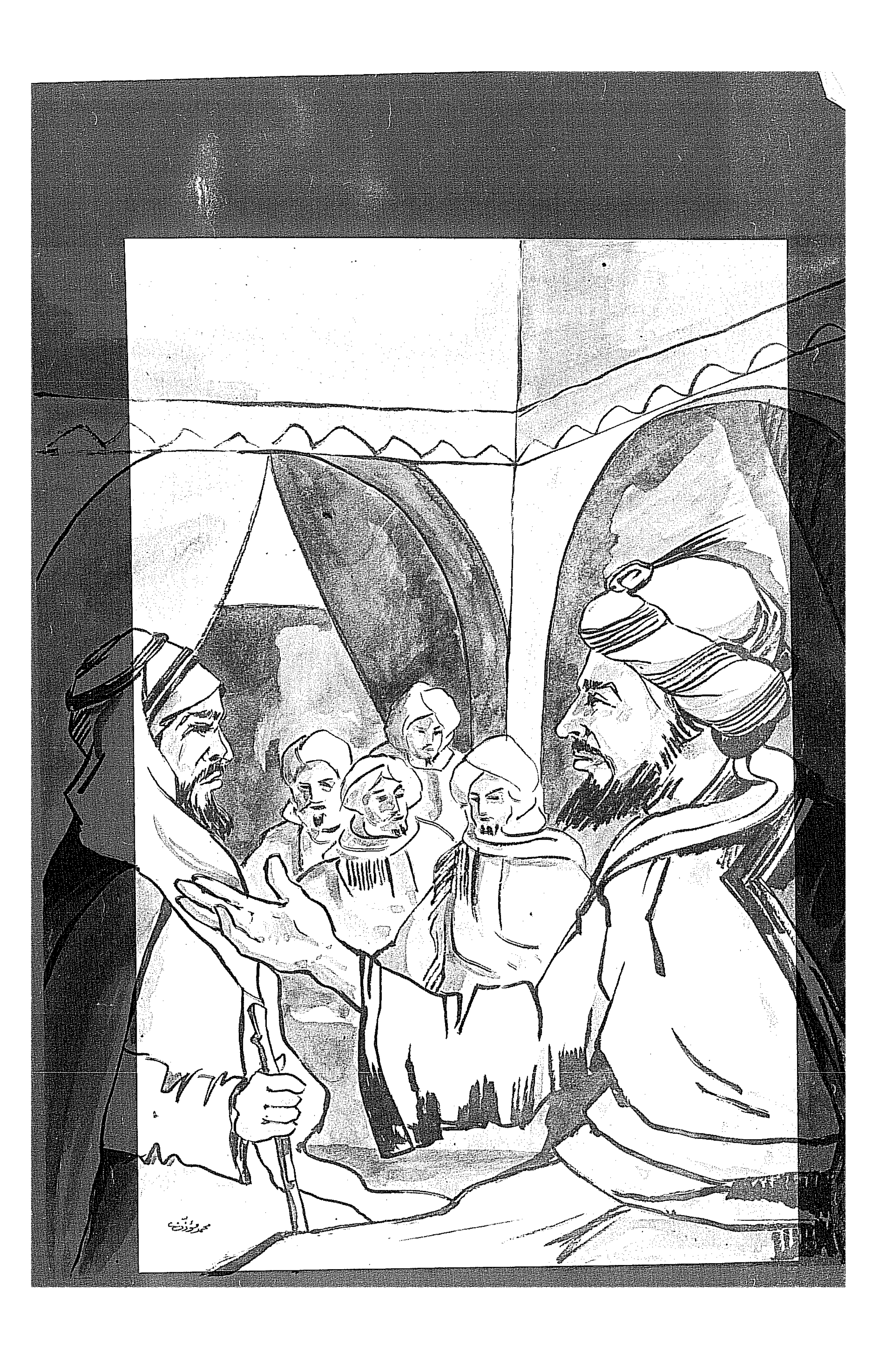




مقاتلون مصريون في احد مواقع خط بارليف في سيناء بعد الاستيـــلاء عليه



جنود العدو الذين اسرتهم القوات المصرية فـي سيناء



من قصصنا المشرق



عطاء وهشام

للأستاذ : أحمد العناني

عاد أمير المؤمنين هشام بن الملك من مشتاه في أطراف الأردن الى مقر الخلافة بدمشق ، وهو أشد ما يكون عزيمة على أن يسلك في حكمه مسلكا معينا يتسم بالحزم الشديد ، والانضباط التام .. لقد كان استجم طويلا حتى لكأنما بدد عن صدره أحمالا ضاغطة من الجهد والكبت والمعاناة .. ولقد أصبح الشيب يملأ رأسه ، وأخاديد في جبهته ووجهه تحمل نذير الموت صامتا ولكنه نذير رهيب لا يحتاج في نطقه الى لسان ..

وشيئا فشيئا أصبح يتفهم موقف سلفه عمر بن عبد العزيز ، وبات يتشكك في معارضته العنيفة لحكم عمر ، ويتمنى لو استمر الخط الذى سار عليه عمر طويلا فلم ينثلم بحكم أخيه يزيد بن عبد الملك ثم خلال السنوات الخمس عشرة التي مضت على حكمه هو .. فالناس هم الناس اذا فتح لهم أمير او حاكم أبواب الطمع والكسب السريع لم يتوقفوا في ذلك عند غاية ، ولم تكن لمطالبهم حدود ولا نهاية .. فيا ليت أن أخاه يزيد ، ويا ليته هو بعد يزيدتركا الباب الذى أقفله عمر مقفلا الى الأبد ، ولكن اني لهما ذلك وهما كانا يتزعمان دعاة فتح ذلك الباب على مصراعيه .. فالآن قد فتح كما أراد فيالله كم يتسرب خلاله من قوة الدولة ومن موازنتها وأموالها ، ويالله كم هي محتاجة الى ذلك كله الآن ، وهي تواجه قتالا مستمرا عنيفا في المشرق وراء النهر شرقي خراسان ، كما تواجه سنوات قحط مريرة في الشام والعراق والجزيرة ولكن لا باس .. ما لا يدرك كله لا يترك جله كما يقال .. لسوف يحاول هشام بكل قواه أن يغلق ذلك الباب الذى فتح

فاستنزف أموال بيت المال ، ولو نصف اغلاق .. وليحزمن فى ذلك حزما شديدا ، وليواجهن اتهام الناس إياه بالبخل وبما شاعوا من النعوت ، فانه ليحس بوادر ضعف فى جسمه ، وانه لموشك أن يقبل على ربه ، وان الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره ، والعاقل الكيس من عاد عن خطئه مهما بلغت مشقات العودة .

— ● —

ليأخذ الامور بحزم وأناة اذا ..

وليناقش هؤلاء الناس الذين يزدحمون عنده من أصحاب الحاجات وذوى المطامع والنهّازين ..

وليحرص على مال الدولة أشد الحرص ، وليسخّر ما يدخر فى شد أزر المجاهدين فى المشرق ، وليخفف ما استطاع عن كاهل المشدودين الى ضرائب مبهظة فيما هم يعانون من بلاء القحط وغوائل السنين ..

— ● —

ولكن الناس بعد طول الرضاع يصعب فطامهم عن الباطل والشر ، هذا الديوان فى كل صباح يغص بالوافدين يختلط بينهم صاحب الحق بالمبطل ، والمحتاج حقا بمدعى الحاجة ، وفيهم الذى يرفع عقيرته شاكيا من ظلامة مسته ، وهو فى حقيقة الحال ظالم سواه معتد عليه .

والشعراء لا ييأسون من نوال المكافآت ، وغيرهم يفتنون فى اختراع المطالب والحاجات ..

وذات صباح بكر فيه أمير المؤمنين الى ديوانه ، وتكاثر فيه الناس خارج الديوان يلحون على الحاجب فى طلب الاذن بالدخول والحاجب حائر فيهم : هذا أموى من الأمراء أنى له ان يزجره عن الحاحه فى طلب الدخول ، وهذا من بعض أصهار أمير المؤمنين ، وذاك شاعر لا تؤمن غدرات لسانه اذا أعيد غاضبا ، وأمير المؤمنين يسير بأموره الهوينى .. يدقق فى مطالب الداخلين عليه ، ويتثبت ويناقش فما يخرج من عنده واحد ، حتى يفد الى الديوان اثنان مستجدان بدلا منه ..

— ● —

والناس جلوس حين توقف حمار أسود عليه رحل من الخشب يعتليه شيخ نظيف الثوب والجبة والقلنسوه ، لكن كل ذلك من قماش رخيص مسه البلى وتمزقت منه جوانب .

وبدا شكل الشيخ واضحا فى الشارع أمام باب الديوان ونظر فتى من الامويين يرافق أباه المنتظر للاذن على أمير المؤمنين فرأى رحل الخشب على الحمار الاسود ، وثياب راكبه المهلهلة فضحك بصوت مسموع وهو يتمتم ((وهذا أيضا ينشد الاذن على أمير المؤمنين !)) ونظرت عيون على أعناق متطاولة من جوانب المجلس الى الفتى وفيها استنكار لسلوكه واستهجان .. وتطلع الفتى الى أبيه فاذا هو ينظر اليه شزرا نظرة كلها

السخط والغيظ .. ثم همس له : « ويحك .. اتضحك من رجل هو أكرم عند المسلمين من عمك أمير المؤمنين ؟ » .

وسكت الفتى وسكت أبوه وخيم على الجالسين صمت ..

وبصر الحاجب بالشيخ الذى وفد فعرفه فاسرع الخطى نحو أمير المؤمنين ورد الشيخ التحية بوقار وصمت ، ونظر الفتى الاموى فى وجهه فاحس بهيبة ورهبة ، وبدا عليه أنه يلوم نفسه على ما بدر منه ، وما كاد الشيخ يسترد أنفاسه جالسا حتى عاد الحاجب ميمما شطره ، لم يعرج على أمير من امراء أمية الجالسين ولا على سواهم من أهل الأحساب الرفيعة . وتقدم الحاجب بوقار وهمس فى اذن الشيخ قائلا : « أمير المؤمنين يدعوك أبا محمد للدخول عليه » .

ونهض هشام بن عبد الملك بن مروان يستقبل الشيخ عند الباب ويأخذ بيده حتى يجلسه الى جانبه ، ويهش فى وجهه ويبش ، وينشغل عن كل من عداه وما عداه وهو يسائله عن حاله وصحته ، ثم يسأله أن يعدد له حاجاته التى جاءت به ليصار الى تنفيذها حالا ..

قال الشيخ : أى والله قد جئتك فى غير حاجة واحدة يا أمير المؤمنين فاما الاولى والأشد الحاحا ووجوبا فهى حاجة أهل الحرمين الشريفين بمكة والمدينة ، أهل الله وجيران رسول الله تقسم عليهم أرزاقهم وحقوقهم فى بيت المال فانك أن تمنع ذلك عن الناس حتى تتدبر أمور المال فلا يجب أن يشمل المنع هؤلاء ، فلقد علمت فضلهم وسابقتهم ، وما أصابهم على أيديكم يا بنى أمية وما مسهم من قحط وضيق .. فقال هشام غير متأخر : الآن يا أبا محمد وانك لعلى حق ثم هتف بكاتب بيت المال أن اصرف لأهل مكة والمدينة حقوقهم لهذه السنة ..

قال هشام : هذه واحدة ، فما حاجتك الاخرى .. يا أبا محمد .. ؟

قال عطاء بن أبى رباح فقيه أهل الحجاز ، نعم يا أمير المؤمنين أهل الحجاز من غير مكة والمدينة ، وأهل نجد كذلك هم أصل العرب وقادة الاسلام وهذه سنة مجدبة فاتركوا صدقات أغنيائهم لفقرائهم ولا تأخذوا لبيت المال هذا شيئا من زكاتهم ..

قال هشام : هذه واحدة فما حاجتك الأخرى .

قال عطاء : نعم يا أمير المؤمنين ، أهل الثغور كلهم متطوعة للقتال من أجل الله يحمون ظهوركم ويردون كيد عدو الله وعدوكم يحتاجون فى مثل هذه السنة خاصة الى أرزاق تجرى عليهم ، وعون يساق لهم فلا يتبدد شىء من جهدهم فى قتال عدوهم ، قال هشام نعم .. نعم وهذه أيضا ، واكتب يا غلام بذلك الى بيت المال.. فهل من حاجة أخرى يا أبا محمد .. ؟

سكت عطاء قليلا كأنما يجمع أفكاره ثم عاد ينطلق فى حديثه : « أجل يا أمير المؤمنين .. لقد يكون تناهى اليك ما تسامعه الناس عن أهل الذمة .. وقد يكون حجبه هؤلاء الناس عنك .. ان هذا الدين لا يتعامل مع غير المسلمين ممن يقيمون فى ديار الاسلام بهوى أحد من الناس .. أهل الذمة يا أمير المؤمنين لا يجوز أن يكلفوا ما لا يطيقون فان المال الذى تجمعونه منهم عون لكم على عدوكم ، وعليكم فى مقابل ذلك أن تدفعوا عنهم من الشر ما تدفعونه عن أنفسكم ، فقال هشام : اليوم يا أبا محمد سأنظر فى هذا

الأمر ، وسأكتب لسائر الولاة والعمال أمرا برفع كل ارهاق قد يكون أصاب أهل الذمة .

وسكت هشام قليلا ثم عاد الى بشاشته فى وجه الشيخ وقال : هل من حاجة أخرى أبا محمد .. ؟

وسكت هذه المرة عطاء بن أبى رباح ، وراح يحدق فيما حواليه وينظر فى حاشية هشام وخدمه نظرة ذات معنى ثم قال فى خشوع ومسئولية ووقار : نعم يا أمير المؤمنين اتق الله فى نفسه ، فانك خلقت وحدك ، وتموت وحدك ، وتحشر وحدك وتحاسب وحدك ، ولا والله ما معك مما ترى من هؤلاء الناس أحدا ..

وحدق الشيخ فى وجه هشام ثم أدار عينيه يستعرض الجالسين فما من أحد منهم الا ويتمنى لو انصرفت عنه عينا الشيخ ، فكأنما كانت نظراته سهاما تخترق أعماق ضمائرهم فترتعد لذلك فرائصهم ..

وأما هشام فاطرق طويلا طويلا وكأنما اتصل ما بينه وبين نفسه حين يراجعها ليلا فى أطراف الاردن وعيناه مسمرتان الى أديم الفلك الصافى مرصعا سواده بنجوم كأنها أعين شاخصات اليه بالعتاب على ما فرط فى جنب الله ..

وحين رفع هشام رأسه ليسائل عطاء عن حاجة أخرى كانت الدموع تملأ وجهه الذى بدا كتمثال متخشب .. وعبثا حاول أن يتكلم ، ولم يعجبه من نفسه أن يضعف ذلك الضعف أمام الناس فاطرق يتشاغل بنكث البساط بعصا صغيرة كانت فى يده ..

ونهض الشيخ فحيا مودعا ، ورد عليه هشام التحية وهو كأنما يحيا فى موكب جنازة لحبيب راحل ..

وحين خرج الشيخ رفع هشام رأسه والدموع ملء وجهه ، وأدرك تفاصيل ما جرى فى لحظات غيبوبته ..

الشيخ الوقور شملت طلباته سكان مكة والمدينة ، والحجاز ونجد ، وأهل الثغور وأهل الذمة ، ولكنه لم يطلب شيئا لنفسه يا للخجل ، ويا للتقصير .. !

ويا له من تفريط فى حق فقيه الحجاز الجليل ..

وهتف : أسرع يا غلام بهذا الكيس من المال .. أسرع وأدرك الشيخ ، وفى هدوء ناوله هذا الكيس مع سلامنا واعتذارنا ..

— ● —

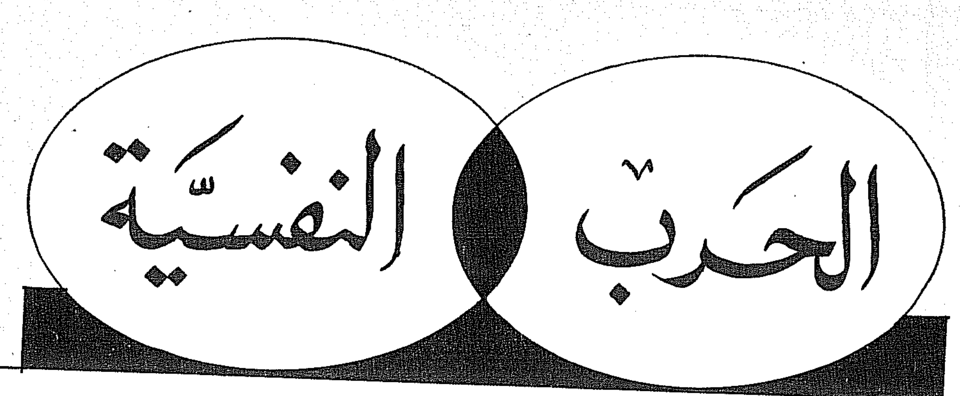
كان الحمار الاسود ذو الرحل الخشبى قد ابتعد بالرجل الذى امتلأت روحه بكنوز التقوى باكثر مما بدا فى حاله وملابسه من الفقر .. كان قد ابتعد عن الديوان مسرعا ..

وحين أدركه الغلام وهو يركض ويلهث حمد الله على توفيقه وهتف بالشيخ : يا أبا محمد .. نفسى فداؤك انتظر يا أبا محمد ..

توقف الشيخ قليلا والتفت نحو الفتى متسائلا : ماذا تريد يا غلام .. ؟

قال الغلام : أمير المؤمنين أمر لك بهذا الكيس ..

وابتسم عطاء وهو يأمر الولد باعادة ذلك لأمير المؤمنين ويقول لو كانت قطرة ماء ما شربتها .. فما يكون لى من أجر على ما جئت له الا من رب العالمين ..



الحرب النفسية من اخطر الاسلحة التي تستخدم في الحروب لاضعاف الثقة في نفوس المقاتلين ولاشاعة البلبلة واذاعة القلق والاضطراب في صفوف من خلفهم من أممهم وشعوبهم ، وقد أصبحت الحرب النفسية في عصرنا الحاضر علما كبيرا يتوفر على دراسته متخصصون كبار في علم النفس والاجتماع وترصد له الأموال الطائلة التي تخصص لميزانية الحروب .

والقرآن الكريم تناول هذا السلاح الخطر ووضح المنهج الذي يجب على المؤمن أن ينتهجه في مواجهة الشائعات واخبار المعارك الحربية التي تصدر عن الأعداء والتي يرددها الناس دون تحر للحقائق او تبصر بها .

ان القرآن الكريم عاب سلوك مرددي الاشاعات ومروجي الفتن فقال : **« واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولى الأمر منهم لعلمه الذى يستنبطونه منهم »** .

ان المؤمن الواعي لا يأخذ انباء المعارك من بيانات العدو ولا من صحف العدو ولا من اذاعات العدو ولا من أفواه السذج والجهلة ، وانما يأخذها من قادة الأمة ومن المصادر الرسمية الموثوق بها .

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يردد المسلم كل ما يسمع دون أن يتبين الحقيقة منمصدرها الذ ىيطمئن اليه ويثق به ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع » .

في غزوة أحد نادى أبو سفيان : أفي القوم محمد ؟ فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يجيبوه ، ثم قال : أفي القوم أبو بكر ؟ أفي القوم ابن الخطاب . فلما لم يجبه احد ظن أنهم قتلوا ، وانطلق يقول لأصحابه : قتلوا قد كفيتموهم ، ولو صدق المسلمون هذه الشائعات وسكتوا عليها لكان لها أخطر الأثر في معنويات المسلمين ولكن عمر تصدى له وقال : ان الذى عددت لأحياء كلهم وقد بقى لك ما يسوءك ، وبهذا وأد عمر الشائعة في مهدها ، وفوت على مروجها هدفه وقصده .

اننا يجب أن نعي وندرك أن العدو كذاب وانه لا تهمه الحقيقة بقدر ما يهمه اثارة الشكوك .. واجبنا أنتصدى للحرب النفسية التي يشنها الأعداء حتى نفوت غرضهم ، ونثبت في مواقعنا ، ونمضي في جهادنا والله معنا .

ان اسرائيل الخبيثة التى عاشت على الغدر والخيانة تسعى بكل طاقاتها ، وتلجأ الى كل أساليب المكر والدهاء لبث الشائعات بيننا لتشكيكنا في قدرتنا وتوهين قوتنا واثارة الفتن في صفوفنا ، وادعاء انتصارات وهمية لهم .. فلنكن على حذر مما يبيتون : **« يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم »** .



اعداد : الأستاذ فهمى الامام

الكويت :

● صرح أمير البلاد المعظم سمو الشيخ صباح السالم الصباح بأن الكويت ستستخدم كل الاسلحة من أجل صد العدوان الاسرائيلى وتحرير الارض المغتصبة ، وتشجب الدعم الامريكى لاسرائيل .

● عقد مجلس الأمة جلسة غير عادية لبحث دعم معركة التحرير العربية .. استمع فيها الى خطاب هام لسمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد الصباح .. حيا فيه جنودنا الابطال على جبهة القتال ، كما حيا قوى الثورة الفلسطينية والمجاهدين من أجل تحرير الارض ، وقال سموه : ان الكويت شعورا منها بمسئولياتها والتزاماتها فى معركة المصير قد حشدت كل طاقاتها للاسهام فى معركة الشرف والخلود .

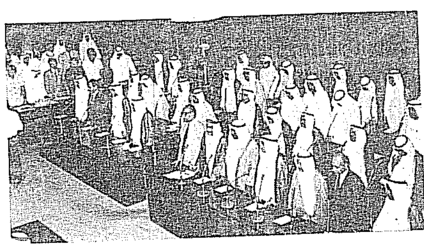
ثم ألقى سعادة رئيس المجلس كلمة جاء فيها : اننا اليوم فى قلب المعركة وهى تواكب فى توقيت الزمان شهر رمضان ووقائع معركة بدر الكبرى التى جعلها الله التجربة العملية الاولى للجهاد المسلح فى سبيله . ثم قال : أن الكويت لم ولن تدخر وسعا فى القيام بواجبها كاملا وحاسما فى المعركة بتوجيهات من صاحب السمو أمير البلاد المعظم، وسمو ولى العهد .

وقد وافق المجلس على تخصيص مائة مليون دينار من الاحتياطى العام للدولة لدعم معركة التحرير العربية .

● زار الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح وزير الداخلية والدفاع القاهرة ، واطمأن على سير المعارك والوضع هناك . كما زار الجبهة السورية اللواء مبارك الصباح رئيس الاركان واطلع على سير المعارك وشاهد ما أنجزته القوات العربية من تقدم على طريق التحرير والنصر .



● تابعت الكويت باهتمام بالغ تطورات المعركة .. فمجلس الوزراء فى حالة انعقاد مستمر وراديو وتليفزيون الكويت يتابع اذاعة أنباء المعركة وعرض صور لمنجزات جيش التحرير العربى .



● حذرت الكويت الولايات المتحدة من التورط عسكريا فى الشرق الاوسط ودعت الى عقد مؤتمر للدول العربية المنتجة للبترول فى الكويت لاستخدام البترول العربى كسلاح فى المعركة .

● نشطت اللجان الشعبية والهيئات الرسمية لجمع التبرعات المالية من المواطنين من اجل دعم النضال العربى .. وقد تنافس المواطنون فى التبرع للمجهود الحربى .. وتبرع كل موظف براتب شهر .

● اقبل المواطنون بأعداد هائلة على بنك الدم للتبرع بدمائهم من أجل انقاذ حياة ضحايا العدوان الصهيونى من عسكريين ومدنيين .

● اجتمع فى الكويت يوم ١٠/١٧ المجلس الوزارى لمنظمة الدول المصدرة للنفط وأعلن عقب انتهاء جلسات المجلس عن اتفاق الوزراء على تخفيض انتاج النفط بمعدل ٥٪ شهريا عن الدول المساندة والمؤيدة للعدوان الاسرائيلى وذلك حتى تغير هذه الدول سياستها أو يتم جلاء القوات الاسرائيلية عن الاراضى العربية المحتلة .. ويتعهد القرار بمراعاة الدول الصديقة والمساندة للحق العربى ومدها بالبترول .

هذا وقد قررت دول النفط الست فى منطقة الخليج زيادة أسعار نفطها الخام فى الاسواق بمقدار ١٧٪ .

القاهرة :

● بدات حرب التحرير العربية للأراضى المحتلة عام ١٩٦٧ م يوم ١٠ رمضان ١٣٩٣ هـ الموافق ٦ اكتوبر ١٩٧٣ م .

● عقد مجلس الشعب جلسة استثنائية استمع فيها الى خطاب هام للرئيس أنور السادات .. شرح فيه تطورات الموقف فى الشرق الاوسط .. وقال : ان صواريخنا عابرة سيناء مستعدة لضرب أعماق اسرائيل ، واننا سنواصل القتال وندفع ضريبة العرق والدم حتى النصر ، وأن عبور القناة ، واجتياح خط بارليف معجزة عسكرية على أى مقياس عسكرى . وقال : ان العالم كله يتعاطف معنا ما عدا دولة واحدة هى الولايات المتحدة الامريكية ، وفى ختام الخطاب حيا سيادته الرجال الذين يحاربون فى جبهة سيناء والمرتفعات السورية وفى قلب الارض المحتلة .

● حققت القوات العسكرية المصرية انتصارات رائعة فى ميدان القتال مع العدو الصهيونى فاجتازت القنال الى ضفتها الشرقية واقتحمت خط بارليف وأخذت تتقدم داخل سيناء تطارد فلول الاعداء وهى تردد : « الله أكبر .. الارض أرضنا » .

● افتتح الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية ووزير الاوقاف نيابة عن الرئيس أنور السادات مسجد المغفور له الشيخ خالد العبد الله السالم الصباح بشارع الهرم بمحافظة الجيزة . وقد حضر الافتتاح نائب رئيس جمهورية مصر العربية السيد حسين الشافعى والشيخ جابر العلى السالم الصباح وبعض أعضاء الجالية الكويتية .



سورية :

● أعلن الرئيس حافظ الاسد فى خطابه بالاذاعة أن القوات السورية حررت عدة مواقع فى جبل الشيخ والقنيطرة وغيرها فى الايام الاربعة الاولى من القتال واشـاد ببطولة الجيش السورى وبدور القـوات العراقية والمغربية .

● تخوض القوات السورية قتالا عنيفا ضد قوات الاحتلال الاسرائيلى، وتكبده خسـائر فادحة فى الافراد والمعدات وترغمـه على التراجع والتقهقر .

● تسقط سورية الطائرات المغيرة على دمشق وبعض المدن السـورية الاخرى والتى أخذت تقصف المواطنين بصورة وحشية بعد أن فشلت فى ميدان القتال وقد اسرت سـوريا العديد من الطيارين الاسرائيليين .. ووجد أحدهم مشدودا بالسلاسل حتى لا يهبط بالمظلة أمام الخطر .

● تدفقت القـوات العراقيـة والكويتية والمغربية والسـعودية والاردنية على الجبهة السـورية للوقوف بجانب اخوانهم السوريين فى وجه العدو الاسرائيلى .

السعودية :

● تبرع جلالة الملك فيصل بمبالغ كبيرة دعما لسوريا فى نضالها ضد قوى البغى والشر .

● تقف القوات السعودية بجانب القوات العربية المتمركزة على جبهـة القتال فى هضبة الجولان لصـد العدوان الاسرائيلى وتحرير الارض .

العراق :

● دعمت العراق الجبهة السورية بستة عشر الف مقـاتل عراقى ومائة دبابة .. وتدخل طيرانها فى المعركة لصد غارات العدو واسـقاط طائراته وما زالت تواصل دعم قواتها بالجبهة .

ليبيا :

● وضعت ليبيا بترولها لتمـويل المعركة وأمدت الجبهتين المصـرية والسورية بما يلزمها من بترول .

● قررت ليبيا وقف تصدير النفط الليبى بجميع مشتقاته الى الولايات المتحدة وكانت ليبيا تصـدر الى الولايات المتحدة ٢٠٠ الف برميل يوميا كما قررت الحكومة الليبيـة تخفيض انتاجها من النفط بنسبة ٥٪

● حشدت ليبيا دباباتها وطائراتها على الجبهة المصرية لتشـارك فى تحرير الارض .

● تبذل ليبيا أموالها من أجل دعم قوات التحرير العربية .. وقد أقبل المواطنون فيها على التبرع للمعركة .. وتبرع كل موظف فى ليبيا براتب شهر ..

المغرب :

● تشارك القوات المغربيـة فى القتال مع القوات المصرية والسورية لدحر العدوان الاسرائيلى .

● تطوع العديد من المواطنـين المغاربة للمشاركة فى قتال العدو .

الجزائر :

● ساهمت الجزائر فى المعركة برجالها وعتادها وطيرانها .. وقد وضعت كل امكانياتها وطاقتهـا فى خدمة المعركة ..

اليمن :

تدفق المواطنـون اليمنيون على التطوع للقتال بجانب القوات العربية وللمسـاهمة فى دحر العدوان الصهيونى وتحرير التراب العربى .

تونس :

● ســـاهمت تونس فى حرب التحرير بقواتها العسكرية .. وبادرت بارسال بعض جنودها الى ميــدان القتال .

السودان :

● اعلن السودان أن أرضـــه امتداد لأرض المعركة وسماءه مفتوحة للطيران العربى .. وانه يقف بكـل ثقله مع دول المواجهة .

● شاركت الســـودان بقوتها العسكرية فى صد العدوان الاسرائيلى ووضــعت كل امكانياتها فى خدمة المعركة .

فلسطين المحتلة :

● يقوم الفدائيون بأعمـــالهم البطولية ضد قوات العــدو وأماكن تجمعه ومؤسساته ومطــــاراته .. وضرب مؤخرة قواته .. وقطـــع امداداتل عن جبهة القتال وقد كبدوا العدو خسائر نادحة فى المنشآت والمعدات والافراد .

الاردن :

● اشتركت بعض القوات الاردنية الخاصة للمساهمة فى القتال الدائر على هضبة الجولان والمرتفعـــات السورية .

ابو ظبى :

● تســـاهم دولة الأمارات مساهمة فعالة بالمال والعتاد من أجل دعم القوات العربيـــة حتى يتحقق النصر النهائى ان شاء الله .

قطر :

● تبرعت قطر بمبالغ مالية طائلة لدعم المجهود الحربى .

سلطنة عمان :

● قرر مجلس الوزراء فى جلسة استثنائية اقتطاع ٢٥٪ من رواتب جميع الموظفين فى السلطنة لصالح المجهود الحربى .. وقرر أيضـــا ارســـال بعثتين طبيتين لـــكل من القاهرة ودمشق .

اخبار متفرقة ..

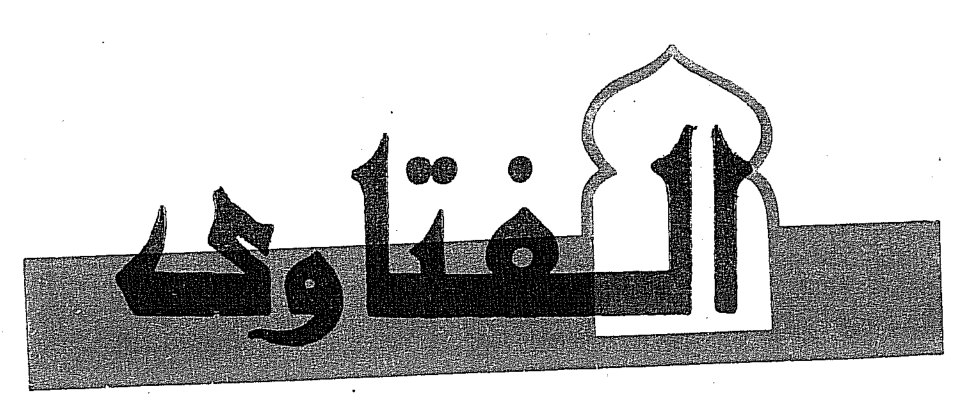
● أرسلت أوغندا جزءا من قواتها للوقوف بجـانب العرب فى حربهم العادلة ضد اسرائيـــل وقد حذر الرئيس الاوغنـــدى اسرائيل من مواصــــلة الاعتداء على الاراضى العربية ونصحها بالانسحاب قبل أن تباد عن آخرها .

● قطعت عدة دول علاقاتهــــا الدبلوماسية باسرائيل احتجاجا على عدوانها على العرب .

● قام وزراء خارجيـــة كل من الكويت والسعودية والجزائر والمغرب باجراء مباحثات فى البيت الابيض مع الرئيس نيكسون شرحوا خلالهـــا حقيقة الموقف فى الشرق الاوسط .. وناقشـــوا الدعم الامريكى المتزايد لاسرائيل .

● تطوعت ٧ منظمات للشـــباب المسلم فى أندونيسيا للانضمام الى الصفوف العربية للقتال ضد اسرائيل .. واســـتنكرت المنظمات امداد الولايات المتحدة لاسرائيل بالاسلحة .. وطالبت بوقف تلك المساعدات فورا .

● أكدت السلطات الاسبانية أن القواعد الامريكية فى البـــلاد لن تستخدم فى الحرب الدائرة حاليا فى الشرق الاوسط .



حج المـرأة بغير زوج أو محرم

الســـؤال :

هل يجوز للمراة ان تؤدى فريضة الحج بغير زوج او محـــرم ؟

الجـــواب :

ذهب الحنفية والحنابلة الى أنه يشترط أن يصحب المـراة فى سفر الحج زوج أو محرم ، فان لم يوجد أحدهما فلا يجب عليها الحج إذ تعد غير مستطيعة له والله تعالى يقول : (**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه ســـبيلا**) وعن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **الا لا تحجن امراة إلا ومعها محرم** » وعنه أنه قال « **لا تسافر امراة ثلاثة ايام الا ومعها محرم أو زوج** » والسر فى ذلك أمن الفساد . وذهب الشافعية الى أنه لا بد أن يصاحبها فى سفرها للحج المفروض زوج أو محرم أو نسوة ثقات .

وذهب المالكية الى أنه لا بد فى سفرها للحج أن يصاحبها زوج أو محرم أو رفقة مأمونة ، واذا سافرت مع الرفقة المأمونة لا بد أن تكون هى أمينة فى نفسها وإلا لا تسافر معهم ، والله أعلم .

موت المحـــرم

الســـؤال :

إذا مات المسلم وهو محرم ، فهل يغسل ويصلى عليه ام لا ؟

الجـــواب :

يغسل من مات محرما ويكفن فى ثوبى احرامه ، ويصلى عليه صلاة الجنازة ويدفن ولا تغطى رأسه بالكفن ولا يقربه طيب ، ففى الصحيح عن ابن عبـــاس : « بينا رجل واقف مع النبى صلى الله عليه وسلم بعرفة إذ وقع عن راحلته فوقصته (دقت عنقه) فقال النبى صلى اله عليه وســـلم : اغســـلوه بماء وسدر ، وكفنوه

في ثوبيه ولا تحنطوه (الحنوط الطيب الذى يصنع للميت) ولا تخمروا (تغطوا) راسه ، فان الله يبعثه يوم القيامة يلبى » وفى رواية عنه ، زيادة (ولا تمسوه طيبا » .

وفى سنن أبى داود عن ابن عباس قال : (اتى النبى صلى الله عليه وسلم برجل وقصته راحلته وهو محرم فقال كفنوه فى ثوبيه واغسلوه بماء وسدر ولا تخمروا راسه فان الله يبعثه يوم القيامة يلبى) وفى رواية (ولا تحنطوه) وفى رواية (ولا تقربوه طيبا) .

قال أبو داود : سمعت احمد بن حنبل يقول فى هذا الحديث (أى برواياته) خمس سنن : (١) كفنوه فى ثوبيه ، أى يكفن الميت فى ثوبين . (٢) واغسلوه بماء وسدر ، أى أن فى الغسلات كلها سدرا . (٣) ولا تخمروا راسه . (٤) ولا تقربوه طيبا . (٥) وكان الكفن من جميع ما له . والله أعلم .

الاكتحال فى الاحرام

السؤال :

هل يجوز للحاج أو المعتمر أن يكتحل وهو محرم ؟

الجواب :

روى عن ابن عمر أنه قال : يكتحل المحرم بأى كحل شاء ، ما لم يكن فيه طيب ، قالت عائشة لامرأة سألتها : اكتحلى بأى كحل شئت غير الأثمد ، أما أنه ليس بحرام ولكنه زينة ونحن نكرهه (المحلى لابن حزم) .

وعلى ذلك يجوز للمحرم استعمال القطرات والمراهم لعلاج العيون وغيرها وليس عليه شىء فى ذلك ما دام جميعها ليس طيبا ولا زينة ، والله أعلم .

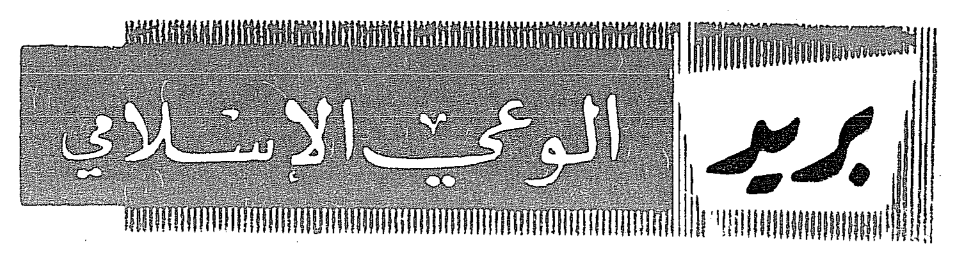
فى النكاح

السؤال :

ان والدى عقد نكاح شقيقتي البالغة من العمر ست عشرة سنة اجباريا على رجل لا ترغبه وانها تحاول قتل نفسها بكل طريقة وتقول الموت احب الى منه .

الاجابة :

مثل هذا الزواج منكر لا يجوز ولا يصح فى أصح أقوال العلماء لأن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن تزويج النساء الا باذنهن ، وأخبر أن البكر إذنها سكوتها ، ولما أخبرته صلى الله عليه وسلم جارية أن أباها زوجها وهى كارهة خيَّرها النبى صلى الله عليه وسلم بين البقاء معه أو الترك ، وما اعتاده بعض البادية وغيرهم من تزويج الأبكار دون مشاورتهن فهى عادة سيئة باطلة ، والغصب لا يأتى بخير بل يضر الجميع ، والذى أرى أن توسطوا أهل الخير فى فسخ هذا النكاح فإن أجدت الوساطة فذلك المطلوب ، والا فاعرضوا الموضوع على المحكمة وهى إن شاء الله تحل المشكل . وفق الله الجميع .



صــــلاة التســـابيح

روى ابن عباس رضي الله عنهما حديثا فى صلاة التسابيح ، فهل هذا الحديث صحيح أم لا ، كما أرجو أفادتى عن كيفية هذه الصلاة ، وهل هى كالصلاة المعروفة ، ويزاد عليها التسابيح .

خليل ابراهيم ـــ القاهرة
إمام مسجد الرحمة

هذا أولا نص الحديث :

عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب : يا عباس يا عماه الا أعطيك الا أمنحك الا أحبوك عشر خصال اذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وآخره قديمه وحديثه خطأه وعمده صغيره وكبيره سره وعلانيته عشر خصال أن تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة فى أول ركعة وأنت قائم قلت : سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشرا (عشر مرات) ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا ثم تهوى ساجدا فتقولها وأنت ساجد عشرا ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع رأســك فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة تفعل ذلك فى أربع ركعات ان استطعت أن تصليها فى كل يوم مرة فافعل فان لم تفعل ففى كل جمعة مرة فان لم تفعل ففى كل شهر مرة فان لم تفعل ففى كل سنة مرة فان لم تفعل ففى عمرك .

*** ***

ثانيــا : جاء فى شــرح سنن أبى داود لمحمد شمس الحــق العظيم أبادى : وفي التلخيص (كتاب لابن حجر فى تخريج الأحاديث) والحق أن طرقه كلها ضعيفة ، وان كان حديث ابن عباس يقرب من شرط الحسن الا أنه شاذ لشدة الفردية فيه وعدم المتابع والشاهد من وجه معتبر ، وموسى بن عبدالعزيز (الذى تفرد برواية الحديث) وان كان صادقا صالحا فلا يحتمل منه هـــذا التفرد ، وقد ضعفها ابن تيمية والمزى ، وتوقف الذهبى ، حكاه ابن عبد الهادى عنــــه .

ثالثــا : قال ابن قدامه فى المغنى ط ٣ ص ١٣٢ جـ ٢ : سئل الامام أحمد عن صلاة التسابيح ، فقال : ما تعجبنى ، قيل له : لم ؟ قال : ليس فيها شيء يصح ، ونفض يده كالمنكر . ؟

لغـــة القرآن

حول مقال اللواء الركن محمود شيت خطاب ، لغـــة القرآن الكريم ، والمنشور فى العدد ١٠٤ نقول : ان المسألة حول المؤتمر الذى عقد فى برمانا

بلبنان من أجل استخدام اللغة العامية كأداة للاستعمال والتعبير ، تحت دعوى تبسيط اللغة الفصحى وتقريبها للألسنة والأذهان مسألة لا تحتاج الى ريبة وشك ، بل هي مسألة يقين ، ولا يمكن أن تحمل على النية الحسنة والرغبة الصادقة فى خدمة اللغة العربية ، والا فاننا ان اخذنا المسألة على هذه المحمل نكون قد هدمنا ديننا بأيدينا ، وساعدنا المتآمرين على تحقيق هدفهم الخبيث الذى ينشدونه ويسعون اليه ، وان كل داعية الى اللهجة العامية بطريق مباشر أو غير مباشر ، يعتبر عدوا للقرآن الكريم ، ويعتبر من العاملين على هدم اللغة العربية والتراث العربى الأصيل .

ولقد دأب الاستعمار والصهيونية فى القرن الماضى ولا يزال على محاربة اللغة الفصحى وعلى هدم القرآن الكريم ، ونزعه من الصدور التى حفظته ووعته ، وانه ليعلم أن تحطيم اللغة العربية يتبعها ضياع القرآن الكريم ، ولقد أيقن أن هذه الطريقة هى أسلم الطرق ولكى يستطيع أن يجد آذانا صاغية وأن يجد من يعينه على تنفيذ مخططاته ، فانه يقوم بتغليف دعوته الهدامة بما يجملها ، فيأتى ليقول على السنة دعاته أنه يريد تبسيط اللغة العربية وتقريب مناهجها ، وهو يفتح من وراء هذه خزائنه ليمدها بالمال لتجد وسط الغافلين طريقا ، وانه لما يحزن ويؤلم أن الكثير من المثقفين لا زالت هذه الأساليب تنطلى عليه ، ولا تزال الغشاوة على عينيه ، ولا زالوا يتقبلون هذه الأمور بنية حسنة فيما رسمته الصهيونية وخططه الاستعمار .

إن أى مسلم غيور على دينه ، وأى عربى حريص على لغته يجب عليه الا يعرف الوسط فى هذه الأمور ، وأن يعتبرها شرا يراد به لغته ودينه ، وعليه أن يعلن رفضه لها فان فيها السم المناقع والخراب الأكيد .

وكل هذه الدعوات ستؤول الى الفشل ان شاء الله ، ما دام الوعى منتشرا بين أبناء العالم الاسلامى لأمثال هذه الدعوات التى تتبناها الصهيونية ، ولقد تكفل الله سبحانه بحفظ دينه وكتابه « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

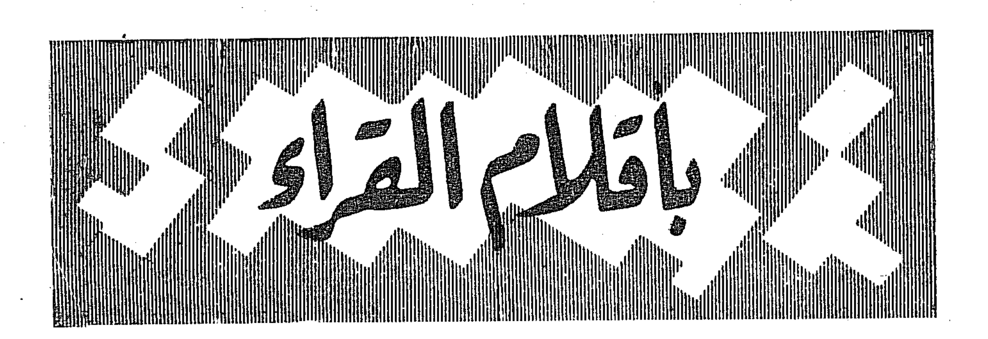
خليل محارب السويركى

ثمن المجلة

يسرنى أن أبدى رأيى كأحد المواطنين المسلمين أولا والعرب ثانيا عن المجلة العربية الغراء (الوعى الاسلامى) مبديا رأيى فيما تعرضه هذه المجلة القيمة من موضوعات شيقة وأبواب رفيعة الأدب .

فثمن المجلة الزهيد يشجع المسلمين فى البلاد العربية على تداولها وقراءتها والمحافظة على اقتنائها شهريا دون تكلف أو عسر قد يدفعهم الى الاهمال فى شرائها وان ثمنها الزهيد مقابل ما حوته تلك المجلة الغراء من موضوعات خلابة ليعد كرمز بسيط دفعنى لأن اقول ان المسئولين عن هذه المجلة الغراء يقدمونها كهدية للناطقين بالضاد وكعمل كبير لتعليم الناس أمور دينهم وتغذيتهم بالقرآن والسنة والموضوعات الدينية التى تبعث فيهم القيمة الروحية وتبصرهم بأمور دنياهم ودينهم وتحثهم على الاجتهاد والجهاد لاعلاء كلمة الله . وآمل أن يظل سعرها الزهيد كما هو على مر السنين ليستطيع الفقراء من المسلمين العارفين منهم بأمور دينهم شراءها ولا يحرمون من عظيم فائدتها كما تبصر غير العارفين بتلك الأمور الجليلة .

عبد الفتاح صابر اسماعيل



واعدوا لهم ما استطعم من قوة

أمر يوجهه ربنا تبارك وتعالى الى المؤمنين فى كل زمان ومكان يحدد فيه مستوى الاعداد وهدفه وجزاءه .

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم . وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » .

والاعداد هنا شامل موجه الى الأمة كلها رجالها ونسائها .. شبابها وشيوخها .. والنفير العام واضح فى قوله تعالى : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » .

دفاعا عن حق مغتصب : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله » .. حق اخواننا فى فلسطين الذين تواطأت الدول الكبرى على اخراجهم من أرضهم ..

ومن هنا كانت قداسة المعركة .. لأنها معركة حق .. قداسة جمعت حولها قلوب العرب والمسلمين والاحرار في كل مكان فى العالم — وأشارت فى وضوح — الى أعداء الانسانية والحرية .

والأمر فى الاعداد — الى جانب شموله — داع الى بذل أقصى الجهد الذى تقرر عليه الأمة .. وهذا قوله تعالى : « ما استطعتم » .

وهذه الجهود تتجه الى كل طاقات الأمة المادية والمعنوية : قوة النفس ، قوة الخلق قوة السلاح بريا وبحريا وجويا قوة التنظيم الشعبى . أجهزة الحرب النفسية .. كل ما تتقوى به الأمة على أعدائها .

ثم يخصص ربنا بعد هذا التعميم فيقول ومن رباط الخيل .. ذلك لأن

الخيل وقت نزول القرآن كانت تمثل أقوى قوة ضاربة .. وكانت من أهم المقاييس لمعرفة قوة الجيش .. والتطور فى عدد الخيل فى جيش النبى عليه الصلاة والسلام ما بين غزوة بدر وغزوة تبوك يعطينا صورة واضحة لهذا السلاح ..

ففى غزوة بدر — فى العام الثانى من الهجرة — كان عدد الخيل اثنين والابل سبعين . وكان عدد المحاربين ٣٠٥ ..

وتدعم قاعدة الاسلام فى المدينة قوتها العسكرية .. وبخاصة من رباط الخيل فاذا كنا فى العام التاسع من الهجرة وفى غزوة تبوك وجدنا مجموع عدد المحاربين يرتفع الى ثلاثين الفا وعدد الخيل الى عشرة آلاف .

هذه القوة عندما وصلت الى مشارف دولة الروم وأقامت فى تبوك بضع عشرة ليلة لم يحاول الروم الاشتباك معها ، بل آثروا الانسحاب بجيشهم الذى كانوا وجهوه الى الحدود ليحتمى داخل بلاد الشام وحصونها .. وكان انسحابهم قبل وصول جيش المسلمين ..

انسحاب الروم اذن كان راجعا الى قوة الاعداد .. الى التطور الضخم الذى حدث فى جيش الاسلام ما بين غزوتى بدر وتبوك فى مدى سبعة أعوام .. وهى القوة التى أدت فى العام الثامن من الهجرة — أى قبل تبوك — الى فتح مكةولمتحدث الا اشتباكات محدودة جدا فى أثناء دخول جيش خالد ..

المستوى :

يقودنا هذا الى المستوى الذى تتطلبه منا الآية الكريمة .. مستوى الاعداد القادر على ردع الخصم .. ويبدو هذا فى قول ربنا « ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .

الآية تحدد هذه العداوات : فمنها قسم ظاهر « عدو الله وعدوكم » وقسم خفى « وآخرون من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .

هؤلاء الذين يقفون ضد الحق هم أعداء الله وأعدائنا .. وجهادهم فرض علينا يلتقى عنده ديننا ودنيانا .

ومستوى الاعداد — كما يبدو من الآية — ينبغى أن يكون قادرا على « ارهاب الخصم » . والعلم فى عالمنا المعاصر من أهم أسلحة المعركة .. وهو يدعم ويثبت ايماننا العميق بحقنا .. ايمانا واعيا مبصرا يتحول الى طاقة عملية منتجة .

وهذا المستوى ينبغى — بعد هذا — أن يتوفر فيه معامل آمان ..

أى أن التفوق فيه ــ بحكم الآية ــ يصل الى ارهاب الخصم الظـــاهر والخصم الخفى الذى لا نعرفه سواء فى ديارنا أم فى خارجها .

فى عصر الطائرات والصواريخ والاستخدام العلمى للحرب النفسية بكل أجهزتها .. والتنسيق الدقيق بين الجبهة والقاعدة .. والنفس الطويل فى الحرب تتنوع المداخل التى يحاول بها الخصم توهين قوتنا ماديا ونفسيا .. بالضغط الاقتصادى .. بالدعاية .. بامتحان الصبر الطويل ــ لتماسكنا الداخلى .. بالتشكيك فى قوتنا .. بالحرب الموجهة الى القيادة .. سلسلة لا تنتهى من الاسلحة يستخدمها ويحاول استخدامها أعداؤنا .. وعلينا أن نؤكد ــ ما استطعنا ــ قوتنا وثباتنا وتفوقنا فيما نستطيع التفوق فيه من اعداد يمكن أن يوقف عدونا عند حده .

الجزاء :

ويدعونا ربنا الى أن يبـذل كل منا فى المعـركة .. وان جزاء ذلك ســيعود اليه « وما تنفقوا من شىء فى ســبيل الله يوف اليـكم وأنتم لا تظلمون » .

وما تنفقوا من شىء .. أى شىء صغر أو كبر ..

الاخوة والأخوات الذين تبرعوا بدمائهم .. اسطوانات الدم الطاهر التى جاءت بالطائرات من أبنائنا فى الخارج ..

أخواتنا الصغيرات صاحبات الأيدى المبصرة اللاتى تبرعن بدمائهن ثم بعمل أدوات للتمريض تصلح للميدان .

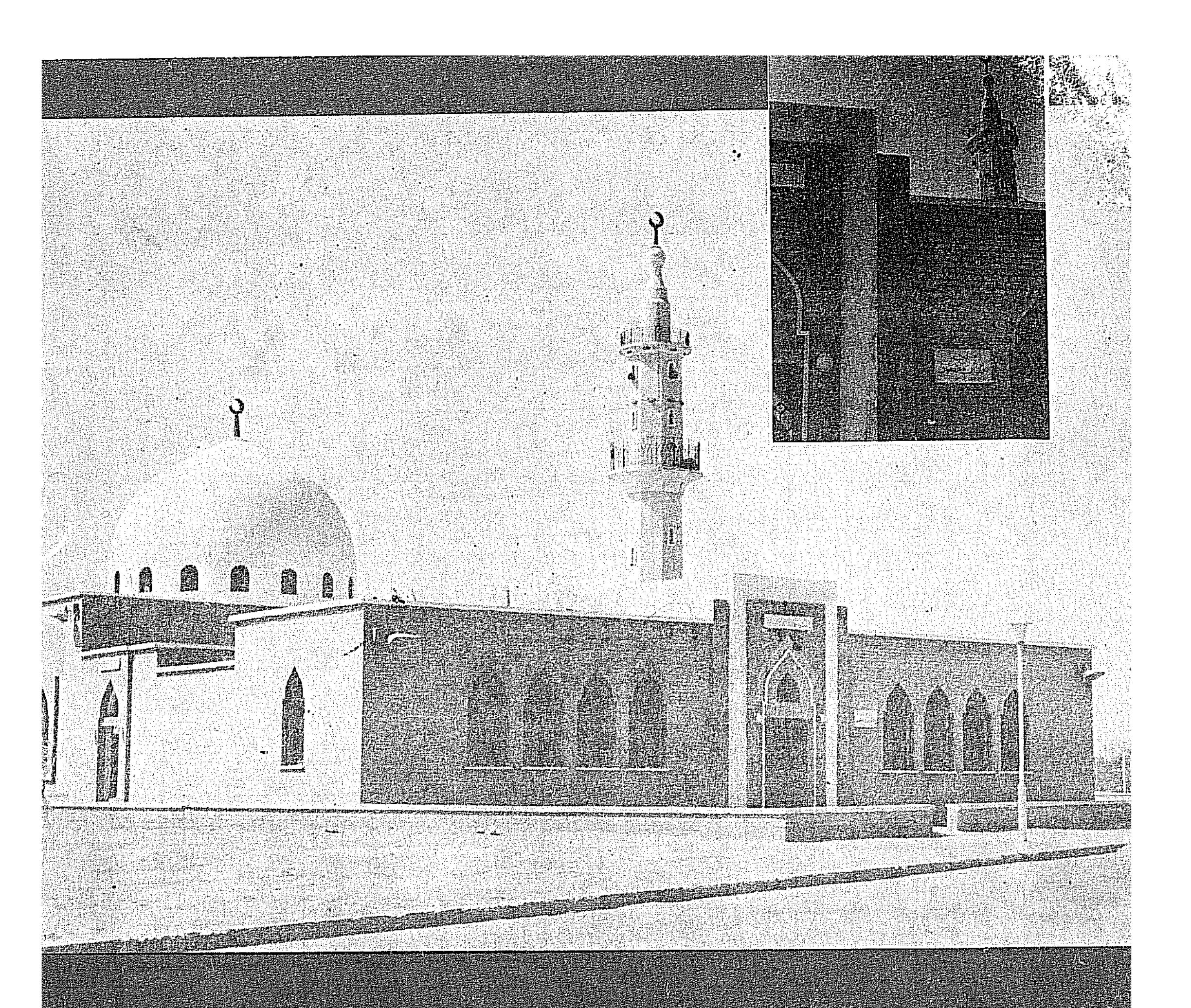
أخواتنا اللاتى رأين المعركة بنور القلب .. فكانت قلوبهن اشراقة وفيض رحمة .

أبناء هذه الأمة المجاهدة وبناتها وعمالها وفلاحوها ومثقفوها وأصحاب المهن الحرة الأحرار .. الذين خرجوا عن بعض ما لهم طيبة بذلك نفوسهم .. الذين عاهدوا ربهم على زيادة الانتاج فى هذه المرحلة الدقيقة .

فاذا ما تحقق للأمة ذلك كله استحقت نصر الله الذى ســجله فى خواتيم الآية « وانتم لا تظلمون » . ونستطيع أن نفهمها بآثارها فى الدنيـا والآخرة ..

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	شوال ١٣٩٣	أكتوبر ١٩٧٣	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
السبت	١	٢٧	٤ ٢٨	٥ ٥٧	١١ ٣٢	٢ ٤٢	٥ ٦	٦ ٢٥	١١ ٢١	١٢ ٥٠	٦ ٢٥	٩ ٣٦	١ ١٩
الأحد	٢	٢٨	٢٨	٥٧	٣٢	٤٢	٦	٢٥	٢٢	٥١	٢٦	٣٦	١٩
الاثنين	٣	٢٩	٢٩	٥٨	٣٢	٤١	٥	٢٤	٢٤	٥٣	٢٧	٣٦	١٩
الثلاثاء	٤	٣٠	٢٩	٥٩	٣٢	٤١	٤	٢٣	٢٥	٥٤	٢٧	٣٧	١٩
الأربعاء	٥	٣١	٣٠	٥٩	٣٢	٤٠	٣	٢٣	٢٧	٥٦	٢٨	٣٧	١٩
الخميس	٦	نوفمبر	٣١	٦ ٠٠	٣١	٣٩	٢	٢٢	٢٩	٥٨	٢٩	٣٧	١٩
الجمعة	٧	٢	٣١	١	٣١	٣٩	١	٢١	٣١	١ ٠٠	٣٠	٣٨	١٩
السبت	٨	٣	٣٢	٢	٣١	٣٨	٠٠	٢٠	٣٣	٢	٣١	٣٨	١٩
الأحد	٩	٤	٣٣	٢	٣١	٣٧	٤ ٥٩	١٩	٣٤	٣	٣٢	٣٨	١٩
الاثنين	١٠	٥	٣٣	٣	٣١	٣٦	٥٨	١٩	٣٥	٥	٣٣	٣٨	٢٠
الثلاثاء	١١	٦	٣٤	٤	٣١	٣٦	٥٨	١٨	٣٦	٦	٣٣	٣٨	٢٠
الأربعاء	١٢	٧	٣٤	٤	٣١	٣٥	٥٧	١٨	٣٧	٧	٣٤	٣٨	٢٠
الخميس	١٣	٨	٣٥	٥	٣١	٣٤	٥٦	١٧	٣٩	٩	٣٥	٣٨	٢٠
الجمعة	١٤	٩	٣٥	٥	٣١	٣٤	٥٥	١٦	٤٠	١٠	٣٥	٣٩	٢٠
السبت	١٥	١٠	٣٦	٦	٣١	٣٣	٥٥	١٥	٤١	١١	٣٦	٣٩	٢٠
الأحد	١٦	١١	٣٧	٧	٣١	٣٣	٥٤	١٤	٤٣	١٣	٣٧	٣٩	٢٠
الاثنين	١٧	١٢	٣٧	٨	٣١	٣٢	٥٣	١٤	٤٤	١٥	٣٨	٣٩	٢٠
الثلاثاء	١٨	١٣	٣٨	٩	٣١	٣٢	٥٣	١٣	٤٥	١٦	٣٨	٣٩	٢١
الأربعاء	١٩	١٤	٣٨	١٠	٣١	٣٢	٥٢	١٣	٤٦	١٧	٣٩	٣٩	٢١
الخميس	٢٠	١٥	٣٩	١٠	٣١	٣١	٥٢	١٣	٤٧	١٨	٣٩	٤٠	٢١
الجمعة	٢١	١٦	٤٠	١١	٣١	٣١	٥١	١٢	٤٩	٢٠	٤٠	٤٠	٢١
السبت	٢٢	١٧	٤١	١٢	٣٢	٣١	٥١	١٢	٥٠	٢١	٤١	٤٠	٢١
الأحد	٢٣	١٨	٤٢	١٣	٣٢	٣١	٥١	١٢	٥١	٢٢	٤١	٤٠	٢١
الاثنين	٢٤	١٩	٤٣	١٤	٣٢	٣٠	٥٠	١١	٥٣	٢٤	٤٢	٤٠	٢١
الثلاثاء	٢٥	٢٠	٤٤	١٤	٣٣	٣٠	٥٠	١١	٥٤	٢٥	٤٣	٤٠	٢١
الأربعاء	٢٦	٢١	٤٥	١٥	٣٣	٣٠	٥٠	١١	٥٥	٢٦	٤٣	٤٠	٢٢
الخميس	٢٧	٢٢	٤٥	١٦	٣٣	٣٠	٣٩	١١	٥٦	٢٨	٤٤	٤٠	٢٢
الجمعة	٢٨	٢٣	٤٦	١٧	٣٤	٣٠	٤٩	١١	٥٧	٢٩	٤٥	٤٠	٢٢
السبت	٢٩	٢٤	٤٧	١٨	٣٤	٣٠	٤٩	١١	٥٨	٣٠	٤٥	٤١	٢٢
الأحد	٣٠	٢٥	٤٨	١٩	٣٤	٣٠	٤٩	١١	٥٩	٣١	٤٦	٤١	٢٢



عثمـــان بن مظعون

اسمــــه : عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهيب بن حذافة الجمحي .

اسـلامه : اسلم بعد (١٣) رجلا .. وهاجـــر الى الحبشة هو وابنــه السائب الهجرة الأولى في جماعة . ولمـا بلغهم أن قريشـا اسلمت رجعوا فدخل عثمان في جوار الوليد بن المغيرة ، ثم رد جواره وأعلن رضاه بما عليــه النبي صلى اللــه عليه وسلـم وصحبــه .

وفاتـــه : توفي بعد شهوده بدرا في السنة الثانية من الهجرة ، وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين واول من دفن بالبقيــع منهــم . وقبله النبي وهو ميت .. ولما توفي ابراهيم ابن النبي صلــى الله عليه وسلم قال : « الحق بسلفنـــا الصالــح عثمان بن مظعــون » .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ـــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ـــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ـــ ص.ب : (٢٨٠) .

المغـــرب : الدار البيضاء ـــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

تونـــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ـــ ١٧ شـــارع فرنســـا .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عـــدن : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الأردن : عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـــدة : مكتبة مكـــة ـــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكـــة ـــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ـــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العـــراق : بغداد : وزارة الاعلام ـــ مكتب التوزيع والنشر .

البحـــرين : المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .

قطـــر : الدوحـــة : مؤسسة العروبة ـــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مطبعة دبى .

الكـــويت : مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت